



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر
عليه
ص

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلم والعرفان والجمال

في الأبحاث والأبحاث

١٩٤٢

الأبحاث والأبحاث

« سَمِيحَة »

تكملة لـ

الأبحاث والأبحاث

١٩٤٢

الأبحاث والأبحاث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فدك فى التاريخ

كاتب:

سيد محمد باقر صدر

نشرت فى الطباعة:

مؤسسه البعثه مركز الطباعة و النشر

رقمى الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|--------------------------------|
| ٥ | الفهرس |
| ٨ | فذك فى التارىخ |
| ٨ | اشاره |
| ٨ | مقدمه المحقق |
| ٨ | اشاره |
| ٨ | بين يدى الكتاب والمؤلف |
| ٨ | المنهج و الكتاب |
| ٩ | لمحه موجزه عن فصول الكتاب |
| ١٠ | كلمه فى المقام |
| ١٠ | عملى فى التحقيق |
| ١١ | تقديم بقلم الإمام الشهيد الصدر |
| ١١ | على مسرح الثورة |
| ١١ | اشاره |
| ١١ | تمهيد |
| ١٢ | اجواء الحدث |
| ١٣ | مستمسكات الثورة |
| ١٤ | طريق الثورة |
| ١٤ | النسوه |
| ١٤ | ظاهرة |
| ١٥ | فذك بمعناها الحقيقى والرمزى |
| ١٥ | اشاره |
| ١٥ | الموقع |
| ١٥ | فذك فى أدوارها الاولى |

| | |
|----|--|
| ١٦ | في عهد أمير المؤمنين |
| ١٦ | في فترة الامويين |
| ١٦ | في فترة العباسيين |
| ١٧ | القيمة المعنوية والمادية لفدك |
| ١٨ | تاريخ الثورة |
| ١٨ | اشاره |
| ١٨ | منهج دراسة التاريخ |
| ١٨ | تقويم تاريخ صدر الإسلام |
| ٢٠ | مع العقاد في دراسته |
| ٢٢ | بواعث الثورة |
| ٢٣ | دوافع الخليفة الأول في موقفه |
| ٢٣ | ابعاد قضية فدك السياسية |
| ٢٥ | قضية فدك في ضوء الظروف الموضوعية |
| ٢٥ | مسألة موت الرسول القائد |
| ٢٦ | مسألة السقيفة و موقف الإمام علي |
| ٢٩ | تحليل الموقف في قصة السقيفة |
| ٣٢ | الإمام علي خصائصه و موقفه من الخلافة |
| ٣٥ | مسألة عدم الاحتجاج بالنص |
| ٣٧ | المواجهة السلمية |
| ٣٨ | قبسات من الكلام الفاطمي |
| ٣٨ | اشاره |
| ٣٩ | عظمة الرسول القائد |
| ٣٩ | عظمة الإمام علي و مؤهلاته الشخصية |
| ٤٠ | مقارنه بين مواقف الإمام و الآخرين |

- ٤١ حزب السلطه الحاكمه
- ٤٢ الفتنة الكبرى
- ٤٤ محكمة الكتاب
- ٤٤ اشاره
- ٤٤ موقف الخليفة الأول من تركة النبي
- ٤٦ روايات الخليفة الأول و مناقشتها
- ٥٠ موقف الخليفة من مسأله الميراث
- ٥٢ نتائج المناقشه
- ٥٦ مسأله النحله
- ٥٩ باورقى
- ٧٢ تعريف المركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

فدك في التاريخ

إشارة

سرشناسه : صدر، محمدباقر، ١٩٧٩ - ١٩٣١ Sadr, Muhammad Baqir عنوان و نام پديد آور : فدك في التاريخ محمدباقر الصدر مشخصات نشر : تهران موسسه البعثه مركز الطباعة و النشر، ١٤٢٤ق = ٢٠٠٣ = ١٣٨٢. مشخصات ظاهري : ص ١٤٨ شابك : ٩٦٤-٣٠٩-٣٤٧-٩٠٠٠-٤ريال وضعيت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی یادداشت : چاپ قبلی مركز الابحاث و الدراسات التخصصيه الشهيد الصدر، ١٣٨٢ یادداشت : عربي یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیبا. یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : فدك موضوع : فاطمه زهرا(س ، ٨؟ قبل از هجرت - ق ١١ شناسه افزوده : بنیاد بعثت مركز چاپ و نشر رده بندی کنگره : BP٢٧/٢٥/ص ٤ف ٤ رده بندی دیویی : ٢٩٧/٩٧٣ شماره کتابشناسی ملی : م ٨٢-٣٥٥٨٣

مقدمه المحقق

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد و على آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين.

بين يدي الكتاب والمؤلف

«فدك في التاريخ» باكورة النتاج العلمي الخصب للإمام الشهيد الصدر قدس سره. و هذه الدارسة تعدُّ بحقُّ بلحاظ الفترة التاريخية التي كُتبت فيها دراسةً رائدةً و أصيلةً؛ و ذلك لاعتمادها المنهج العلمي الحديث ليس في الاستقصاء و التتبع لحيثيات القضية، و مستنداتها فحسب، بل في عمق التحليل، و رصانة الأسلوب، و دقّة الناقشة، و قوّة المنطق. إنّ النظر إلى الدراسات سواء منها التي صدرت في تلك الفترة أي قبل نصف قرن تقريباً أو الفترة اللاحقة فيما يتعلّق بمثل هذه الموضوعات الحساسة، سيبيّن منها مدى السبق العلمي والإنجاز التاريخي الذي حقّقه الإمام الشهيد في دراسته التي بين يديك أيها القارئ العزيز. و لا غرابة في ذلك فالسيد الشهيد تفجّرت عبقريته منذ وقت مبكر، ثم تطوّرت مواهبه سريعاً ليرفد المكتبة الإسلامية بدراساته المبتكرة في مختلف حقول المعرفة الإنسانية و علوم الشريعة الإسلامية. لقد كان الإمام الشهيد الصدر عالماً ربّانياً و مجتهداً ورعاً و عبقرياً فذاً، و قد أغنى الفكر الإسلامي المعاصر، و أمده بعناصر الحيويّة و الاستمرار، حتى ليصحّ القول: إنّ الإمام [صفحة ٨] الشهيد كان أطروحة الإسلام المتجدّد. يدلك على ذلك أنه قدس سره قد نهض بمسؤوليات فكرية و جهادية بما لم ينهض بمثله إلا القلائل في تاريخ الإسلام المجيد؛ إذ كان في جهاد متواصل، و سعى دائب من أجل تحرير وعي الأُمّة المسلمة من أطروحة الغرب الكافر، و تحرير مستقبلها من هيمنة الاستكبار العالمي و عملائه، حتى توجت حياته الشريفة بالشهادة في سبيل الله و في سبيل اعلاء كلمة الإسلام.

المنهج و الكتاب

اعتمد السيد الشهيد في هذا الكتاب «فدك في التاريخ» منهجاً علمياً حدّد معالمه و رأى أنه لا بُدّ من اعتماده في مثل هذه الدراسات التاريخية ذات الأبعاد السياسيّة. و يقوم هذا المنهج على أسس الموضوعيّة التي عبّر عنها (بالتجرّد عن المرتكزات)، و التتبع و الاستقصاء و التأمل (الأناء في الحكم) ثمّ (الحرية في التفكير). و يعتبر الشهيد الصدر هذه الأمور شروطاً أساسية لإقامة بناء تاريخي محكم لقضايا

الأسلاف، ترسم فيه خطوط حياتهم التي عرفوها في أنفسهم، أو عرفها الناس عنهم يومئذٍ... ثم يرى قدس سره «أن ذلك البناء ينبغي أن يتسع لتأملات شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم يُتعرّف على لونه التاريخي والاجتماعي، ووزنه في حساب الحياة العامة أو في حساب الحياة الخاصية التي يُغنى بها الباحث، وتكون مداراً لبحثه كالحياة الدينيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة» [١]. وإذا كان هذا هو الهدف من مثل هذه الدراسات التاريخيّة، وذاك هو [صفحة ٩] إطارها العام، فإنّ الشهيد يتبّه هنا إلى ضرورة «أن تستمد هذه التأملات كيانها النظري من عالم الناس المنظور، لا من عالم تبتدعه العواطف والمرتكزات، وينشئه التبعّد والتقليد». ثم يضع قيماً على مثل تلك التأملات وهو أن لا تستند إلى خيال مجنح يرتفع بالسفاسف إلى الذروة، وتبني عليها نتائج غير سليمة. وأخيراً يؤكّد السيّد الشهيد ضرورة الالتزام بمنطق البحث العلمي لا بما نستلهمه من عواطفنا وموروثاتنا. ثم يتبّه إلى حقيقة خطيرة في حقل الدراسات هي تحول المؤرّخ إلى روائي يستوحى من دنيا ذهنه، لا من الوقائع التاريخيّة. إنّ معالم هذا المنهج يكشف عن وعي مبكر وعميق بأصول البحث العلمي وشروطه الأساسيّة. وقد رأيت السيّد الشهيد وهو يخوض غمار هذا البحث متسلحاً بمنطق العلم، متحمّساً لمنطق الحقّ، مستمسكاً بما يهديه إليه منطق الأحداث. وهو في كل ذلك يستند إلى ما نقله المؤرّخون، وما نطقت به الوثيقة التاريخيّة، ويستنتج وفق الضوابط والأصول المعبّرة.

لمحة موجزة عن فصول الكتاب

تناول الشهيد الصدر (قضية فدك) بالمنظور الفاطمي أي بأبعادها المتشعبة في جوانب الحياة الإسلاميّة، وفي آماذ الزمان اللاحق، وذلك اعتبرها أي (قضية فدك) ثورة شاملة، فعرض لخلفيّة (الحدث) أي ما اعتمل في ذهن الزهراء (سلام الله عليها) من أفكار، وما دار في خلدتها من ذكريات عظيمة في حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ ما هي تصحو على واقع مؤلم مرير يموج بالمحنة وبالفتنة التي لا تقف عند حدود، فيحفّزها ذلك إلى أن تطلق صرختها، وتعلن عن الشروع بالمجاهدة. ثمّ ينتقل السيّد الشهيد إلى الفصل الثاني (فدك في معناها [صفحة ١٠] الحقيقي ومعناها الرمزي) فيعرّف بها، ثمّ ينتقل معها عبر مراحل التاريخ المتعاقبة منذ أن انتزعت من يد الزهراء عليها السلام، إلى آخر ما استقرّ عليها أمرها في أواخر زمن العباسيين. ثمّ يتحوّل إلى الفصل الثالث الذي عنوانه ب (تاريخ الثورة) فيتحدّث عن الثورة ممهداً لها بالكلام على شروط البحث وأسلوب كتابته تاريخ الفرد والأمة مشيداً بعصر صدر الإسلام وما تحقّق فيه من إنجازات. يعرّج بعد ذلك إلى كتاب العقاد «فاطمة والفاطميون» فينعي عليه المعالجة المُبتسرة لمثل تلك القضية الخطيرة ومحاولته - أي العقاد - حصرها في نطاق ضيق متابعاً في مناقشته لها منطق التبعّد والتقليد للمتوارث من غير رويّة أو إعمال فكر. ثمّ ينطق بعد ذلك ليحدّد أبعاد (فدك)، بأنّها ليست منازعة في أمر محدود وحقّ مغضوب، بل هو يراها أكبر من ذلك بكثير، قال: «إننا نحسّ إذا درسنا الواقع التاريخي لمشكلة فدك و منازعاتها أنّها مطبوعة بطابع الثورة التي توفّرت بواعثها، و نتبين أنّ هذه المنازعات كانت في واقعها ودوافعها ثورة على السياسة العليا...». ثمّ يقدّم تبريراً منطقيّاً لتناوله القضية بكل تلك الأبعاد فيقول: «أدرس ما شئت من المستندات التاريخيّة الثابتة للمسألة، فهل ترى نزاعاً مادياً؟ أو ترى اختلافاً حول (فدك) بمعناها المحدود، و واقعها الضيق؟ أو ترى تسابقاً على غلّات أرض... كلاً، بل هي الثورة على أسس الحكم، والصرخة التي أرادت الزهراء عليها السلام أن تقتلع بها الحجر الأساس الذي بُني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة...». و من هنا يبدأ السيّد الشهيد في رصد الأحداث قبل يوم السقيفة ثمّ يلاحقها مناقشاً، مسلطاً الضوء على الزوايا والخفايا سواء فيما يتعلّق بالمواقف أو بالشخصيات، مبرزاً مواقف الإمام على عليه السلام التي أملتتها [صفحة ١١] المصلحة الإسلاميّة العليا... ينتقل السيّد الشهيد في فصل آخر إلى (الخطاب الفاطمي) فيحلّل، و يدين المقاصد والأغراض، و ينطلق خلال ذلك ليكشف عن خصائص و مواقف أمير المؤمنين عليه السلام، تلك الخاصّص والميزات التي تؤهّله دون غيره لاحتلال المركز القيادي الأوّل والمرجعيّة الفكرية والسياسيّة لأمة الإسلام. ثمّ يختم الكتاب بفص عنوانه ب (محكمة الكتاب) ناقش فيه (قضية فدك) مبيّناً ملاسباتها وحيثياتها، مشيراً إلى الإشكالات العميقة على مباني القوم في حرمان الزهراء (سلام الله

عليها) من حقها الثابت، مستنداً في كل ذلك إلى النصوص الثابتة قرآناً و سنّة، و إلى ما يقتضيه قانون الشرع و منطق الحقّ و الإنصاف. ذلك باختصار لمحات عن فصول الكتاب الذي سيجد فيه القارئ العزير تحليلاً عميقاً، و مناقشات رصينة، بأسلوب بليغ، مع التزام بشرائط البحث و مقتضياته.

كلمة في المقام

إنّ قضيه فدك في منظور الزهراء (سلام الله عليها) إذن ليست مسألة (نحلة) انثرت من يدها، لأسباب اختلفتها السلطة أو بزرتها، بل إنّ القضية أخطر من ذلك بكثير، إنّها تشكّل بادرة خطيرة في حياة الدولة الإسلامية و في حياة التجربة الإسلامية الوليدة، تلك التجربة و هذه الدولة التي ناضل النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم نضالاً مريراً في سبيل إقامتها على شرع الحقّ و ميزان العدل، و أراد لها أن تمتدّ في أقطار الأرض و آماذ الزمان. إنّ لخطورة تلك تكمن في استعجال (النخبة) التي يفترض أنّها المسؤولة عن حماية التجربة، استعجالها للحصول على (المكاسب [صفحة ١٢] الآتية)، و محاولة الاستحواذ على المراكز القيادية بغضّ النظر عن الأصول المقررة، والنصوص المعتمدة. و ذلك يعني أوّل ما يعني فتح الباب واسعاً أمام أصحاب المطامع والنهّازين، أو على حدّ تعبير أمّ المؤمنين عائشة: إنّ الخلافة- حينئذ- سينالها البرّ والفاجر [٤]. و لذلك فإنّ تصدّي الزهراء (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة، إنّما كان للحيلولة دون تحقّق النتائج الخطيرة و المتوقعة. و من هنا كان الهدف في (إثارة فدك) بأبعادها الشمولية و تبصير الأمة قيادات و أفراداً و جماهير بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتجاه، و قد صرّحت الزهراء (سلام الله عليها) بذلك قائلة: «أما لعمر الله لقد لقمحت فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلّبوها طلاع العقب دماً عيباً... هناك يخسر المبطلون، و يعرف التالون غبّ ما أسسه الأولون ثم طيّبوا من أنفسهم نفساً، واطمئنوا للفتنة جاشاً و أبشروا بسيف صارم، و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يدع فينكم زهيداً، و جمعكم حصيداً...» [٤]. في ضوء ذلك كله يمكن فهم الحماس الذي يبديه السيّد الشهيد، والتأثير البالغ الذي يعتمل في داخله، إذ هو يحلّل و يناقش و يستنتج (بالمنظور الفاطمي) و بدافع الحرص على نقاء الاسلام. لقد كان السيّد الشهيد في طول البحث (يترضى) على الصحابة و يقدر مآثرهم في دنيا الإسلام، و لكنّه لا يغمض النظر عن موارد الخلل، و مواطن الزلل في مسيرة القوم. و لا نرى أنّ هناك تقاطعاً، إذ أنّ الأكثر أهميّة، والأولى [صفحة ١٣] بالمراعاة هو سلامة التجربة الإسلامية و أصالتها و نقاؤها. ثمّ لو أراد البعض أن يتأوّل- و لا- مانع من التأويل- إلّا أنّه غير مُلزم لنا فضلاً عن كونه خلاف الواقع، و لتذكّر على سبيل المثال هنا قوله الخليفة الثاني بشأن خالد بن الوليد في قضية مالك بن نويرة، قال الخليفة عمر بن الخطاب لأبي بكر: «إنّ خالداً قتل امراً مسلماً و نزا على امرأته...» [٤] على حدّ تعبير الطبري فتأوّل الخليفة الأوّل لخالد ذلك الفعل، إلّا أنّ ذلك التأويل لم يحقّق القناعة عند الخليفة عمر، و أضمرها في نفسه ثمّ تصرّف لاحقاً استناداً إلى (الواقعة)، نفسها فعزل خالدًا حالماً تسلّم الحكم. إذن نحن غير ملزمين بقبول كلّ تأويل على أنّ تأشير الخطأ، و تسجيل الوقائع، و استطاقها لا شكّ أمرٌ يجنبنا النتائج الوخيمة، و هو بالتالي يصبّ في صالح خدمة مسيرة الأمة الإسلامية و أصالة الإسلام. و هذا ما كان يهدف إليه الإمام الشهيد من دراسته القيمة، و ذلك هو الذي حفّزنا إلى القيام بالتحقيق العلمي لهذه الدراسة، و قد ظهر لنا أنّ كلّ إشارة وردت، أو قول أو تحليل أو استنتاج؛ إنّما يستند إلى منطق الأحداث، و إلى المصادر الموثوقة، و الوقائع المشهورة، و سيرة القوم. و سوف يظهر للقارئ الكريم من خلال هذا (التحقيق) أنّه ليس هناك مجازفة في قول، و لا تحامل في رأي، و لا استنتاج من غير دليل.

عملي في التحقيق

ظهر كتاب «فدك في التاريخ» في طبعين، أولاهما طبعه المطبعة الحيدرية في [صفحة ١٤] النجف الأشرف لصاحبها الفاضل الشيخ محمّد كاظم الكتبي، و ذلك سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م و هذه الطبعة- في الواقع- جيّدة و قليلة الأخطاء.. ثمّ ظهرت الطبعة الثانية بعد

ذلك بسنوات، و هي طبعه دار التعارف البيروتية التي أشرت إليها، و لم أعثر على طبعات أخرى. و لما كانت الطبعة الحيدرية أدق و لأن السيد الشهيد اطلع عليها بنفسه، فقد اعتمدها أصلاً. و لقد قمتُ بتخريج الآيات والروايات من مظانها كما و ثقّت الإحالات التي أوردها السيد الشهيد و وضعت إزاءها كلمة (الشهيد) تمييزاً لها من التخريجات و التعليقات و الإضافات التي اقتضاها التحقيق، و رأيت من المناسب ذكرها. و قد رجعت في كل ذلك إلى الكتب و المصادر المعتمدة عند إخواننا أهل السنّة ليُتضح جلياً أنّ المطالب التي حُققت تعتمد و تستند على هاتيك المصادر. ثم يبقى بعد ذلك أصالة التحليل، و التزام المنهج العلمي في العرض و المناقشة والاستدلال من ميزات السيد الشهيد في هذه الدراسة. و أخيراً فإنّي في الوقت الذي أحمدُ الله تعالى على توفيقه و تسديده في إنجاز هذا العمل أرجوه تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه، كما أسأله تعالى أن يوفّق العالمين في مركز الغدير للدراسات الإسلامية لخدمة الإسلام العزيز و مذهب أهل البيت عليهم السلام. و لهم الكشر و الثناء. و الحمد لله أولاً و آخراً د. عبد الجبار شرارة دكتوراه في الدراسات الإسلامية والدينية «أستاذ مساعد» [صفحة ١٥]

تقديم بقلم الإمام الشهيد الصدر

أيها القارئ الكريم: هذا إنتاج اغتنمت له عطلة من عطل الدراسة في جامعتنا الكريمة- النجف الأشرف- و توفرت فيها على درس مشكّله من مشاكل التاريخ الإسلامي، و هي (مشكّله فدك)، و الخصومة التاريخية التي قامت بين الزهراء (صلوات الله عليها) والخليفة الأول (رضى الله تعالى عنه). و كانت تتبلور في ذهني استنتاجات و فكر، فسجلتها على أوراق متفرّقة، حتى إذا انتهيت من مطالعة مستندات القضية و رواياتها، و درس ظروفها، وجدت في تلك الوريقات ما يصلح خميرة لدراسة كافية للمسألة، فهذبته و رتبته على فصول، اجتمع منها كتيب صغير، و كان في نيتي الاحتفاظ به كمذكّر عند الحاجة، فبقي عندي سنين مذكراً و مؤرخاً لحياتي الفكرية في الشهر الذي تمخّض عنه، غير أنّ حضرة الوجيه الفاضل الشيخ محمد كاظم الكتبي ابن الشيخ صادق الكتبي (أيده الله) طلب منّي تقديمه إليه ليتولّى طبعه. و قد نزلت على رغبته تقديراً لأيديه البيضاء على المكتبة العربية و الإسلامية. و الكتاب هو ما تراه بين يديك. المؤلف [صفحة ١٧]

على مسرح الثورة

إشارة

فدونكها مخطومة مرحولة تلتفك يوم حشرك، فنعمة الحكم الله، و الزعيم محمّد، و الموعد القيامة، و عند الساعة يخسر المبطلون. الزهراء عليها السلام [صفحة ١٩]

تمهيد

وقفت لا- يخالجهما شكّ فيما تُقدّم عليه، و لا يطفح عليها موقفها الرهيب بصبابه من خوف أو دعر، و لا يمرّ على خيالها الذي كان جدّياً كلّ الجدّ، تردّد في تصميمها، و لا تساورها هاجسه من هواجس القلق و الارتباك، و ها هي الآن في أعلى القمّة من استعدادها النبيل، و ثباتها الشجاع على خطّتها الطموح، و أسلوبها الدفاعي، فقد كانت بين باين لا يتسعان لتردّد طويل، و درس عريض، فلا بُدّ لها من اختيار أحدهما و قد اختارت الطريق المتعب من الطريقين الذي يشقّ سلوكه على المرأة بطبيعتها الضعيفة لما يكتنفه من شدايد و مصاعب تتطلّب جرأة أديّة، و ملكة بيانيّة مؤثّرة، و قدرة على صبّ معاني الثورة كلّها في كلماتٍ و براعةٍ فتيّة في تصوير النعمة، و نقد الأوضاع القائمة تصويراً و نقداً يجعلان في الألفاظ معنى من حياة، و حظّاً من خلود، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة، و سندها

الخالد في تاريخ العقيدة، و لكنه الإيمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها، ويفجر في الطباع المخدولة قوة لا تعترض لضعف ولا تردد. ولذا كان اختيار النائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها، و يلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق، والاندفاع في سبيله. [صفحة ٢٠] و كانت حولها نسوة متعدّدات من حداثتها و نساء قومها كالنجوم المتناثرة يلتفتن بها بغير انتظام، و هنّ جميعاً سواسية في هذا الاندفاع والالتياح، و قائدتهنّ بينهنّ تستعرض ما ستقدم عليه من وثبة كريمة تهيبّ لها العدة و الذخيرة، و هي كلّما استرسلت في استعراضها ازدادت رباطة جأش، و قوة جنان، و تضاعفت قوة الحق التي تعمل في نفسها، واشتدت صلابة في الحركة، و انبعاثاً نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة، و نشاطاً في الاندفاع، و بسالة في الموقف الرهيب، كأنها قد استعارت في لحظتها هذه قلب رجليها العظيم، لتواجه به ظروفها القاسية و ما حاكت لها يد القدر. أستغفر الله بل ما قدر لها المقدر الحكيم من مأساة مروعة تهدّ الجبل و تزلزل الصعب الشامخ. و كانت في لحظتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شجاعاً قائماً ترسم عليه سحابة حزن مرير، و هي شاحبة اللون، عابسة الوجه، مفجوعة القلب، كاسفة البال، منهدة العمدة، ضعيفة الجانب، مائعة الجسم، و في صميم نفسها، و عميق فكرها، المتأملّة إشعاعه بهجة، و إثارة طمأنينة، و ليس هذا و لا ذاك استعداداً لأمل باسم، أو سكوناً إلى حلم لذيد، أو استقبلاً لنتيجة حسنة مترقبة، بل كانت الإشاعة إشعاعاً رضاً بالفكرة والاستبشار بالثورة، و كانت الطمأنينة ثقة بنجاح، لا هذا الذي نفيناه بل على وجه آخر، و إنّ في بعض الفشل الآجل إيجاباً لنجاح عظيم و كذلك وقع، فقد قامت أمّة برمتها تقدّس هذه الثورة النائرة بل تستمد منها ثباتها و استبسالها في هذا الثبات. و دفعتها أفكارها في وقتها تلك إلى الماضي القريب يوم كانت [صفحة ٢١] موجات السعادة تلعب بحياتها السعيدة، و يوم كان نفس أبيها يصعد، و نسمه يهبط. و كان بيتها قطب الدولة العتيد، و دعامة المجد الراسخة المهيمنة على الزمن الخاشع المطيع. و لعلّ أفكارها هذه ساقتها إلى تصوّر أبيها صلى الله عليه و آله و سلم و هو يضمّها إلى صدره الرحيب، و يحوطها بحنانه العبقري، و يطبع على فمها الطاهر قبلاته التي اعتادتها منه، و كانت غذاءها صباحاً و مساءً. ثمّ وصلت إلى حيث بلغت سلسلة الزمن، فيواجهها الواقع العابس و إذا بالزمان غير الزمان و ها هو بيتها مشكاة النور و رمز النبوة والإشعاع المتألّقة المحلّقة بالسماء، مهدّد بين الفينة والفينة، و ها هو ابن عمّها الرجل الثاني في دنيا الإسلام باب علم النبوة [٥]، و وزيرها المخلص [٦]، و هارونها [٧] المرجى، الذي لم يكن لينفصل ببدايته [٨] الطاهرة عن بداية [صفحة ٢٢] النبوة المباركة، فهو ناصرها في البداية، و أملها الكبير في النهاية، يخسر أخيراً خلافة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و تفوّض معنوياته النورية التي شهدت لها السماء و الأرض جميعاً، و تسقط سوابقه الفدّة عن الاعتبار ببعض المقاييس التي تمّ اصطلاحها في تلك الأحيان. و هنا بكت بكاءً شقيماً ما شاء الله لها أن تبكي، و لم يكن بكاء بمعناه الذي يظهر على الأسارى، و يخيم على المظاهر، بل كان لوعة الضمير، و ارتياح النفس، و انتفاضة الحشرات في أعماق القلب، و ختمت طوافها الأليم هذا بعبرتين ندّتا من مقلتيها. ثمّ لم تطل وقتها، بل اندفعت كالشرارة الملتهبة و حولها صويحاتها حتّى وصلت إلى ميدان الصراع، فوقفت وقتها الخالدة، و أثارت حربها التي استعملت فيها ما يمكن مباشرته للمرأة في الإسلام، و كادت ثورتها البكر أن تلتهم الخلافة لولا أن عاكسها شذوذ الظرف، و تناثرت أمامها العقبات.

اجواء الحدث

تلك هي الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ريحانة النبوة، و مثال العصمة، و هالة النور المشعّة، و بقية الرسول بين المسلمين - في طريقها إلى المسجد - و قد خسرت أبوة هي أزهى الأبوات في تاريخ الإنسان، و أفيضها [صفحة ٢٣] حناناً، و أكثرها إشفاقاً، و أوفرها بركة. و هذه كارثة من شأنها أن تذيب المصاب بها مرارة الموت أو أن تظهر له الموت حلواً شهياً، و أملاً - تيراً. و هكذا كانت الزهراء حينما لحق أبوها بالرفيق الأعلى، و طارت روحه الفرد إلى جنان ربّها راضية مرضية. ثمّ لم تقف الحوادث المرّة عند هذا الحدّ الرهيب، بل عرّضت الزهراء لحطب آخر قد لا يقلّ تأثيراً في نفسها الطهور، و إيقاداً لحزنها، و إذكاء لأساها عن الفاجعة الأولى كثيراً و هو خسارة المجد العظيم سيادة الأمة و زعامتها الكبرى، فقد كان من تشريعات السماء أن يسوس

[٩] آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته و شيعته، لأنهم مشتقاته و مصغراته، و إذا بالتقدير المعاكس يصرف مراكز الزعامة عن أهلها، و مناصب الحكم عن أصحابها، [صفحة ٢٤] و يرتب لها خلفاء و أمراء من عند نفسه. و بهذا و ذاك خسرت الزهراء أقدس النبوات و الأبوات، و أخذت الرئاسة و الزعامات بين عشية و ضحاها، فبعثتها نفسها المطوقة بآفاق من الحزن و الأسف إلى المعركة و مجالاتها، و مباشرة الثورة و الإستمرار عليها. و الحقيقة التي لا شك فيها أن أحداً ممن يوافقها على مبدئها و نهضتها لم يكن ليتمكن أن يقف موقفها، و يستبسل استبسالها في الجهاد إلّا و أن يكون أكله باردة، و طعمه رخيصة لسلطات الحاكمة التي كانت قد بلغت يومذاك أوج الضغط و الشدة. فعلى الإشارة عتاب، و على القول حساب، و على الفعل عقاب [١٠]، فلم يكن ليختلف عما نصطلح عليه اليوم بالأحكام العرفية، و هو أمر ضروري للسلطات يومئذ في سبيل تدعيم أساسها، و تثبيت بنينها. أما إذا كان القائم المدافع بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بضعته [١١] و صورته الناضرة، فهي محفوظة لا خوف عليها بلا شك، باعتبار هذه النبوة المقدسة، و لما للمرأة في الإسلام عموماً من حرمت و خصائص تمنعها و تحميها من الأذى. [صفحة ٢٥]

مستسكات الثورة

ارتفعت الزهراء بأجنحة من خيالها المطهر إلى آفاق حياتها الماضية و دنيا أبيها العظيم التي استحالت حين لحق سيّد البشر بربه إلى ذكرى في نفس الحوراء متألقه بالنور، تمدّ الزهراء في كل حين بألوان من الشعور و العاطفة و التوجيه، و تشيع في نفسها ضروباً من البهجة و النعيم، فهي و إن كانت قد تأخرت عن أبيها في حساب الزمن أياماً أو شهوراً، ولكنها لم تنفصل عنه في حساب الروح و الذكرى لحظة واحدة. و إذن ففي جنبها معين من القوة لا ينضب، و طاقة على ثورة كاسحة لا تخمد، و أضواء من نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و نفس محمد تنير لها الطريق، و تهديها سواء السبيل. و تجرّدت الزهراء في اللحظة التي اختمرت فيها ثورة نفسها عن دنيا الناس، و اتّجهت بمشاعرها إلى تلك الذكرى الحية في نفسها لتستمد منها قسماً من نور في موقفها العصيب، وء صارت تنادي: **إلّى يا صور السعادة التي أفقت منها على شقاء لا- يصطبر عليه... إلّى يا أعزّ روح علّى، و أحبّها إلّى... حدّثني و أفيضى علّى من نورك الإلهي، كما كنت تصنعين معي دائماً. إلّى يا أبى أناجيك إن كانت المناجاة تلذّ لك، و أبّتك همومي كما اعتدت أن أفعل في كل حين، و أخبرك أن تلك الضلال الظليلة التي كانت تقيني من لهيب هذه الدنيا لم يعد لي منها شيء.** [صفحة ٢٦] قد كان بعدك أنباءً و هنبئة لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب [٢٣]. **إلّى يا ذكريات الماضي العزيز حدّثيني حديثك الجذاب و رددي على مسامعي كلّ شيء لاثيرها حرباً لا- هوادة فيها على هؤلاء الذين ارتفعوا أو ارتفع الناس بهم إلى منبر أبى و مقامه، و لم يعرفوا لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم، و لا لبيتهم حرمة تصونه من الإحراق [٢٤] و التخريب، ذكّرني بمشاهد أبى و غزواته ألم يكن يقصّ علّى ألواناً من بطولته أخيه و صهره و استبساله في الجهاد [١٤]، و تفوّقه على سائر الأنداد، و وقوفه إلى صفّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أشدّ الساعات، و أعنف المعارك التي فرّ فيها فلان و فلان و تقاصر عن اقتحامها [١٥] الشجعان. أيصّح بعد هذا أن نضع أبا بكر على منبر النبيّ و ننزل بعليّ عمّا يستحقّ من مقام؟! [صفحة ٢٧] خبريني يا ذكريات أبى العزيز أليس أبو بكر هو الذي لم يأت منه الوحي على تبليغ [١٦] آية للمشركين؟ وانتخب للمهمّة علّياً، فماذا يكون معنى هذا إن لم يكن معناه أن علّياً هو الممثل الطبيعي للإسلام الذي يجب أن تستند إليه كلّ مهمّة لا يتيسر للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مباشرةها؟ إنّي لأتذكر بوضوح ذلك اليوم العصيب الذي أرفج فيه المرجفون لما استخلف أبى علّياً على المدينة و خرج إلى الحرب، فوضعوا لهذا الاستخلاف [١٧] ما شاؤوا من تفاسير، و كان علّياً ثابتاً كالطود لا تزعه مشاغبات المشاغبين، و كنت أحاول أن يلتحق بأبى ليحدّثه بحديث الناس، و أخيراً لحقّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ رجع مهلّل الوجه ضاحك الأسارير، تحمله الفرحة إلى قرينته الحبيبة ليزفّ إليها بشرى لا بمعنى من معاني الدنيا بل بمعنى من معاني السماء. فقصّ علّى كيف استقبله النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و رحّب به و قال له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى» [١٨]، و هارون موسى كان شريكاً له في الحكم، و إماماً لأمته، و**

معداً لخلافته، فلا يُدَّ أن يكون هارون محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولياً للمسلمين و خليفته فيهم من بعده. [صفحة ٢٨] و لما وصلت إلى هذه النقطة من أفكارها المتدفقة صرخت إن هذا هو الانقلاب الذي أنذر الله تعالى في كتابه إذ قال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) [١٩]. فها هم الناس قد انقلبوا على أعقابهم، واستولى عليهم المنطق الجاهلي الذي تبادلته الحزبان في السقيفة حين قال أحدهما: «نحن أهل العزة والمنعة، وأولوا العدد والكثرة، وأجابه الآخر: من ينازعنا سلطان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أولياؤه وعترته» [٢٠] وسقط الكتاب والسنة في تلك المقاييس ثم أخذت تقول: يا مبادئ محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جرت في عروقي منذ ولدت كما يجري الدم في العصب، إن عمر الذي هجم عليك في بيتك المكي الذي أقامه النبي مركزاً لدعوته قد هجم على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دارهم وأشعل النار فيها أو كاد... [٢١]. يا روح أُمِّي العظيمة إِنَّكِ أَلْقَيْتِ عَلَيَّ دَرْسًا خَالِدًا فِي حَيَاةِ النُّضَالِ الْإِسْلَامِيِّ بِجِهَادِكَ الرَّائِعِ فِي صَفِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَسَوْفَ أَجْعَلُ مِنْ نَفْسِي خَدِيجَةً عَلَيَّ فِي مَحَنَتِهِ الْقَائِمَةِ [٢٢]. [صفحة ٢٩] لبيك لبيك يا أمّاه إنني أسمع صوتك في أعماق روحي يدفعني إلى مقاومة الحاكمين. فسوف أذهب إلى أبي بكر لأقول له: «لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة» [٢٣]، ولأتبه المسلمين إلى عواقب فعلتهم والمستقبل القاتم الذي بنوه بأيديهم وأقول: «لقد لقت فنظرة ريشما تحلب، ثم احتلبوها طلوع القعب دماً عيطاً، وهناك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غب ما أسس الأولون» [٢٤]. ثم اندفعت إلى ميدان العمل وفي نفسها مبادئ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروح خديجة، وبطولة علي، وإشفاق عظيم على هذه الأمة من مستقبل مظلم.

طريق الثورة

لم يكن الطريق الذي اجتازته الثائرة طويلاً، لأن البيت الذي انبعث منه شرر الثورة و لهيها هو بيت علي عليه السلام، بالطبع الذي كان يصطحب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت النبوة [٢٥]، وهو جار المسجد [٢٦] لا يفصل بينهما سوى جدار [صفحة ٣٠] واحد، فلعلها دخلته من الباب المتصل به، والمؤدى إليه من دارها مباشرة، كما يمكن أن يكون مدخلها الباب العام. ولا يهمننا تعيين أحد الطريقين، وإن كنت أرجح أنها سلكت الباب العام لأن سياق الرواية التاريخية التي حكّت لنا هذه الحركة الدفاعية يعشر بهذا، فإن دخولها من الباب الخاص لا يكلفها سيراً في نفس المسجد، ولا اجتياز طريق بينه وبين بيتها، فمن أين للراوى أن يصف مشيها، و ينعته بأنه لا يخرم مشية [٢٧] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يكن معها بالطبع؟! ولو تصوّرنا أنها سارت في نفس المسجد، لا ينتهي سيرها بالدخول على الخليفة، وإنما يبتدئ بذلك، لأن من دخل المسجد صدق عليه أنه دخل على من فيه، وإن سار في ساحته مع أن الراوى يجعل دخولها على أبي بكر متعقباً لمشيها، وهذا وغيره يكون قرينه على ما استقريناه.

النسوة

وتدلنا الرواية على أن الزهراء كانت تصحب معها نسوة [٢٨] من قومها وحفدتها كما سبق ذكره، و مردّ هذه الصحبة و ذلك الاختيار للباب العام إلى أمر واحد، وهو تنبيه الناس، و كسب التفاتهم باجتيازها في الطريق مع تلك النسوة ليجمعوا في المسجد، و يتهافتوا حيث ينتهي بها السير بقصد التعرف [صفحة ٣١] على ما تريده، و تعزم عليه من قول أو فعل، و بهذا تكون المحاكمة عليّة عليها أسماء عامة المسلمين في ذلك الوسط المضطرب.

ظاهرة

سبق أن الرواية التاريخية جاءت تنص على أن الزهراء لم تكن لتخرم في مشيتها مشية أبيها صلى الله عليه وآله وسلم. و يتسع لنا

المجال لفلسفة هذا التقليد الدقيق، فلعنه كان طبيعاً قد جرت عليها في موقفها هذا بلا تكلف ولا اعتناء خاص، وليس هذا بعيداً فإنها (صلوات الله عليها) قد اعتادت أن تقلد أباهاً و تحاكيه في سائر أفعالها و أقوالها، و يحتمل أن يكون لهذه المشابهة المتقنة وجه آخر بأن كانت الحوراء قد عمدت في موقفها يومذاك إلى تقليد أبيها في مشيه عن التفات و قصد فأحكمت التمثيل، و أجادت المحاكاة، فلم تكن لتخرم مشية النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أرادت بهذا أن تستولى على المشاعر و إحساس الناس، و عواطف الجمهور بهذا التقليد الباهر الذي يدفع بأفكارهم إلى سفر قصير، و تجول لذيذ في الماضي القريب حيث عهد النبوة المقدس، و الأيام الضواحك التي قضوها تحت ظلال نبيهم الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم؛ فيكون في إرهاف هذه الإحساسات و صقلها صقلاً عاطفياً ما يمهد للزهراء الشروع في مقصودها، و يوطئ القلوب لتقبل دعوتها الصارخة، و استجابة استنقاذها الحزين، و نجاح محاولتها اليائسة أو شبه اليائسة. و لذا ترى أن الراوى نفسه أثرت عليه هذه الناحية أيضاً من حيث يشعر أو لا يشعر، و دفعه تأثره هذا إلى تسجيلها فيما سجل من تصوير الحركة [صفحة ٣٢] الفاطمية. صرخة باركتها الزهراء، و رعتها السماء فكانت عند اندلاعها محط الثقل الذي تركه عنده الحق المذبوح، و المحاولة اليائسة التي شاعت حولها ابتسامات أمل استحالت بعد انتهائها إلى عبوس مرير، و بأس ثابت، و استسلام فرضته حياة الناس الواقعة يومذاك. ثورة لم تكن لتقصدها بها النائرة نتيجة لها على ما يطرد في الثورات الأخرى بقدر ما كانت تهدف إلى تثبيت الثورة لذاتها، و تسجيلها فيما يسجله التاريخ في سطور البارزة، فكانت الثورة على هذا بنفسها تؤدي الغرض كاملاً غير منقوص، و هذا ما وقع بالفعل و به نفس الحكم بنجاحها و إن فشلت كما سنوضحه في موقع آخر من هذا الكتاب. [صفحة ٣٣]

فدك بمعناها الحقيقي والرمزي

إشاره

بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم و سحت عنها نفوس آخرين. (قرين الزهراء) أمير المؤمنين عليه السلام [نهج البلاغة / تنظيم صبحي الصالح: ٤١٦] [صفحة ٣٥]

الموقع

فدك: قرية في الحجاز، بينها و بين المدينة يومان، و قيل ثلاثة، و هي أرض يهودية في مطلع تاريخها المأثور [٢٩]. و كان يسكنها طائفة من اليهود، و لم يزلوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالربح في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على النصف من فدك و روى أنه صالحهم عليها كلها [٣٠].

فدك في أدوارها الاولى

و ابتداءً بذلك تاريخها الإسلامي، فكانت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؛ لأنها ممّا لم [صفحة ٣٦] يوجف عليها بخيل و لا ركاب [٣١]، ثم قدمها لابنته الزهراء [٣٢]، و بقيت عندها حتى توفي أبوها صلى الله عليه و آله و سلم فانتزعتها الخليفة الأول رضی الله عنه - على حدّ تعبير صاحب الصواعق المحرقة [٣٣] - و أصبحت من مصادر المائتة العامية و موارد ثروة الدولة يومذاك، حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكاً إلى ورثة [٣٤] رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بقيت فدك عند آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم على ما قيل [٣٥]، ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرّح عنها بشيء. ولكن الشيء الثابت هو أن أمير المؤمنين علياً انتزعتها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان - كسائر ما

نهبه بنو أمية في أيام خليفتهم.

في عهد أمير المؤمنين

وقد ذكر بعض المدافعين عن الخليفة في مسألة فدك أن علياً لم يدفعها عن المسلمين بل أتبع فيها سيرة أبي بكر، فلو كان يعلم بصواب الزهراء وصحة دعواها ما انتهج ذلك المنهج. ولا أريد أن أفتح في الجواب بحث التقيّة على مصراعيه وأوجه بها [صفحة ٣٧] عمل أمير المؤمنين، وإنما أمتنع أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد سار على طريقة الصديق، فإن التاريخ لم يصرح بشيء من ذلك، بل صرح بأن أمير المؤمنين كان يرى فدك لأهل البيت، وقد سجّل هذا الرأي بوضوح في رسالته إلى عثمان بن حنيف [٣٦] كما سيأتي. فمن الممكن أنه كان يخصّ ورثه الزهراء وهم أولادها وزوجها بحاصلات فدك، وليس في هذا التخصيص ما يوجب إشاعة الخبر؛ لأن المال كان عنده وأهله الشرعيون هو وأولاده. كما يحتمل أنه كان ينفق غلاتها في مصالح المسلمين برضى منه و من أولاده عليهم الصلاة والسلام [٣٧]، بل لعلهم أوقفوها وجعلوها من الصدقات العامة.

في فترة الامويين

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أمتنع في السخريّة وأكثر من الاستخفاف بالحقّ المهضوم، فأقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وعمر بن عثمان ثلثها، ويزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها [٣٨] حتى خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيام ملكه، ثم صفت لعمر بن عبدالعزيز بن مروان، فلما تولّى هذا الأمر ردّ فدك على ولد فاطمة عليها السلام وكتب إلى واليه على [صفحة ٣٨] المدينة أبي بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه: «إن فاطمة عليها السلام قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أردّ منهم؟ فكتب إليه: أمّا بعد، فإنّي لو كتبت إليك آمرك أن تذبح بقرة لسألتنى ما لونها فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة عليها السلام من على عليه السلام» [٣٩]، فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبدالعزيز وعاتبوه فيه وقالوا له: «هجنّت فعل الشيخين». وقيل: إنّه خرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال لهم: «إنكم جهلتم وعلمت، ونسيتم وذكرت، إن أبابكر بن محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «فاطمة بضعة منّي يسخطها ما يسخطني، ويرضيني ما أرضاها» [٤٠] وإنّ فدك كانت صافية على عهد أبي بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبدالعزيز أبي فورثتها أنا واخوتي عنه فسألتهم أن يبيعوني حصّتهم منها فمّن بائع وواهب حتّى استجمعت لى فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة»، فقالوا له: «فإن أبيت إلّا هذا فامسك الأصل واقسم الغلّة، ففعل» [٤١]. ثم انترعها يزيد بن عبدالملك من أولاد فاطمة فصارت في أيدي بني مروان حتّى انقرضت دولتهم [٤٢]. [صفحة ٣٩]

في فترة العباسيين

فلما قام أبو العباس السفّاح بالأمر وتقلّد الخلافة ردّها على عبداللّه بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن و ردّها المهديّ بن المنصور على الفاطميين ثم قبضها موسى بن المهدي من أيديهم [٤٣]. ولم تزل في أيدي العباسيين حتّى تولّى المأمون الخلافة فردّها على الفاطميين سنة (٢١٠ هـ) وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: «أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والقربان به أولى من استنّ سنته، ونفد أمره، وسلم لمن منحه منحةً وتصدّق عليه بصدقة منحتة وصدقته، وباللّه توفيق أمير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله فدك وتصدّق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى

أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقريباً إلى الله تعالى بإقامه حقه و عدله و إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بتنفيذه أمره و صدقته، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله، فلئن كان يُنادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عتده ذلك فيقبل قوله و تنفذ عتده، إن فاطمة (رضي الله عنها) لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل [صفحة ٤٠] رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لها، و قد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري - مولى أمير المؤمنين - يأمره برّد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة إليها و ما فيها من الرقيق والغلات و غير ذلك، و تسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب و محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها. فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين و ما ألهمه الله من طاعته و وقفه له من التقرب إليه و إلى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و عمله من قبلك، و عامل محمد بن يحيى و محمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري، و أعنهما على ما في عمارتها و مصلحتها و وفور غلاتها إن شاء الله و السلام [٤٤]. و لَمَّا بُويع المتوكل على الله انتزعها من الفاطميين و أقطعها عبد الله بن عمر البازيار و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بيده الكريمة، فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلاً يقال له: بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرم تلك النخيل ثم عاد إلى البصرة ففُتِح [٤٥]. و ينتهي آخر عهد الفاطميين بفدك بخلافه المتوكل و منحه إياها عبد الله ابن عمر البازيار [٤٦]. هذه إمامة مختصرة بتاريخ فدك المضطرب الذي لا يستقيم على خط و لا يجمع على قاعدة، و إنما حاك أكثره الأهواء، و صاغته الشهوات على ما اقتضته المطامع و السياسات الوقتية، و على هذا فلم يخل هذا التاريخ من [صفحة ٤١] اعتدال و استقامة في أحيان مختلفة، و ظروف متباعدة، حيث توكل فدك إلى أهلها و أصحابها الأولين. و يلاحظ أن مشكلة فدك كانت قد حازت أهمية كبرى بنظر المجتمع الإسلامي و أسياده، و لذا ترى حلها يختلف باختلاف سياسة الدولة، و يرتبط باتجاه الخليفة العام نحو أهل البيت مباشرة؛ فهو إذا استقام اتجاهه، و اعتدل رأيه، رّد فدك على الفاطميين، و إذا لم يكن كذلك وقع انتزاع فدك في أول القائمة من أعمال ذلك الخليفة.

القيمة المعنوية والمادية لفدك

و يدلنا على مدى ما بلغت فدك من القيمة المعنوية في النظر الإسلامي قصيدة دعبل الخزاعي التي أنشأها حينما ردّ المأمون فدك و مطلعها: أصبح وجه الزمان قد ضحكاً بردّ مأمون هاشم فدكا [٤٧]. و قد بقيت كلمه بسيطة و هي أن فدك لم تكن أرضاً صغيرة أو مزرعاً متواضعاً كما يظن البعض، بل الأمر الذي أطمئن إليه أنها كانت تدّر على صاحبها أموالاً طائلة تشكل ثروة مهمة و ليس على بعد هذا أن أحدّد الحاصل السنوي منها و إن ورد في بعض طرقنا الارتفاع به إلى أعداد عالية جداً. و يدل على مقدار القيمة المادية لفدك أمور: (الأول) ما سيأتي من أن عمر منع [٤٨] أبابكر من ترك فدك للزهاء لضعف المائة العامة مع احتياجها إلى التقوية لما يتهدد الموقف من حروب الردة و ثورات العصاة. [صفحة ٤٢] و من الجلي أن أرضاً يستعان بحاصلاتها على تعديل ميزانية الدولة، و تقوية مالياتها في ظروف حرجة كظرف الثورات و الحروب الداخلية لا بدّ أنها ذات نتاج عظيم. (الثاني) قول الخليفة لفاطمة في محاوره له معها حول فدك: «إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و إنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال و ينفقه في سبيل الله» [٤٩]، فإنّ تحميل الرجال لا يكون إلا بمال مهم تتقوم به نفقات الجيش. (الثالث) ما سبق من تقسيم معاوية فدك أثلاثاً [٥٠]، و إعطائه لكل من يزيد و مروان و عمرو بن عثمان ثلثاً، فإنّ هذا يدل بوضوح على مدى الثروة المجتناة من تلك الأرض، فإنها بلا شكّ ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على أمراء ثلاثة من أصحاب الثراء العريض و الأموال الطائلة. (الرابع) التعبير عنها بقريه كما في معجم البلدان [٥١]، و تقدير بعض نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري كما في شرح النهج لابن أبي الحديد [٥٢]. [صفحة ٤٣]

تاريخ الثورة

إشارة

قد كان بعدك أنباءً و هنبشاً لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ أبدتُ رجالاً لنا نجوى صيدورهم لما مضيت و حالت دونك التربُ شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٢ صبّت على مصائب لو أنها صبّت على الأيام صرّناً لياليا قد كنتُ أرتع تحت ظلّ محمّد لا اختشى ضيماً و كان جماليا واليوم أخضع للذليل و أتقى ضيمى و أدفع ظالمى بردائيا الزهراء عليها السلام [صفحة ٤٥]

منهج دراسة التاريخ

إذا كان التجرد عن المرتكزات، والأناة فى الحكم، والحرية فى التفكير شروطاً للحياة الفكرية المنتجة، وللبراعة الفنية فى كل دراسة عقلية مهما يكن نوعها، و مهما يكن موضوعها، فهى أهم الشروط الأساسية لإقامة بناء تاريخى محكم لقضايا أسلافنا ترتسم فيه خطوط حياتهم التى صارت ملكاً للتاريخ، و يصوّر عناصر شخصياتهم التى عرفوها فى أنفسهم أو عرفها الناس يومئذ فيهم، و يتسع لتأملات شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم يتعرّف بها على لونه التاريخى والاجتماعى و وزنه فى حساب الحياة العامة، أو فى حساب الحياة الخاصة التى يعنى بها الباحث، و تكون مداراً لبحثه، كالحياة الدينية، والأخلاقية، والسياسية إلى غير ذلك من النواحي التى يأتلف منها المجتمع الإنسانى على شرط أن تستمد هذه التأملات كيانها النظرى من عالم الناس المنظور لا من عالم تبتدعه العواطف والمرتكزات، و ينشئه التعبد والتقليد، و لا من خيالٍ مُجنّج يرتفع بالتوافه و السفساف إلى الذرورة، و يبنى عليها ما شاء من تحقيق و نتائج، و لا من قيود لم يستطع الكاتب أن يتحرّر عنها ليتأمل و يفكر كما تشاء له أساليب البحث العلمى النزيه. [صفحة ٤٦] و أما إذا جئنا للتاريخ لا لنسجّل واقع الأمر خيراً كان أو شراً، و لا لنجس دراستنا فى حدودٍ من مناهج البحث العلمى الخالص، و لا لنجمع الاحتمالات و التقديرات التى يجوز افتراضها ليسقط منها على محكّ البحث ما يسقط و يبقى ما يلىق بالتقدير والملاحظة، بل لنستلهم عواطفنا و موروثاتنا و نستمدّ من وحيها الأخاذ تاريخ أجيالنا السابقة، فليس ذلك تاريخاً لأولئك الأشخاص الذين عاشوا على وجه الأرض يوماً ما، و كانوا بشراً من البشر تتنازعهم ضروب شتى من الشعور والإحساس، و تختلج فى ضمائرهم ألوان مختلفه من نوازع الخير و نزعات الشرّ، بل هو ترجمة لأشخاص عاشوا فى ذهننا و طارت بهم نفوسنا إلى الآفاق العالية من الخيال. فإذا كنت تريد أن تكون حرّاً فى تفكيرك، و مؤرخاً لدنيا الناس لا روائياً يستوحى من دنيا ذهنه ما يكتب، فضع عواطفك جانباً أو إذا شئت فاملاً بها شعاب نفسك فهى ملكك لا ينازعك فيها أحد، واستثن تفكيرك الذى به تعالج البحث، فإنه لم يعد ملكك بعد أن اضطلعت بمسؤولية التاريخ و أخذت على نفسك أن تكون أميناً ليأتى البحث مستوفياً لشروطه قائماً على أسس صحيحة من التفكير و الاستنتاج [٥٣]. كثيرة جداً هذه الأسباب التى تحول بين نقاد التاريخ و بين حريتهم فيما يقدون، و قد اعتاد المؤرخون أو أكثر المؤرخين بتعبير أصحّ، أن [صفحة ٤٧] يقتصروا على ضروب معينة من هندسة الحياة التى يؤرخونها، و أن يصوغوا التاريخ صياغة قد يظهر فيها الجمال الفنّى أحياناً حينما يتوسّع الباحث فى انطباعاته عن الموضوع، ولكنها صورة باهتة فى أكثر الأحيان ليس فيها ما فى دنيا الناس التى تصوّرهم من معانى الحياة و شؤونها المتدفقة بألوان من النشاط، والحركة، والعمل، و سوف تجد فيما يأتى أمثلة بمقدار ما يتسع له موضوعنا من الزمن الدقيق الذى ندرسه فى هذه الفصول أعنى الظرف الذى تلا وفاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تقررت فيه المسألة الأساسية فى تاريخ الإسلام على شكل لا يتغير، و هى نوع السلطة التى ينبغى أن تتولّى أمور المسلمين.

تقويم تاريخ صدر الإسلام

كلّنا نودّ أن يكون التاريخ الإسلامى فى عصره الأوّل الزهرا طاهراً كلّ الطهر، بريئاً ممّا يخالط الإنسانية من مضاعفات الشرّ و مزالق

الهوى، فقد كان عصراً مشعاً بالمثاليات الرفيعة، إذ قام على إنشائه أكبر المنشئين للعصور الإنسانية في تاريخ هذا الكوكب على الإطلاق، وارتقت فيه العقيدة الإلهية إلى حيث لم ترتق إليه الفكرة الإلهية في دنيا الفلسفة والعلم، فقد عكس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روحه في روح ذلك العصر، فتأثر بها وطبع بطابعها الإلهي العظيم، بل فنى الصفوة من المحمديين في هذا الطابع فلم يكن لهم اتجاه إلا نحو المبدع الأعظم الذي ظهرت وتألفت منه أنوار الوجود وإليه تسير، كما كان أستاذهم الأكبر الذي فنى الوجود المنبسط كله بين عينيه ساعة هبوط الرسالة السماوية عليه. فلم يكن يرى شيئاً ولا يسمع صوتاً سوى الصوت الإلهي المنبعث من كل صوب وحذب، وفي كل جهة من جهات الوجود، وناحية من نواحي الكون يعلن تقليده الشارة الكبرى. [صفحة ٤٨] إنَّ عصراً تلغى فيه قيمة الفوارق المادية على الإطلاق، ويستوى فيه الحاكم والمحكوم في نظر القانون [٥٤]، ومجالات تنفيذه، وجعل مدار القيمة المعنوية، والكرامة المحترمة فيه تقوى الله [٥٥] التي هي تطهير روحى، وصيانة للضمير، وارتفاع بالنفس إلى آفاق من المثالية الرفيعة، ويحرم في عرفه احترام الغنى لأنه غنى، وإهانة الفقير لأنه فقير، ولا يفرق فيه بين الأشخاص إلا بمقدار الطاقة الانتاجية (لها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [٥٦]. ويتسارع فيه إلى الجهاد لصالح النوع الإنساني الذى معناه إلغاء مذهب السعادة الشخصية فى هذه الدنيا، وإخراجها عن حساب الأعمال [٥٧]. (أقول) إنَّ العصر الذى تجتمع له كل هذه المفاسد لهو خليف بالتقديس والتبجيل والإعجاب والتقدير، ولكن ماذا أرانى دفعت إلى التوسيع فى أمر لم أكن أريد أن أطيل فيه؟ وليس لى أن أفترط فى جنب الموضوع الذى أحاوله بالتوسيع فى أمر آخر، ولكنها الحماسة لذلك العصر هى التى دفعتنى إلى ذلك، فهو بلا ريب زين العصور فى الروحانية والاستقامة. أنا أفهم هذا [صفحة ٤٩] جيداً، وأوافق عليه متحمساً [٥٨]، ولكنى لا أفهم أن يمنع عن التعمق فى الدرس العلمى، أو التمحيص التاريخى لموضوع كموضوعات الساعة التى نتكلم عنها من مراحل ذلك الزمن، أو يُحظر علينا أن نبدأ البحث فى مسألة فدك على أساس أن أحد الخصمين كان مخطئاً فى موقفه بحسب موازنى الشريعة ومقاييسها، أو أن نلاحظ أن قصّة الخلافة وفكرة السقيفة لم تكن مرتجلة ولا وليدة يومها إذا دلنا على ذلك سير الحوادث حينذاك، وطبيعة الظروف المحيطة بها. وأكبر الظن أن كثيراً من ذهب فى تحليل مناقب لك العصر وماثره مذهباً جعله يعتقد أن رجالات الزمن الخالى، وبتعبير أوضح تحديداً أن أبابكر وعمر وأضرابهما الذين هم من موجهى الحياة العامة يومئذ لا يمكن أن يتعرضوا لنقد أو محاكمة، لأنهم بُنوا ذلك العصر، والواضعون لحياته خطوطها الذهبيّة، فتاريخهم ذلك العصر، وتجريدهم عن شىء من مناقبهم تجريد لذلك العصر عن مثاليته التى يعتقدونها فيه كل مسلم. وأريد أن أترك لى كلمة مختصرة فى هذا الموضوع فيها مادة لبحث طويل، ولمحة من دراسة مهمّة قد أعرض لها فى فرصة أخرى من فرص التأليف، وأكتفى الآن أن أتساءل عن نصيب هذا الرأى من الواقع. [صفحة ٥٠] صحيح أن الإسلام فى أيام الخليفين كان مهيماً، والفتوحات متصلة والحياة متدفقة بمعانى الخير، وجميع نواحيها مزدهرة بالانبعاث الروحى الشامل، واللون القرآنى المشع، ولكن هل يمكن أن نقبل أن التفسير الوحيد لهذا وجود الصديق أو الفاروق على كرسى الحكم؟ [٥٩]. والجواب المفصل عن هذا السؤال نخرج بيانه عن حدود الموضوع، ولكننا نعلم أن المسلمين فى أيام الخليفين كانوا فى أوج تحمسهم لدينهم، والاستبسال فى سبيل عقيدتهم، حتى إنَّ التاريخ سجّل لنا «إنَّ شخصاً أجاب عمر حينما صعد يوماً على المنبر وسأل الناس: لو صرفناكم عمياً تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟- إذن كنا نستتيك فإن تبت قبلناك، فقال عمر: وإن لم؟- قال: نضرب عنقك الذى فيه عيناك. فقال عمر: الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا عوججنا أقام أودنا» [٦٠]. ونعلم أيضاً أن رجالات الحزب المعارض- وأعنى به أصحاب عليّ- كانوا بالمرصاد للخلافة الحاكمة، وكان أى زلل وانحراف مشوّه للون الحكم حينذاك كفيلاً. بأن يقبلوا الدنيا رأساً على عقب، كما قلبوها على عثمان- يوم اشترى قصرًا، ويوم ولّى أقاربه، ويوم عدل عن السيرة النبويّة المثلى [٦١]- مع أن الناس فى أيام عثمان كانوا أقرب إلى الميوعة [٦٢] فى الدين [صفحة ٥١] واللين والدعة منهم فى أيام صاحبيه. ونفهم من هذا أن الحاكمين كانوا فى ظرف دقيق لا يتسع للتغيير والتبديل فى أسس السياسة ونقاطها الحساسة لو أرادوا إلى ذلك سيلاً لأنهم تحت مراقبة النظر الإسلامى العام الذى كان مخلصاً كل الإخلاص لمبادئه، وجاعلاً لنفسه حقّ الإشراف على الحكم

والحاكمين، ولأنهم يتعرضون لو فعلوا شيئاً من ذلك لمعارضةً خطيرةً من الحزب الذي ما يزال يؤمن بأن الحكم الإسلامي لا يُبدَأ أن يكون مطبوعاً بطابع محمدى خالص، وأن الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يطبعه بهذا الطابع المقدس هو على - وارث رسول الله ووصيه وولى المؤمنين من بعده [٦٣]. و أما الفتوحات الإسلامية فكان لها الصدارة في حوادث تلك الأيام و لكننا جميعاً نعلم أيضاً أن ذلك لا يسجل للحكومة القائمة في أيام الخلفيتين بلونها المعروف مجدداً في حساب التاريخ ما دام كل شأن من شؤون الحرب و معداته و أساليبه يتبعها بعمل أشبه ما يكون بالعمل الإجماعي من الأمة الذي تعبّر به عن شخصيتها الكاملة تعبيراً عملياً خالداً، و لا يعبر عن شخصيته الحاكم الذي لم يصل إليه من لهيب الحرب شرر، و لم يستقل فيه برأى، و لم يتبعها له إلا بأمر ليس له فيه أدنى نصيب، فإن خليفة الوقت سواء أكان وقت فتح الشام أو العراق و مصر لم يعلن بكلمة الحرب عن قوة حكومته و مقدرة شخصه على أن يأخذ لهذه الكلمة أهبتها، بل أعلن عن قوة [صفحة ٥٢] الكلمة النبوية التي كانت وعداً قاطعاً بفتح بلاد كسرى و قيصر [٦٤] اهتزت له قلوب المسلمين حماساً و أملاً بل إيماناً و يقيناً، و يحدثنا التاريخ أن كثيراً ممن اعتزل الحياة العملية بعد رسول الله لم يخرج عن عزلته إلى مجالات العمل إلا حين ذكر هذا الحديث النبوي، فقد كان هو و الإيمان المترکز في القلوب القوة التي هيأت للحرب كل ظروفه و كل رجاله و إمكانياته. و أمر آخر هيأ للمسلمين أسباب الفوز، و أنالهم النصر في معارك الجهاد لا يتصل بحكومة الشورى عن قرب أو بعد، و هو الصيت الحسن الذي نشره رسول الله للإسلام في آفاق الدنيا، و أطراف المعمورة، فلم يكن يتوجه المسلمون إلى فتح بلد من البلاد إلا كان أمامهم جيش آخر من الدعايات و الترويجات لدعوتهم و مبادئهم [٦٥]. و في أمر الفتوحات شيء آخر هو الوحيد الذي كان من وظيفة الحاكمين و حدهم القيام به دون سائر المسلمين الذين هيئوا ببقية الأمور و هو ما يتلو الفتح من بث الروح الإسلامية، و تركيز مثاليات القرآن في البلاد المفتوحة، و تعميق الشعور الوجداني و الديني في الناس الذي هو معنى وراء الشهادات، و لا أدري هل يمكننا أن نسجل للخلفيتين شيئاً من البراعة في هذه الناحية، أو نشك في ذلك كل الشك كما صار إليه بعض الباحثين، و كما يدل عليه تاريخ البلاد المفتوحة في الحياة الإسلامية. لقد كانت الظروف كلها تشارك الخلفيتين في تكوين الحياة العسكرية المنتجة التي قامت على عهدهما، و في بناء الحياة السياسية الخاصة التي اتخذها. [صفحة ٥٣] و لا أدري ماذا كان موقفهما لو قدر لهما و لعل أن يتبادلوا ظروفهم فيقف الصديق و الفاروق موقف الإمام و يسود في تلك الظروف التي كانت كلها تشجع على بناء سياسة، و منهج لحكم جديد، و إنشاء حياة لها من ألوان الترف، و ضروب النعيم حظّ عظيم، فهل كانا يعاكسان تلك الظروف كما عاكسها أمير المؤمنين؟... فضرب بنفسه مثلاً في الإخلاص للمبدأ و النزاهة في الحكم. و أنا لا أقصد بهذا أن أقول إن الخلفيتين كانا مضطرين اضطراراً إلى سيرة رشيدة في الحكم، و اعتدال في السياسة و الحياة، و مرغمين على ذلك، و إنما أعني أن الظروف المحيطة بهما كانت تفرض عليهما ذلك سواء أكانا راغبين فيه أو مُكرهين عليه. كما أتى لا أريد أن أجردهما عن كل أثر في التاريخ، و كيف يسعني شيء من ذلك، و هما اللذان كتبا يوم السقيفة سطور التاريخ الإسلامي كله، و إنما عنيت أنهما كانا ضعيفي الأثر في بناء تاريخ أيامهما خاصة، و ما ازدهرت به من حياة مكافحة و حياة فاضلة.

مع العقاد في دراسته

أكتب هذا كله و بين يدي كتاب (فاطمة و الفاطميون) للأستاذ عباس محمود العقاد، و قد جئته بشوق بالغ لأرى ما يكتب في موضوع الخصومة بين الخليفة و الزهراء، و أنا على يقين من أن أيام التعبد [٦٦] بأعمال السالفين [صفحة ٥٤] و تصويبها على كل تقدير قد انتهت، و أن الزمان الذي يتحاشى فيه عن التعمق في شيء من مسائل الفكر الإنساني ديناً كانت، أو مذهباً أو تاريخاً أو أي شيء آخر قد مضى مع ما مضى من تاريخ الإسلام بعد أن طال قروناً. ولعل الخليفة الأول كان هو أول من أعلن ذلك المذهب عندما صرخ في وجه من سألته عن مسألة الحرية الإنسانية و القدر و هده و توعدّه [٦٧] و لكن أليس قد أراحنا الله تعالى من هذا المذهب الذي يسىء إلى روح الإسلام؟ و إذن فكان لي أن أتوقع بحثاً لذيذاً يتحفنا به الأستاذ في موضوع الخصومة من شتى نواحيها، و لكن الواقع كان

على عكس ذلك، فإذا بكلمة الكتاب حول الموضوع قصيرة وقصيرة جداً و إلى حدّ أستبيح لنفسى أن أنقلها و أعرضها عليك دون أن أطيل عليك، فقد قال: (والحديث في مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التي لا تنتهى إلى مقطع للقول متفق عليه، غير أن الصدق فيه: لا مرأ أن الزهراء أجل من أن تطلب ما ليس لها بحقّ و أنّ الصديق أجل من أن يسلبها حقّها الذى تقوم به البيئته عليه، و من أسخف ما قيل أنه إنّما منعها فدك مخافة أن ينفق على من غلّتها على الدعوة إليه؛ فقد ولى الخلافة أبوبكر و عمر و عثمان و على و لم يسمع أن أحداً بايعهم لمالٍ أخذه منهم و لم يرد ذكر شيء من هذا فى إشاعته و لا فى خبر يقين، و ما نعلم تزكية لذمة الحكم من عهد الخليفة الأول أوضح بينه من حكمه فى مسألة فدك، فقد كان يكسب برضى فاطمة و يرضى الصحابة برضاها و ما أخذ من فدك شيئاً لنفسه فيما ادّعا عليه مدّع، [صفحة ٥٥] و إنّما هو الحرج فى ذمّة الحكم بلغ أقصاه بهذه القضية بين هؤلاء الخصوم الصادقين المصدّقين رضوان الله عليهم أجمعين انتهى) [٦٨]. و نلاحظ قبل كلّ شيء أن الأستاذ شاء أن يعتبر البحث فى مسألة فدك لوناً من ألوان النزاع التي ليس لها قرار، و لا يصل الحديث فيه إلى نتيجة فاصلة ليقدم بذلك عذره عن التوفّر على دراستها، واعتقد أنّ فى محاكمات هذا الكتاب التي سترد عليك جواباً عن هذا، و نلاحظ أيضاً أنّه بعد أن جعل مسألة فدك من الأحاديث التي لا تنتهى إلى مقطع للقول متفق عليه، رأى أنّ فيها حقيقتين لامرأ فيهما و لا جدال: (أحدهما) أنّ الصديقه أرفع من أن تنالها تهمة بكذب. و (الأخرى) أنّ الصديق أجل من أن يسلبها حقّها الذى تثبته البيئته. فإذا لم يكن فى صحّة موقف الخليفة و اتفاهه مع القانون جدال، فميم الجدال الذى لا قرار له؟! و لم لا تنتهى مسألة فدك إلى مقطع للقول متفق عليه؟! و أنا أفهم أنّ للكاتب الحرّية فى أن يسجّل رأيه فى الموضوع أى موضوع كما يشاء و كما يشاء له تفكيره بعد أن يرسم للقارئ مدارك [٦٩] ذلك الرأى و بعد أن يدخل تقديرات المسألة كلّها فى الحساب ليخرج منها بتقدير معين، ولكنى لا أفهم أن يقول أنّ المسألة موضوع لبحث الباحثين ثم لا يأتى إلّا برأى مجرّد عن المدارك يحتاج إلى كثير من الشرح والتوضيح و إلى كثير من البحث والنظر، فإذا كانت الزهراء أرفع من كلّ تهمة فما [صفحة ٥٦] حاجتها إلى البيئته؟ و هل تمنع التشريعات القضائية فى الإسلام عن أن يحكم العالم استناداً إلى علمه [٧٠]؟ و إذا كانت تمنع عن ذلك فهل معنى هذا أن يجوز فى عرف الدين سلب الشيء من المالك؟ هذه أسئلة، و معها أسئلة أخرى أيضاً فى المسألة تتطلّب جواباً علمياً، و بحثاً فى ضوء أساليب الاستنباط فى الإسلام. و أريد أن أكون حُرّاً، و إذن فإنّى أستميح الأستاذ أن ألاحظ أنّ تزكية موقف الخليفة والصديقه معاً أمر غير ممكن؛ لأنّ الأمر فى منازعتهم لو كان مقتصرأ على مطالبه الزهراء بفدك وامتناع الخليفة عن تسليمها له لعدم وجود مستمسك شرعى يحكم بواسطته لها بما تدّعيه، و انتهاء المطالبة إلى هذا الحدّ، لوسّعنا أن نقول إنّ الزهراء طلبت حقّها فى نفس الأمر و الواقع، و إنّ الخليفة لما امتنع عن تسليمها لها لعدم تهيوّ المدرك الشرعى الذى تثبت به الدعوى تركت مطالبتها، لأنّها عرفت أنّها لا تستحقّ فدك بحسب النظام القضائى و سنن الشرع، و لكننا نعلم أنّ الخصومة بينهما أخذت أشكالاً مختلفه حتى بلغت مبلغ الاتهام الصريح من الزهراء و أقسمت على المقاطعة [٧١]. [صفحة ٥٧] و إذن فنحن بين اثنتين: إحداهما أن نعترف بأنّ الزهراء قد ادّعت بإصرار ما ليس لها بحقّ فى عرف القضاء الإسلامى والنظام الشرعى و إن كان ملكها فى واقع الأمر، والأخرى أن نلقى التبعة على الخليفة و نقول إنّ قد منعها حقّها الذى كان يجب عليه أن يعطيها إياه أو يحكم لها بذلك على فرق علمى بين التعبيرين يتّضح فى بعض الفصول الآتية، فتزويه الزهراء عن أن تطلب طلباً لا ترضى به حدود الشرع، والارتفاع بالخليفة عن أن يمنعها حقّها الذى تسخو به عليها تلك الحدود لا يجتمعان إلّا إذا توافق النقيضان. ولترك هذا إلى مناقشه أخرى، فقد اعتبر الأستاذ حكم الخليفة فى مسألة فدك أوضح بيئته و دليل على تزكيته و ثباته على الحقّ و عدم تعدّيه عن حدود الشريعة لأنّه لو أعطى فدك لفاطمة لأرضاها بذلك و أرضى الصحابة برضاها. و لنفترض معه أنّ حدود القانون الإسلامى هي التي كانت تفرض عليه أن يحكم بأنّ فدك صدقه، ولكن ماذا كان يمنعه عن أن ينزل للزهراء عن نصيبه و نصيب سائر الصحابة الذين صرّح الأستاذ بأنّهم يرضون بذلك؟... أكان هذا محرّماً فى عرف الدين أيضاً؟ أو أنّ أمراً ما أوحى إليه بأن لا يفعل ذلك، بل ماذا كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته وعداً قاطعاً بأن تصرف حاصلاتها فى وجوه الخير والمصالح العامة؟ و أمّا ما استسخفه الكاتب من تعليل

لحكم الخليفة فسوف نعرف في هذا الفصل ما إذا كان سخيلاً حقاً. إذا عرفنا أن مرتكزات الناس ليست وحياً من السماء فلا تقبل شكاً ولا جدالاً، وأن درس مسائل السالفين ليس كفرةً، ولا زندقهً، ولا تشكيكاً في أعلام النبوة كما كانوا يقولون، فلنا أن نتساءل عما بعث الصديقه إلى البدء [صفحة ٥٨] بمنازعتها حول فدك على ذلك الوجه العنيف الذي لم يعرف أو لم يشأ أن يعرف هيبه للسلطة المهيمنة، أو جلالاً للقوة المتصرفه، يعصم الحاكمين من لهيبها المتصاعد، و شررها المتطاير، و بقى الحكم من إشعاعه نور متألقه تلقى ضوءاً عليه، فتظهر للتاريخ حقيقته مجردة عن كل ستار، بل كانت بداية المنازعه و مراحلها نذير ثورة مكتسحه أو ثورة بالفعل عندما اكتملت في شكلها الأخير، و يومها الأخير، تحمل كل ما لهذا المفهوم من مقدمات و نتائج، و لا تتعرض لضعف أو تردد. و ما عساه أن يكون هدف السلطة الحاكمة، أو بالأحرى هدف الخليفة رضى الله عنه نفسه في أن يقف مع الحوراء على طرفى الخط، أو لم يكن يخطر بباله أن خطته هذه تفتح له باباً في التاريخ في تعداد أولياته، ثم يذكر بينها خصومه أهل البيت؟! فهل كان راضياً بأولياته هذه مخلصاً لها حتى يستبسل في امتناعه، و موقفه السلبي، بل الإيجابي المعاكس؟ أو أنه كان منقاداً للقانون، و ملتزماً بحرفيته في موقفه هذا كما يقولون، فلم يشأ أن يتعد حدود الله تبارك و تعالى في كثير أو قليل، و إن لموقفه الغريب تجاه الزهراء صلته بموقفه في السقيفه، و أعنى بهذه الصلة الاتحاد في الغرض، أو اجتماع الغرضين على نقطة واحدة [٧٢]. و بالأحرى أن تقوم على دائرة واحدة متسعة [صفحة ٥٩] اتساع دولة النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيها آمال بواسم، و موجات من الأحلام ضحك لها الخليفة كثيراً و سعى في سبيلها كثيراً أيضاً.

بواعث الثورة

إننا ندرك بوضوح، و نحن نلاحظ الطرف التاريخي الذي حفّ بالحركة الفاطمية، أن البيت الهاشمي المفجوع بعميده الأكبر قد توفرت له كل بواعث الثورة على الأوضاع القائمة، و الانبعاث نحو تغييرها و إنشائها إنشأً جديداً، و أن الزهراء قد اجتمعت لها كل إمكانيات الثورة و مؤهلات المعارضة التي قرّر المعارضون أن تكون منازعه سلمية [٧٣] مهما كلف الأمر. و إننا نحس أيضاً إذا درسنا الواقع التاريخي لمشكلة فدك و منازعاتها بأنها مطبوعة بطابع تلك الثورة، و نتبين بجلاء أن هذه المنازعات كانت في واقعها و دوافعها ثورة على السياسة العليا و ألوانها التي بدت للزهراء بعيدة عما تألفه من ضروب الحكم، و لم تكن حقاً منازعه في شيء من شؤون السياسة المائيه، و المناهج الاقتصادية التي سارت عليها خلافة الشورى، و إن بدت على هذا الشكل في بعض الأحيان. [صفحة ٦٠] و إذا أردنا أن نمسك بخيوط الثورة الفاطمية من أصولها، أو ما يصح أن يعتبر من أصولها؛ فعلياً أن ننظر نظرة شاملة عميقة لتبين حادثتين متقاربتين في تاريخ الإسلام؛ كان أحدهما صدى للآخر و انعكاساً طبيعياً له، و كانا معاً يمتدان بجذورهما و خيوطهما الأولى إلى حيث قد يلتقى أحدهما بالآخر أو بتعبير أصح إلى النقطة المستعده في طبيعتها إلى أن تمتد منها خيوط الحادثتين. أحدهما: الثورة الفاطمية على الخليفة الأول التي كادت أن تزعزع كيانه السياسي، و ترمى بخلافته بين مهمات التاريخ. و الآخر: موقف انعكس فيه الأمر فتقف عائشه أم المؤمنين [٧٤] بنت الخليفة الموتر في وجه عليّ زوج الصديقه الثائرة على أبيها. و قد شاء القدر لكنتا الثائرتين أن تفشلا مع فارق بينهما مرده إلى نصيب كل منهما من الرضا بثورتها، و الاطمئنان الضميري إلى صوابها و حظ كل منهما من الانتصار في حساب الحق الذي لا التواء فيه و هو أن الزهراء فشلت بعد أن جعلت الخليفة بيكي و يقول: أقيلوني [٧٥] بيعتي، و السيدة عائشه فشلت فصارت تتمنى أنها لم تخرج إلى حرب [٧٦] و لم تشق عصا طاعة. [صفحة ٦١] هاتان الثورتان متقاربتان في الموضوع و الأشخاص فلماذا لا تنتهيان إلى أسباب متقاربة و بواعث متشابهة. و نحن نعلم جيداً أن سرّ الانقلاب الذي طرأ على السيدة عائشه حين إخبارها بأن علياً وليّ الخلافة يرجع إلى الأيام الأولى في حياة عليّ و عائشه حينما كانت المنافسه على قلب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين زوجته و بضعته. و من شأن هذه المنافسه أن تتسع في آثارها فتثبت مشاعر مختلفه من الغيظ و التنافر بين الشخصين المتنافسين و تلف بخيوطها من حولهما من الأنصار و الأصدقاء، و قد اتسعت بالفعل في أحد الطرفين فكان ما كان بين

السيدة عائشة وعلی، فلايُبد أن تتسع فى الطرف الآخر فتعم من كانت تعمل أم المؤمنين على حسابه فى بيت النبى. نعم إن انقلاب أم المؤمنين إنما هو من وحى ذكريات تلك الأيام التى نصح فيها على لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يطلقها فى قصة الإفك المعروفة [٧٧]. وهذا النصح إن دل على شىء فإنه يدل على انزعاجه منها و من منافستها لقرينته، و على أن الصراع بين زوج الرسول و بضعته كان قد اتسع فى معناه و شمل علئياً و غير على ممن كان يهتم بنتائج تلك المنافسة و أطوارها.

دوافع الخليفة الأول فى موقفه

نعرف من هذا أن الظروف كانت توحى إلى الخليفة الأول بشعور خاص [صفحة ٦٢] نحو الزهراء و زوج الزهراء، و لا ننسى أنه هو الذى تقدم لخطبتها فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم تقدم على ذلك فأجابه النبى إلى ما أراد [٧٨]. و ذاك الردّ و هذا القبول يولدان فى الخليفة إذا كان شخصاً طبيعياً يشعر بما يشعر به الناس، و يحسّ كما يحسّون شعوراً بالخيبه و الغبطة لعلّى- إذا احتطنا فى التعبير- و بأن فاطمة كانت هى السبب فى تلك المنافسة بينه و بين على التى انتهت بفوز منافسه. و لنلاحظ أيضاً أن أبابكر هو الشخص الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقراً سورة التوبة على الكافرين، ثم أرسل وراءه و قد بلغ منتصف الطريق ليستدعيه و يعفيه من مهمته [٧٩] لا- لشىء إلا لأنّ الوحي شاء أن يضع أمامه مرة أخرى منافسه فى الزهراء الذى فاز بها دونه [٨٠]. و لا بُدّ أنه كان يراقب ابنته فى مسابقتها مع الزهراء على الأوليّه لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يتأثر بعواطفها كما هو شأن الآباء مع الأبناء. و ما يدرينا لعلّه اعتمد فى وقت من الأوقات أن فاطمة هى التى دفعت بأبيها إلى الخروج لصلاة الجماعة فى المسجد يوم مهّدت له أم المؤمنين التى [صفحة ٦٣] كانت تعمل على حسابه فى بيت النبى أن يؤمّ الناس ما دام النبى مريضاً [٨١]. إن التاريخ لا يمكننا أن نترقب منه شرح كل شىء شرحاً واضحاً جلياً غير أن الأمر الذى تجمع عليه الدلائل أن من المعقول جدّاً أن يقف شخص مرّت به ظروف كالظروف الخاصية التى أحاطت بالخليفة من على و فاطمة موقفه التاريخى المعروف، و أن امرأة تعاصر ما عاصرت الزهراء فى أيام أبيها من منافسات حتّى فى شباك يصل بينها و بين أبيها حرى بها أن لا تسكت إذا أراد المنافسون أن يستولوا على حقّها الشرعى الذى لا ريب فيه.

ابعاد قضية فدك السياسية

هذه هى الثورة الفاطمية فى لونها العاطفى و هو لون من عدّة ألوان أوضحها و أجلاها اللون السياسى الغالب على أساليبها و أطوارها. و أنا حين أقول ذلك لا- أعنى بالسياسة مفهومها الرائج فى أذهان الناس هذا الويم المركز على الالتواء و الافتراء، و إنما أقصد بها مفهومها الحقيقى الذى لا- التواء فيه. فالممعن فى دراسة خطوات النزاع و تطوّراته و الأشكال التى اتّخذها لا يفهم منه ما يفهم من قضية مطالبة بأرض، بل يتجلّى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوى على غرض طموح يبعث إلى الثورة و يهدف إلى استرداد عرش مسلوب و تاج ضائع و مجد عظيم و تعديل أمّة انقلبت على أعقابها [٨٢]. [صفحة ٦٤] و على هذا كانت فدك معنى رمزياً يرمز إلى المعنى العظيم و لا يعنى تلك الأرض الحجازية المسلوبة، و هذه الرمزية التى اكتسبها فدك هى التى ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عاديه منكمشة فى أفقها، محدودة فى دائرتها إلى ثورة واسعة النطاق رحيب الأفق. أدرس ما شئت من المستندات التاريخية الثابتة للمسألة، فهل ترى نزاعاً مادياً، أو ترى اختلافاً حول فدك بمعناها المحدود و واقعها الضيق، أو ترى تسابقاً على غلات أرض مهما صعّد بها المبالغون و ارتفعوا؟ فليست شيئاً يحسب له المتنازعون حساباً. كلّا! بل هى الثورة على أسس الحكم، و الصرخة التى أرادت فاطمة أن تقتلع بها الحجر الأساسى الذى بُنى عليه التاريخ بعد يوم السقيفة. و يكفيننا لإثبات ذلك أن تلقى نظرة على الخطبة التى خطبتها الزهراء فى المسجد أمام الخليفة و بين يدي الجمع المحتشد من المهاجرين و الأنصار، فإنّها دارت أكثر ما دارت حول امتداح على و الثناء على مواقفه الخالدة فى الإسلام و تسجيل حقّ أهل البيت الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله فى خلقه و خاصته و محلّ

قدسه و حجته في غيبه، و ورثه أنبيائه في [صفحہ ٦٥] الخلافة والحكم. و إلفات المسلمين إلى حظهم العاثر و اختيارهم المرتجل و انقلابهم على أعقابهم، و ورودهم غير شربهم، و إنسادهم الأمر إلى غير أهله، والفتنة [٨٣] التي سقطوا فيها، والدواعي التي دعتهم إلى ترك الكتاب و مخالفته فيما يحكم به في موضوع الخلافة و الإمامة. فالمسألة إذن ليست مسألة ميراث و نحلته إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا، و ليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء «مسألة إسلام و كفر، و مسألة إيمان و نفاق، و مسألة نص و شوري» [٨٤]. و كذلك نرى هذا النفس السياسي الرفيع في حديثها مع نساء المهاجرين و الأنصار، إذ قالت فيما قالت: «أين زحزوها عن رواسي الرسالة، و قواعد النبوة، و مهبط الروح الأمين و الطيبين بأمر الدنيا و الدين ألا ذلك هو الخسران المبين، و ما الذي نعموا من أبي الحسن، نعموا و الله نكير سيفه، و شدة وطأته، و نكال وقعته، و تنمره في ذات الله، و تالله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا عتلقه و سار إليهم سيراً سجحاً لا تكلم حشاشه، و لا يتعتع راكمه [٨٥]، و لأوردتهم منهلاً نيراً فضفاضاً تطفح [صفحہ ٦٦] فضفاضه، و لأصدرهم بطاناً قد تحير بهم الرأي غير متحلّ بطائل إلا بغمر الناهل و ردعه سورة الساعب، و لفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، و سأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلّم فاستمع و ما عشت أراك الدهر عجباً و إن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أيّ لجأ استندوا و بأيّ عروة تمسكوا، لبئس المولى و لبئس العشير، و لبئس للظالمين بدلاً. استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا أنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون، و يحهم (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكّمون) [٨٦]». و لم يؤثر عن نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنهن خاصمن أبابكر في شيء من ميراثهن، أكنّ أزهد من الزهراء في متاع الدنيا، و أقرب إلى ذوق أبيها في الحياة؟ أو أنهن اشتغلن بمصيبة رسول الله و لم تشتغلن بها بضعته، أو أن الظروف السياسية هي التي فرقت بينهن فأقامت من الزهراء معارضة شديدة، و منازعة خطيرة دون نسوة النبي اللاتي لم تزعهجن أوضاع الحكم. و أكبر الظن أن الصديقه كانت تجد في شيعة قرينها، و صفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون في صدقها من يعطف شهادته على شهادة علي و تكتمل بذلك البيئته عند الخليفة. أفلا يفيدنا هذا أن الهدف الأعلى لفاطمة الذي كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحلة أو الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفة [٨٧]؟ و هو لا يحصل بإقائه البيئته في موضوع فدك، بل بأن [صفحہ ٦٧] تقدّم البيئته لدى الناس جميعاً على أنهم ضلّوا سواء السبيل [٨٨]. و هذا ما كانت تريد أن تقدّمه الجوراء في خطبتها المناضلة. و لنستمع إلى كلام الخليفة بعد أن انتهت الزهراء من خطبتها و خرجت من المسجد، فصعد المنبر و قال: «أيها الناس ما هذه الرّعة إلى كلّ قاله! أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. ألا من سمع فليقل، و من شهد فليتكلم، إنّما هو ثعلال شهيده ذنبه، مربّب لكلّ فتنه [هو الذي يقول: كزوها جذعة بعد ما هرت، يستعينون بالضعفة، و يستنصرون بالنساء]، كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغي. ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت و لو قلت لبيحت، إنّي ساكت ما تركت»، ثمّ التفت إلى الأنصار و قال: «قد بلغني يا معشر الأنصار مقالته سفهائكم و أحقّ من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنتم، فقد جاءكم فأوتم و نصرتم، ألا إنّي لست باسطاً يداً و لا لساناً على من لم يستحقّ ذلك [منا]» [٨٩]. و هذا الكلام يكشف لنا عن جانب من شخصيّة الخليفة، و يلقي ضوءاً على منازعة الزهراء له، والذي يهمننا الآن ما يوضّحه من أمر هذه المنازعة [صفحہ ٦٨] وانطباعات الخليفة عنها، فإنّه فهم حقّ الفهم أن احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة، و إنّما كان حرباً سياسيّة كما نسمّيها اليوم و تظلماً لقرينها العظيم الذي شاء الخليفة و أصحابه أن يبعده عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام، فلم يتكلم إلا عن عليّ فوصفه بأنّه ثعلال و أنّه مربّب لكلّ فتنه، و أنّه كأمّ طحال، و أنّ فاطمة ذنبه التابع له، و لم يذكر عن الميراث قليلاً أو كثيراً. و لنلاحظ ما جاءت به الرواية في صحاح السنيّة من أنّ عليّاً و العباس كانا يتنازعا في فدك في أيام عمر بن الخطّاب، فكان عليّ يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جعلها في حياته لفاطمة، و كان العباس يأبى ذلك و يقول هي ملك رسول الله و أنا وراثته، و يتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما و يقول: «أنتما أعرف بشأنكما أمّا أنا فقد سلّمتهما إليكما» [٩٠]. فقد نفهم من هذا الحديث إذا كان صحيحاً أنّ حكم الخليفة كان سياسياً مؤقتاً و إنّ موقفه كان ضرورة من ضرورات الحكم

في تلك الساعة الحرجة، و لا فليمَ أهملَ عمر بن الخطاب رواية الخليفة وطرحها جانباً و سلمَ فدك إلى العباس و عليّ، و موقفه منهما يدلّ على أنه سلمَ فدك إليهما على أساس أنها ميراث رسول الله لا على وجه التوكيل، إذ لو كان على هذا [صفحة ٦٩] الوجه لما صحّ لعليّ والعباس أن يتنازعا في أنّ فدك هل هي نحلّة من رسول الله لفاطمة أو تركه من تركاته التي يستحقّها ورثته؟ و ما أثر هذا النزاع لو فرض أنها في رأى الخليفة مال للمسلمين و قد وكلهما في القيام عليه؟ و لفضّ عمر النزاع و عرّفهما أنه لا يرى فدك مالاّ موروثاً و لا من أملاك فاطمة، و إنّما أو كل أمرها إليهما لينوبا عنه برعايتها و تعاهدها، كما أنّ عدم حكمه بفدك لعليّ وحده معناه أنه لم يكن واثقاً بنحلّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فدك لفاطمة فليس من وجه لتسليمها إلى عليّ والعباس إلّا الإرث. و إذن ففي المسألة تقديران: (أحدهما) أنّ عمر كان يتّهم الخليفة بوضع الحديث في نفى الإرث [٩١]. (و الآخر) أنه تأوّل و فهم منه معنى لا ينفي التوريث و لكن لم يذكر تأويله، و لم يناقش به أبابكر حينما حدّث به و سواء أصحّ هذا أو ذاك، فالجانب السياسي في المسألة ظاهر، و إلّا فلماذا يتّهم عمر الخليفة بوضع الحديث إذا لم يكن في ذلك ما يتّصل بسياسة الحكم يومئذٍ، و لماذا يخفى تأويله و تفسيره، و هو الذى لم يتحرّج عن إبداء مخالفته للنبيّ أو الخليفة الأوّل فيما اعترضهما من مسائل. و إذا عرفنا أنّ الزهراء نازعت في أمر الميراث بعد استيلاء الحزب الحاكم عليه، لأنّ الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض موارثهم أو في تسليم الموارث إلى أهلها، فلم تكن فاطمة في حاجة إلى مراجعته [صفحة ٧٠] الخليفة، و لم تكن لتأخذ رأيه و هو الظالم [٩٢] المنتزى على الحكم في رأيها، فالمطالبة بالميراث لا يُبدّ أنها كانت صدقاً لما قام به الخليفة من تأميمه للتركة على ما نقول اليوم [٩٣]، و الاستيلاء عليها. (أقول): إذا عرفنا هذا و إنّ الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تُنتزع منها؛ تجلّى لدينا أنّ ظرف المطالبة كان مشجعاً كلّ التشجيع للمعارضين على أن يغيثوا مسألة الميراث مادة خصبة لمقاومة الحزب الحاكم على أسلوب سلمى كانت تفرضه المصالح العليا يومئذٍ، و اتّهامه بالغصب والتلاعب بقواعد الشريعة والاستخفاف بكرامه القانون.

قضية فدك في ضوء الظروف الموضوعية

و إذا أردنا أن نفهم المنازعة في أشكالها و أسبابها في ضوء الظروف المحيطة بها، و تأثيرها، كان لزاماً علينا أن نعرض تلك الظروف عرضاً مستعجلاً و نسجّل صورة واضحة الألوان للعهد الانقلابي بالمقدار الذى يتّصل بغرضنا. و لا أعنى بالانقلاب حين أصف عهد الخليفة الأوّل بذلك إلّا مفهومه الحقيقي المنطبق على تلوّن السلطة الحاكمة بشكل جمهورى يتقوم بالثورة و يكتسب صلاحياته من الجماعات المنتخبة، و نزعتها لشكلها الأوّل الذى يستمدّ قوّته و سلطته من السماء. [صفحة ٧١] فقد كانت تلك اللحظة التى ضرب بها بشير بن سعد [٩٤] على يد الخليفة نقطه التحوّل في تاريخ الإسلام التى وضعت حدّاً لأفضل العهود و أعلنت عهداً آخر نترك تقريره للتاريخ.

مسألة موت الرسول القائد

و قد كان ذلك في اليوم الذى حانت فيه الساعة الأخيرة في تاريخ النبوات التى قطعت أقدس أداة وصل بين السماء و الأرض و أبركها و أفيضها خيراً و نعمه و أجودها صقلاً للإنسانية إذ لفظ سيّد البشر نفسه الأخير و طارت روحه إلى الرفيق الأعلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فهرع الناس إلى بيت النبوة الذى كان يشرق بأضوائه لتوديع العهد المحمّدى السعيد و تشييع النبوة التى كانت مفتاح مجد الأئمة، و سرّ عظمتها، واجتمعوا حوله تتقاذفهم شتى الخواطر و ترتسم في أفكارهم ذكريات من روعة النبوة و جلال النبيّ العظيم. و قد خيل إليهم أنّ هذه السنوات العشر التى نعموا فيها برعاية خير الأنبياء، و أبرّ الآباء كانت حلماً لذيذاً تمتّعوا به لحظة من زمان و ازدهرت به الإنسانية برهه من حياتها، و هاهم قد أفاقوا على أسوأ ما يستيقظ عليه نائم. و بينما كان المسلمون في هذه الغمرة الطاغية والصمت الرهيب لا ينطق منهم أحد بكلمة، و قد اكتفوا في تأبين الراحل العظيم بالدموع والحسرات والخشوع والذكريات، إذ

يفاجؤون بصوت يجلجل في الفضاء و يقطع خيط الصمت الذي لَفَّ المجتمعين و هو يعلن أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يموت و لا- يموت حتى يظهر دينه على الدين كله و ليرجعن فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم ممن أرجف بموته: «لا- أسمع رجلاً يقول مات رسول الله [صفحة ٧٢] إلا ضربته بسيفي» [٩٥]. و التفت الأنظار إلى مصدر الصوت ليعرفوا القائل؛ فوجدوا عمر بن الخطاب قد وقف خطيباً بين الناس و هو يجلجل برأيه في شدة لا تقبل نزاعاً و شاعت الحياة في الناس من جديد فتكلموا و تحدّثوا في كلام عمر و التفت بعضهم حوله. و أكبر الظن أن قوله وقع من أكثرهم موقع الاستغراب و التكذيب، و حاول جماعة منهم أن يجادلوه في رأيه و لكنّه بقي شديداً في قوله ثابتاً عليه و الناس يتكاثرون حوله و يتكلمون في شأنه و يعجبون لحاله حتى جاء أبو بكر، و كان حين توفّي النبي في منزله بالسُّنح، و التفت إلى الناس و قال: «من كان يعبد محمداً فإنه قد مات، و من كان يعبد الله فإنه حي لا يموت. قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [٩٦] و قال: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) [٩٧]، و لما سمع عمر ذلك أذعن و اعترف بموت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قال: «كأنّي سمعتها- يعنى الآية- [الآن]» [٩٨]. و نحن لا نرى في هذه القصّة ما يراه كثير من الباحثين من أن الخليفة كان بطل ذلك الظرف العجيب، و الرجل الذي تهتأت له معدّات الخلافة بحكم موقفه من رأى عمر؛ لأنّ المسألة ليست من الأهميّة بهذا الحدّ و لم [صفحة ٧٣] يحدّثنا التاريخ عن شخص واحد انتصر لعمر في رأيه، فلم يكن إلا رأياً شخصياً لا خطر له و لا شأن للقضاء عليه. و قد يكون من حقّ البحث أن الأخطأ أن شرح الخليفة لحقيقته الحال في خطابه الذي وجهه إلى الناس كان شرحاً باهتاً في غير حدّ لا يبدو عليه من مشاعر المسلمين المتحرّقة في ذلك اليوم شيء، بل لم يزد في بيان الفاجعة الكبرى على أن قال: «إنّ من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات». و قد كان الموقف يتطلّب من أبي بكر إذا كان يريد أن يقدم في نفسه زعيماً لتلك الساعة تأييداً للفقيه الأعظم يتفق مع العواطف المتدفّقة بالذكريات و الحسرات يومئذ. و إمن الذي كان يعبد سيّد الموحّدين حتى يقول من كان يعبد محمداً فإنه قد مات؟ و هل كان في كلام عمر معنى يدلّ على أنّه كان يعبد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ أو كانت قد سرت موجّه من الارتداد و الإلحاد في ذلك المجتمع المؤمن الذي كان يعترض دموعه من ذكرياته، و صبره، و تماسكه من عقيدته حتى يعلن لهم أن الدين ليس محدوداً بحياء رسول الله لأنّه ليس بالإله المعبود. إذن فلم يكن لكلام أبي بكر الذي خاطب به الناس صلة بموقفهم و لا علاقة برأى عمر، و لا انسجام مع عواطف المسلمين في ذلك اليوم و شؤونهم، و قد سبقه به غيره ممن حاول مناقشة الفاروق كما سيأتي.

مسألة السقيفة و موقف الإمام علي

و كان يعاصر هذا الاجتماع الذي تكلمنا عنه اجتماع آخر للأنصار عقدوه في سقيفة بنى ساعدة برئاسة سعد بن عبادة زعيم الخرج و دعاهم فيه إلى إعطائه [صفحة ٧٤] الرئاسة و الخلافة فأجابوه [٩٩]. ثمّ ترادوا الكلام فقالوا: «فإنّ أبي المهاجرين و قالوا: نحن أولياؤه و عترته، فقال قوم من الأنصار نقول: منّا أمير و منكم أمير، فقال سعد: فهذا أوّل الوهن، و سمع عمر الخبر، فأتى منزل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و فيه أبو بكر فأرسل إليه أن اخرج إليّ، فأرسل إنّي مشغول، فأرسل إليه عمر أن اخرج فقد حدث أمر لا بدّ أن تحضره، فخرج فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم و معهما أبو عبيدة، فتكلم أبو بكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنّهم أولياؤه و عترته، ثمّ قال: نحن الأمراء و أنتم الوزراء لا نفتات عليكم بمشورة، و لا نقضى دونكم الأمور، فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في ظلّكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا يصدر أحد إلا عن رأيكم، أنتم أهل العزّة و المنعة و أوّل العدد و الكثرة و ذوو البأس و النجدة و إنّما ينظر الناس ما تصنعون فلا تخلّفوا فتفسد عليكم أموركم فإنّ أبي هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير، فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم و نبيها من غيركم و لا تمتنع العرب أن تولّى أمرها من كانت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمداً و نحن أولياؤه و عشيرته. فقال الحباب بن منذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا

الأمر فإن أبوا عليكم فاجلوهم من هذه البلاد و أنتم أحقّ بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم دان الناس بهذا الدين أنا جدي لها المحكك و عديها المرجب أنا أبوشبل في عرينه الأسد، والله إن شئتم لنعيدها [صفحة ٧٥] جذعة، فقال عمر: إذن يقتلك الله، قال: بل إياك يقتل. فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل و غير، فقام بشير ابن سعد والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار ألا إن محمّداً من قريش و قومه أولى به و أيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر. فقال أبو بكر: هذا عمر و أبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم، فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الصلاة و هي أفضل الدين، بسط يدك. فلما بسط يده ليايعاه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب ابن المنذر يا بشير غفتك غفاق، أنفست على ابن عمّك الإمارة؟ فقال أسيد ابن خضير رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبداً، و بايعوا أبابكر و أقبل الناس يبايعونه من كلّ جانب [١٠٠]. و نلاحظ في هذه القصّة أنّ عمر هو الذي سمع بقصّة السقيفة و اجتماع الأنصار فيها و أخبر أبابكر بذلك، و ما دنا نعلم أنّ الوحي لم ينزل عليه بذلك النبأ فلا يُدّ أنّه ترك البيت النبويّ بعد أن جاء أبو بكر و أفنعه بوفاء النبيّ، فلماذا ترك البيت؟ و لماذا اختصّ أبابكر بنبا السقيفة؟ إلى كثير من هذه النقاط التي لا نجد لها تفسيراً معقولاً. أولى من أن يكون في الأمر اتفاق سابق بين أبي بكر و عمر و أبي عبيدة على خطّة معينة في موضوع الخلافة، و هذا التقدير التاريخي قد نجد له شواهد عديدة تجيز لنا افتراضه. (الأول) تخصيص عمر لأبي بكر بنبا السقيفة كما سبق، و إصراره على استدعائه بعد اعتذاره بأنّه مشغول حتّى أشار إلى الغرض و لمّح إليه، خرج [صفحة ٧٦] مسرعاً و ذهب على عجل إلى السقيفة [١٠١]، و كان من الممكن أن يطلب غيره من أعلام المهاجرين بعد اعتذاره عن المجيء، فهذا الحرص لا يمكن أن نفسّره بالصدّاقه التي كانت بينهما، لأنّ المسألة لم تكن مسألة صدّاقه، و لم يكن أمر منازعة الأنصار يتوقّف على أن يجد عمر صديقاً له بل على أن يستعين بمن يوافق في أحقيّة المهاجرين أيّاً كان. و لا ننسى أن نلاحظ أنّه أرسل رسولاً إلى أبي بكر، و لم يذهب بنفسه ليخبره بالخبر خوفاً من انتشاره في البيت و تسامع الهاشميين أو غير الهاشميين به، و قد طلب من الرسول في المرة الثانية أن يخبره بحدوث أمر لا بدّ أن يحضره. و نحن لا نرى حضور أبي بكر لازماً في ذلك الموضوع إلّا إذا كانت المسألة مسألة خاصّة و كان الهدف تنفيذ خطّة متفق عليها سابقاً [١٠٢]. (الثاني) موقف عمر من مسألة وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و ادّعاؤه أنّه لم يمت و لا يستقيم في تفسيره، أن نقول إنّ عمر ارتبك في ساعة الفاجعة، و فقد صوابه و ادّعى ما ادّعى؛ لأنّ حياة عمر كلّها تدلّ على أنّه ليس من هذا الطراز، و خصوصاً موقفه الذي وقفه في السقيفة بعد تلك القصّة مباشرة. [صفحة ٧٧] فالذي توتّر المصيبة عليه إلى حدّ تفقده صوابه لا يقف بعدها بساعة يحاجج و يجادل و يقاوم و يناضل [١٠٣]. و نحن نعلم أيضاً أنّ عمر لم يكن يرى ذلك الرأي الذي أعلنه في تلك الساعة الحرجة قبل ذلك بأيام أو بساعات حينما اشتدّ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المرض و أراد أن يكتب كتاباً لا يضلّ الناس بعده، فعارضه عمر و قال: إنّ كتاب الله يكفينا و أنّ النبيّ يهجر [١٠٤]، أو عقد غلب عليه الوجد كما في صحاح السنّة. فكان يؤمن بأنّ رسول الله يموت و أنّ مرضه قد يؤدّي إلى موته و إلّا لما اعترض عليه و قد جاء في تاريخ ابن كثير أنّ عرم بن زائدة قرأ الآية التي قرأها أبو بكر على عمر قبل أن يتلوها أبو بكر فلم يقتنع عمر و إنّما قبل كلام أبي بكر خاصّة و اقتنع به [١٠٥]. فما يكون نفسى هذا كلّ إذا لم يكن تفسيره إنّ عمر شاء أن يشيع الاضطراب بمقالته بين الناس لينصرفوا إليها و تتّجه الأفكار نحوها تفنيداً أو تأييداً ما دام أبو بكر غائباً؛ لتلّا يتم في أمر الخلافة شيء و يحدث أمر لا بُدّ أن يحضره أبو بكر - على حدّ تعبيره - و بعد أن أقبل أبو بكر اطمأنّ باله، و أمن من تمام البيعة للبيت الهاشمي ما دام للمعارضه صوت في الميدان، و انصرف إلى تلقّط الأخبار حادساً بما سيقع، فظفر بخبر ما كان يتوقّعه. [صفحة ٧٨] (الثالث) شكل الحكومة التي تمخّضت عنها السقيفة، فقد تولّى أبو بكر الخلافة، و أبو عبيدة المال، و عمر القضاء [١٠٦]. و في مصطلحنا اليوم أنّ الأوّل تولّى السياسة العليا، و الثاني تولّى السياسة الاقتصادية، و الثالث تولّى السلطات القضائية، و هي الوظائف الرئيسية في مناهج الحكم الإسلامي. و تقسيم المراكز الحيوية في الحكومة الإسلامية يومئذ بهذا الأسلوب على الثلاثة الذين قاموا بدورهم المعروف في سقيفة بني ساعدة لا يأتي بالصدفة على الأكثر و لا يكون مرتجلاً. (الرابع) قول عمر حين حضرته

الوفاء: «لو كن أبو عبيدة حياً لوليت» [١٠٧]. و ليست كفاءة أبي عبيدة هي التي أوحت إلى عمر بهذا التمني؛ لأنه كان يعتقد أهليته على للخلافة و مع ذلك لم يشأ أن يتحمل أمر الأمة حياً و ميتاً [١٠٨]. و ليست أمانة أبي عبيدة التي شهد له النبي صلى الله عليه و آله و سلم بها- بزعم الفاروق- هي السبب في ذلك، لأن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يخصه بالإطراء، بل كان في رجالات المسلمين يومئذ من ظفر بأكثر من ذلك من ألوان الثناء النبوي [١٠٩]. [صفحة ٧٩] كما تقرّر ذلك صحاح السنية و الشيعة. (الخامس) اتّهام الزهراء للحاكمين بالحزبية السياسية، كما سنرى في الفصل الآتي. (السادس) قول أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - للفاروق رضي الله عنه: احلب يا عمر حلباً لك شطره اشد له اليوم أمره ليرد عليك غداً [١١٠]. و من الواضح أنه يلمح إلى تفاهم بين الشخصين على المعونة المتبادلة و اتفاق سابق على خطة معينة؛ و إلا فلم يكن يوم السقيفة نفسه ليتسع لتلك المحاسبات السياسية التي تجعل لعمر شطراً من الحلب. (السابع) ما جاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) في اتّهام أبيه و عمر بالاتفاق على غضب الحق العلوي و التنظيم السري لخطوط الحملة على الإمام، إذ قال له فيما قال: فقد كنا و أبوك نعرف فضل ابن أبي طالب و حقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبينا (عليه الصلاة والسلام) ما عنده و أتّم وعده و أظهر دعوته فابلج حجته و قبضه إليه (صلوات الله عليه) كان أبوك و الفاروق أول من ابتزّه حقه و خالفه على أمره، على ذلك اتّفقا و اتّسقا، ثمّ إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما و تلكاً عليهما فهما به الهموم و أراد به العظيم [١١١]. [صفحة ٨٠] و نحن نلاحظ بوضوح عطفه طلب أبي بكر و عمر رضي الله عنه للبيعة من الإمام ب (ثم) على كلمتي اتّفقا و اتّسقا، و هو قد يشعر بأن الحركة كانت منظمّة بتنظيم سابق، و أنّ الاتفاق على الظفر بالخلافة كان سابقاً على الإيجابيات السياسية التي قاما بها في ذلك اليوم. و لا أريد أن أتوسّع في دراسة هذه الناحية التاريخية أكثر من هذا، و لكن هل لي أن ألاحظ في ضوء ذلك التقدير التاريخي، أنّ الخليفة لم يكن زاهداً في الحكم كما صورة كثير من الباحثين، بل قد نجد في نفس المداورة التي قام بها الخليفة في السقيفة دليلاً على تطلّعه للأمر، فإنّه بعد أن أعلن الشروط الأساسية للخليفة شاء أن يحصر المسألة فيه فتوصل إلى ذلك بأن ردّد الأمر بين صاحبيه [١١٢] اللذين لن يتقدّما عليه، و كانت النتيجة الطبيعية لهذا التردد أن يتعيّن وحده للأمر. فهذا الإسراع الملحوظ من الخليفة إلى تطبيق تلك الصورة التي قدّمها للخليفة الشرعي في رأيه على صاحبيه خاصّة الذي لم يكن يؤدّي إلاّ إليه، كان معناه أنه أراد أن يسلب الخلافة من الأنصار، و يقرّها في شخصه في آن واحد، ولذا لم يُجد تردداً أو ما يشبه التردد لَمّا عرض الأمر عليه صاحبا. و عمر نفسه يشهد لأبي بكر بأنّه كان مداوراً سياسياً بارعاً في يوم السقيفة في حديث طويل له يصفه فيه بأنّه أحسد قريش [١١٣]. [صفحة ٨١] و نجد فيما يروى عن الخليفين في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما يدلّ على هويّ سياسي في نفسيّتهما، و أنّهما كانا يفكران في شيء على أقلّ تقدير. فقد ورد في طرق العامة أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا و لكن خاصف النعل - يعني علياً» [١١٤]. و المقاتلة على التأويل إنّما تكون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و المقاتل لابدّ أن يكون أمير الناس، فتلهّف كل من أبي بكر و عمر على أن يكون المقاتل على التأويل مع أنّ القتال على التنزيل كان متيسراً لهما في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يشاركا فيه بنصيب قد يدلّ على ذلك الجانب الذي نحاول أن نستكشفه في شخصيّتهما. بل أريد أن أذهب إلى أكثر من هذا فالأحظ أنّ أناساً متعدّدين كانوا يعملون في صالح أبي بكر و عمر [١١٥] و في مقدّماتهم عائشة و حفصة اللتان [صفحة ٨٢] أسرعتا باستدعاء والديهما عندما طلب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حبيبه في لحظاته الأخيرة [١١٦] التي كانت تجمع دلائل الظروف على أنّها الظرف الطبيعي للوصية و لا بدّ أنّهما هما اللتان عنتهما الرواية التي تقول إنّ بعض نساء النبي أرسلن رسولاً إلى أسامة لتأخيره عن السفر [١١٧]. فإذا علمنا هذا، و علمنا أنّ هذا لم يكن بإذن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إلاّ لما أمره بالإسراع بالرحيل لما قدم عليه بعد ذلك [١١٨]، و أنّ سفره مع من معه كان يعيق عن تحقّق النتائج التي انتجها يوم السقيفة، خرجت لدينا قضية مرتبة الحلقات على أسلوب طبيعي يعزّز ما ذهبنا إليه من رأى. و مذهب الشيعة في تفسير ما قام به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من

تجنيد جيش أسامة معروف، و هو أنه أحس بأن اتفاقاً ما بين جملة من أصحابه على أمر معين، وقد يجعل هذا الاتفاق منهم جهة معارضة لعليّ. ونحن إن شككنا في هذا فلا نشكّ في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل أبابكر و عليّاً في كفتي الميزان مراراً أمام المسلمين جميعاً ليروا بأعينهم أنّهما لا يستويان في الميزان العادل. وإلا فهل ترى إعفاء أبي بكر [١١٩] من قراءة التوبة [صفحة ٨٣] على الكافرين بعد أن كُلف بذلك أمراً طبيعياً؟ ولماذا انتظر الوحي وصول الصديق إلى منتصف الطريق لينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويأمره باسترجاعه وإرسال عليّ للقيام بالمهمّة؟ أفكان عبثاً أو غفلةً أو أمراً ثالثاً؟ و هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسّ بأن المنافس المتحفّز لمعارضه ابن عمّه و وصيّيه هو أبوبكر، فشاء و شاء له ربّه تعالى أن يرسل أبابكر ثم يرجعه بعد أن يتسامع الناس جميعاً بإرساله ليرسل عليّاً الذي هو كنفسه [١٢٠] ليوضح للمسلمين مدى الفرق بين الشخصين و قيمة هذا المنافس الذي لم يأتمنه الله على تبليغ سورة إلى جماعته، فكيف بالخلافة والسلطنة المطلقة؟! إذن فخرج من هذا العرض الذي فرض علينا الموضوع أن نختصره بنتيجتين: (الأولى) أنّ الخليفة كان يفكر في الخلافة و يهواها و قد أقبل عليها بشغف و لهفة. (الثانية) أنّ الصديق و الفاروق و أبا عبيدة كانوا يشكّلون حزباً سياسياً مهمّاً لا نستطيع أن نضع له صورة واضحة الخطوط، ولكننا نستطيع أن نوّكد وجوده بدلائل متعدّدة، و لا أرى في ذلك ما ينقص من شأنهم أو يحطّ من مقامهم، و لا بأس عليهم أن يفكروا في أمور الخلافة و يتفقوا فيها على سياسة موحدة إذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصّ في الموضوع، و لا يبرؤهم [صفحة ٨٤] إذا كان النصّ ثابتاً بعدهم عن الهوى السياسي و ارتجال فكرة الخلافة في ساعة السقيفة [١٢١] من المسؤولية أمام الله و في حكم الضمير.

تحليل الموقف في قصة السقيفة

لست الآن بصدد تحليل الموقف الذي اشتبك فيه الأنصار مع أبي بكر و عمر و أبي عبيدة و شرح ما يدلّ عليه من نفسيته المجتمع الإسلامي و مزاجه السياسي، و تطبيق قصة السقيفة [١٢٢] على الأصول العميقة في الطبيعة العربية، فإنّ ذلك كلّ خارج عن الحدود القريبة للموضوع، و إنّما أريد أن ألاحظ أنّ الحزب الثلاثي الذي قُدّر له أن يلي الأمور يومئذ كان له معارضون على ثلاثة أقسام: الأوّل: الأنصار الذين نازعوا الخليفة و صاحبيه في سقيفة بني ساعدة و وقعت بينهم المحاوره السابقة التي انتهت بفوز قريش بسبب تركّز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية، و انشقاق الأنصار [١٢٣] على أنفسهم؛ لتَمكّن النزعة القبلية من نفوسهم. الثاني: الأمويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب و يسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسي [١٢٤] في الجاهلية و على رأسهم أبوسفيان. [صفحة ٨٥] الثالث: الهاشميون و أخصّائهم كعمار و سلمان و أبي ذرّ و المقداد رضوان الله عليهم و جماعات من الناس [١٢٥] الذين كانوا يروسن البيت الهاشمي هو الوارث الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الفطرة و مناهج السياسة التي كانوا يألفونها. و اشتبك أبوبكر و صاحبه في النزاع مع القسم الأوّل في سقيفة بني ساعدة، و ركّزوا في ذلك الموقف دفاعهم عمّا زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات و جاهة في نظر كثير من الناس؛ فإنّ قريشاً ما دامت عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خاصته [١٢٦] فهي أولى به من سائر المسلمين و أحقّ بخلافته و سلطانه. و قد انتفع أبوبكر و حزبه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين: (الأولى) أنّ الأنصار سجّلوا على أنفسهم بذلك مذهباً لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك إلى صف عليّ و يخدموا قضيتته بالمعنى الصحيح كما سنوضحه قريباً. (الثانية) أنّ أبابكر الذي خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار لم يكن ليتهيأ له ظرف أوفق [صفحة ٨٦] بمصالحه من ظرف السقيفة؛ إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلى نتيجتها التي سجّلتها السقيفة في ذلك اليوم. و خرج أبوبكر من السقيفة خليفة و قد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهه نظره في مسألة الخلافة أو عزّ عليهم أن يتولّوها سعد بن عباد. و لم يعأ الحاكمون بمعارضه الأمويين و تهديد أبي سفيان و ما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لجباية الأموال؛ لعلمهم بطبيعة النفس الأموية و شهواتها السياسية والمادية. فكان من السهل كسب الأمويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر فأباح لنفسه أو أباح له عمر بتعبير أصح كما تدلّ الرواية [١٢٧]، أن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين و زكواتهم [١٢٨] ثم جعل للأمويين [١٢٩] بعد ذلك حظاً من العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامة. وهكذا نجح الحزب الحاكم في نقطتين، و لكن هذا النجاح جرّه إلى تناقض سياسى واضح؛ لأنّ ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حساباً في مسألة الخلافة و يقرّوا مذهب [صفحہ ٨٧] الوراثة للزعامة الدينية. غير أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة والمعارضة اتخذت لها لوناً جديداً و واضحاً كل الوضوح يتلخّص في أنّ قريشاً إذا كانت أولى برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من سائر العرب لأنّه منها فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش. و هذا ما أعلنه عليّ حين قال: إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلتجت حجّتهم كانت لنا دونهم و إلّا فالأنصار على دعوتهم [١٣٠]، و أوضحه العباس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له: و أمّا قولك نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فإنكم جيرانها و نحن أغصانها [١٣١]. و قد كان عليّ الذي تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين؛ لأنّ ظروفه الخاصّة كانت تمدّه بقوة على لومين من العمل الإيجابي ضدّ الحكومة القائمة: - أحدهما ضمّ الأحزاب المادية إلى جانبه كالأمويين والمغيرة بن شعبة و أمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع و يفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلى المدينة، و حديثه مع عليّ و تحريضه له على الثورة، و ميله إلى جانب الخليفة، و سكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين [١٣٢] التي كان قد جباها [صفحہ ٨٨] في سفره، و موقف عتاب بن أسيد الذي سنشير إلى سرّه في هذا الفصل. و إذن فقد كان الهوى المادى مستولياً على جماعة من الناس يومئذ. و من الواضح أنّ عليّاً كان يتمكّن من إشباع رغبتهم بما خلفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الخمس و غلّات أراضيّه في المدينة و فدك التي كانت ذات نتاج عظيم كما عرفنا في الفصل السابق. و الطور الآخر من المقاومة التي كان عليّ مزوداً بإمكانياتها ما لمّح إليه بقوله: «احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة»، و أعنى بذلك أنّ الفكرة العامية يومئذ التي أجمعت [١٣٣] على تقديس أهل البيت و الاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كانت سنداً قوياً للمعارضة. و قد رأى الحزب الحاكم أنّ موقفه المادى حرج جدّاً؛ لأنّ أطراف المملكة التي تجبى منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلّا إذا استقرت دعائمه في العاصمة، و المدينة بعد لم تخضع له خضوعاً إجماعياً. و لئن كان أبوسفيان أو غير أبي سفيان قد باع صوته للحكومة، فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر اتّفاقاً أكثر منها ربحاً، و هذا ما كان يستطيع عليّ أن يقوم به في كل حين. فيجب والحالة هذه أن تنتزع من عليّ الذي لم يكن مستعداً للمقابلة في تلك الساعة الأموال التي صارت مصدرراً من مصادر الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء [صفحہ ٨٩] الأنصار على نصرتهم، و عدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع و الأهواء يومذاك. و لا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفئة المسيطرة ما دام منطبقاً على طبيعة السياسة التي لا بدّ من انتهاجها. و ما دنا نعلم أنّ الصديق اشترى صوت الحزب الأموى بالمال؛ فتنازل لأبي سفيان عن جميع ما كان عنده من أموال المسلمين، و بالجاه أيضاً إذ ولى ابن أبي سفيان؛ فقد جاء أنّ أبابكر لما استُخلف قال أبوسفيان: ما لنا و لأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف فقيل له أنّه قد ولى ابنك قال: وصلته رحم [١٣٤]. فلا غرابة في أن ينتزع من أهل البيت أموالهم المهمة ليركز بذلك حكومته، أو أن يخشى من عليّ عليه السلام أن يصرف حاصلات فدك و غير فدك على الدعوة إلى نفسه. و كيف نستغرب ذلك من رجل كالصديق و هو الذي قد اتّخذ المال وسيلة من وسائل الإغراء، و اكتساب الأصوات حتّى اتهمته بذلك معاصرة له من مؤنات ذلك الزمان فقد ورد أنّ الناس لما اجتمعوا على أبي بكر قسم قسماً بين نساء المهاجرين والأنصار، فبعث إلى امرأة من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت: ما هذا؟ قال: قسم قسمه أبو بكر للنساء، قالت: أترشوني عن ديني؟ والله لا أقبل منه شيئاً. فردّته عليه [١٣٥]. و أنا لا أدري من أين جاء إلى الخليفة (رضى الله تعالى عنه) هذا

المال [صفحہ ٩٠] ما دامت الزكوات التي جمعها الساعي قد صارت من نصيب بطنه [١٣٦] وحدها، إن لم يكن من بقية الأموال التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم و كان أهل البيت يطالبون بها. و سواء أصح هذا التقدير أو لا، فإن المعنى الذي نحاول فهمه من هذه الرواية هو أن بعض معاصري الصديق أحس بما نحس به على ضوء معلوماتنا التاريخية عن تلك الأيام. و لا ننسى أن نلاحظ أن الظروف الاقتصادية العامية كانت تدعو إلى الارتفاع بمائتي الدولة والاهتمام بإكثارها استعداداً للطوارئ المترتبة؛ فعمل هذا حدى بالحاكمين إلى انتزاع فدك، كما يتبين ذلك بوضوح من حديث لعمر مع أبي بكر يمنعه [١٣٧] فيه عن تسليم فدك إلى الزهراء و يعمل ذلك بأن الدولة في حاجة إلى المال لإنفاقه في توطيد الحكم، و تأديب العصاة، و القضاء على الحركات الانفصالية التي قد يقوم بها المرتدون. و يظهر من هذا رأى للخليفين في الملكية الفردية، هو أن للخليفة الحق في مصادرة أموال الناس لإنفاقها في أمور المملكة و شؤون الدولة العامية بلا تعويض، و لا استئذان. فليس للفرد ملكية مستقرة لأمواله و عقاره في حال احتياج السلطات إلى شيء منها. و قد ذهب إلى هذا الرأى كثير من [صفحہ ٩١] الخلفاء الذين انتهى إليهم الأمر بعد أبي بكر و عمر، فامتلاً تاريخهم بالمصادرات [١٣٨] التي كانوا يقومون بها: غير أن أبابكر لم يطبق هذا الرأى إلّا في أملاك بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و سلم خاصة. و قد تردد الحزب الحاكم في معالجة الأسلوب الثانى من المعارضة بين اثنتين: - (إحداهما) أن لا يقرّ للقراية بشأن في الموضوع، و معنى هذا أنه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها الشرعى الذى ألبسها إياه. (و الأخرى) أن يناقض نفه فيضلاً ثابتاً على مبادئه التي أعلنها في السقيفة، و لا يرى حقاً للهاشميين و لا امتيازاً لهم في مقاييس الرجال، أو يراه لهم و لكن في غير ذلك الظرف الذى كون يكون معنى المعارضة فيه مقابلة حكم قائم و وضع تعاقده عليه الناس. و اختارت الفئة المسيطرة أن تثبت على آرائها التي روجتها في مؤتمر الأنصار و تعترض على المعارضين بأن مخالفتهم بعد بيعه الناس للخليفة ليست إلّا إحداثاً للفتنة [١٣٩] المحرمة في عرف الإسلام. [صفحہ ٩٢] و هذا هو الأسلوب الوقتى الذى اتخذه الحاكمون للقضاء على هذا الجانب من المعارضة الهاشمية، و قد ساعدتهم الظروف الإسلامية الخاصة يومئذ على نجاحه كما سنوضحه. غير أننا نحسّ و نحن ندرس سياسة الحاكمين بأنهم انتهجوا منذ اللحظة الأولى سياسة معينة تجاه آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم للقضاء على الفكرة التي أمدت الهاشميين بقوة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها. و نستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمى، و إبعاد أنصاره و المخلصين له عن المرافق الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذ و تجريده عمّا له من الشأن و المقام الرفيع في الذهنية الإسلامية. و قد يعزّز هذا الرأى عدّه ظواهر تاريخية: (الأولى) سيره الخليفة و أصحابه مع على التي بلغت من الشدة أن عمر هدد بحرق بيته و أن كانت فاطمة فيه [١٤٠]، و معنى هذا اعلان أن فاطمة و غير فاطمة من آلها ليس حرمه تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عباده حين امر الناس بقتله [١٤١]. و من صور ذلك العنف وصف الخليفة لعلى بأنه مرب لكل فتنه و تشبيهه له بام طحال احب الى اهلها اليها البغى [١٤٢]، و قد قال عمر لعلى بكل وضوح: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [صفحہ ٩٣] منا و منكم. (الثانية) أن الخليفة الأول لم يشارك شخصاً من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم المهمة، و لا جعل فيهم والياً على شبر من المملكة الإسلامية الواسعة مع أن نصيب الأمويين في ذلك كان عظيماً [١٤٣]. و أنت تفهم بوضوح أن هذا وليد سياسة متعمّدة من محاوره وقعت بين عمر و ابن عباس أظهر فيه تخوفه من تولية الثانى حمص؛ لأنّه يخشى إذا صار الهاشميون ولاة على الأقطار المملكة الإسلامية أن يموت و هم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد [١٤٤]. و نحن إذا عرفنا من رأى عمر أن ظفر بيت من البيوت الطامحة إلى السلطان بالولاية في الأقطار الإسلامية يهتؤهم لنيل الخلافة و المركز الأعلى، و لاحظنا أن الأمويين ذوى الألوان السياسية الواضحة كان فيهم ولاة احتلوا الصدارة في المجالات الإدارية أيام أبي بكر و عمر، و أضفنا إلى ذلك أنه كان يعلم على أقل تقدير بأن الشورى التي ابتكرها سوف تجعل من شيخ الأمويين عثمان خليفة، خرجنا بنتيجة مهمة و تقدير تاريخى تدلّ على صحته عدّه من الظواهر، و هو أن الخليفين كانا يهيئان للسلطان الأموى أسبابه و معدّاته، و هما يعلمان حقّ العلم أن إنشاء كيان سياسى من جديد للأمويين خصوم بنى هاشم القدامى معناه تقديم المنافس للهاشميين في [صفحہ ٩٤] زعيم أموى، و تطوّر المعاوضة

الفردية للبيت الهاشمي إلى معارضة بيت مستعد للنزاع والمنافسة أكمل استعداد. ومن شأن هذه المعارضة أنها تطول وتوسع لأنها ليست متمثلة في شخص بل في بيت كبير، ونستطيع أن نفهم من هذا أن سياسة الصديق وعمر هي التي وضعت الحجر الأساسي لملك بني أمية حتى يضمنا بذلك المنافس لعليّ وآل عليّ على طول الخط [١٤٥]. (الثالثة) عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشيء إلا لأن عمر تبهه إلى نزعه الهاشمية وميله إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١٤٦]. ولو كنا نريد التوسع في دراسة هذه الناحية لعطفنا على هذه الشواهد قصة الشورى العمريّة [١٤٧] التي نزل فيها عمر (رضي الله تعالى عنه) بعليّ عليه السلام إلى صفّ أشخاص خمسة لا يكافون عليّاً في شيء من معانيه المحمّدية، وقد كان الزبير وهو أحد الخمسة يرى يوم توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الخلافة حقّ شرعيّ لعليّ، فلاحظ كيف انتزع عمر هذا الرأي من عقله وأعدّه للمنافسة بعد حين؛ إذ جعله أحد الستّة الذين فيهم عليّ. [صفحة ٩٥] وإذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوي بين بني هاشم وسائر الناس وترفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاختصاص بهم لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزود الهاشميين بطاقة على المعارضة. ولئن اطمأن الحاكمون إلى أن عليّاً لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة على الإسلام، فهم لا يأمنون من انتفاضة بعد ذلك في كل حين، ومن الطبيعي حينئذ أن يسارعوا إلى الإجهاز على كلتا قوتيّه الماديّة والمعنويّة ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكل. ومن المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التاريخي المعروف من الزهراء في قضية فدك، فهو موقف تلاقي فيه الغرضان تركّز على الخطّين الأساسيين لسياسته؛ لأنّ الدواعي التي بعثته إلى انتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحاً قوياً في عرف الحاكمين يومذاك، ويعزّز بها سلطانه، وإلا فما الذي كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير وجوه المصلحة العامة؟! [١٤٨] إلا أنه خاف منها أن تفسر وعدها بما يتفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسية. وما الذي صدّه عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصّته ونصيب الصحابة إذا صحّ أن فدك ملك للمسلمين سوى أنه أراد أن يقوى بها خلافته؟ وأيضاً فإننا إذا عرفنا أن الزهراء كانت سنداً قوياً لقرينها في دعوته إلى نفسه، ودليلاً يحتج به أنصار الإمام على أحقيّته بالأمر، نستوضح أنّ الخليفة [صفحة ٩٦] كان موقفاً كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهراء للنحلة، وجارياً على المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق؛ إذ اغتتم الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقه، وعلى أسلوب غير مباشر بأن فاطمة امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاؤها دليلاً في مسألة بسيطة كفدك فضلاً عن موضوع كالاخلاف، وأنها إذا كانت تطلب أرضاً ليس لها بحقّ فمن الممكن أن تطلب [١٤٩] لقرينها المملكة الإسلاميّة كلّها وليس له فيها حقّ. ونخرج من البحث بنتيجة وهي أن تأميم الصديق لفدك يمكن تفسيره: ١- بأنّ الظرف الاقتصادي دعى إلى ذلك. ٢- بأنّ أبا بكر خشى أن يصرف عليّ ثروة قرينته في سبيل التوصل إلى السلطان. وإنّ موقفه من دعوى الزهراء بعد ذلك واستبساله في رفضها قد يكون مردّه إلى هذين السببين: ١- إلى مشاعر عاطفية كانت تنطوي عليها نفس الخليفة رضي الله عنه عرضنا لجملة من أسبابها فيما سبق. ٢- وحدة سياسية عامّة بنى عليها الصديق سيرته مع الهاشميين وقد تبيّناها من ظواهر الحكم يومئذ. [صفحة ٩٧]

الإمام على خصائصه وموقفه من الخلافة

لعلّ أعظم رقم قياسي ضربه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للتضحية في سبيل الإسلام والإخلاص للمبدأ إخلاصاً جرّده عن جميع الاعتبارات الشخصية وأقام منه حقيقة سامية سموّ المبدأ ما بقى للمبدأ حياة هو الرقم الذي سجّله بموقفه [١٥٠] من خلافة الشورى وقدّم بذلك في نفسه مثلاً أعلى للتفاني في المبدأ الذي صار شيئاً من طبيعته. إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تمكّن من محو ضلال الوثنية، فقد استطاع أن يجعل من عليّ بما أفاض عليه من حقائق نفسه عيناً ساهرة على القضية الإلهية، فنامت فيه الحياة

الإنسانية بأهوائها ومشاعرها و صار يحيا بحياة المبدأ والعقيدة [١٥١]. [صفحة ٩٨] وإن كان للتضحية الإنسانية الفاضلة كتاب فاعمال عليّ عنوان ذلك الكتاب المشع بأضواء الخلود [١٥٢]. وإن كان لمبادئ السماء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعبير عمليّ على وجه الأرض فعلى هو تعبيرها الحيّ على مدى الدهور والأجيال. وإن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد خلّف في أمته عليّاً والقرآن [١٥٣] فإنّما جمع بينهما ليكون القرآن تفسيراً لمعاني عليّ العظيم، وتكون معاني عليّ أنموذجاً لمثل القرآن الكريم. وإن كان الله تعالى قد جعل عليّاً نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة [١٥٤] فلاجل أن يفهم المسلمون أنّه امتداد طبيعيّ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وشعاع متأق من روحه العظيمة. وإن كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج من مكّة مهاجراً خائفاً على نفسه و خلّف [صفحة ٩٩] عليّاً على فراشه [١٥٥] ليموت بدلاً عنه، فمعنى ذلك أنّ المبدأ المقدّس هو الذي كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما، وإذا كان لا بدّ للقضية الإلهية من شخص تظهر به و آخر يموت في سبيلها، فيلزم أن يبقى رجلها الأوّل لتحيها به، ويقدم رجلها الثاني نفسه قرباناً لتحيها به أيضاً. وإن كان عليّ هو الذي أباح له السماء خاصيّة النوم في المسجد والدخول فيه جنباً [١٥٦] فمفهوم هذا الاختصاص أنّ في معانيه معنى المسجد لأنّ المسجد رمز السماء الصامت في دنيا المادّة وعليّ هو الرمز الإلهيّ الحيّ في دنيا الروح والعقيدة. وإن كانت السماء قد امتحنت فتوة عليّ وأعلنت عن رضاها عليه إذ قال المنادي: لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتى إلّا عليّ [١٥٧]، فإنّها عنت بذلك أنّ فتوة عليّ وحدها هي الرجولة الكاملة التي لا يرتفع إلى مدادها إنسان ولا ترقى إلى أفقها بطول الأبطال وإخلاص المخلصين. ومن مهزلة الأقدار أنّ هذه الفتوة التي قدّسها الهاتف الإلهي كانت عيباً في رأي مشايخ السقيفة [١٥٨] ونقصاً في عليّ يؤاخذ عليه وينزل به عن [صفحة ١٠٠] الصديق الذي لم يكن يمتاز عليه إلّا بسنين قضاها كافراً مشركاً. وأنا لا أدري كيف صار الازدواج بين الجاهلية والإسلام في حياة شخص واحد يمتاز به عمّن خصلت حياته كلّها لله [١٥٩]. ولئن ظهرت للناس في البحوث الجديدة القوّة الطبيعيّة التي تجعل الأجسام الدائرة حول المحور تسير على خطّ معين، فلقد ظهرت في عليّ قبل مئات السنين قوّة مثلها ولكنّها ليست من حقائق الفيزياء، بل من قوى السماء وهي التي جعلت من عليّ مناعةً طبيعيّة للإسلام حفظت له مقامه الأعلى ما دام الإمام حيّاً، ومحوراً تدور عليه الحياة الإسلاميّة لتستمد منه روحانيّتها وثقافتها وجوهرها سواء أكان على رأس الحكم أو لا. وقد علمت هذه القوّة عملها السحريّ في عمر نفسه، فجذبته إلى خطوطها المستقيمة مراراً حتّى قال: لولا عليّ لهلك عمر [١٦٠]، وظهر تأثيرها الجبار في التفاف المسلمين حوله في اليوم الذي أسندت فيه مقدّرات الخلافة إلى عامّة المسلمين، ذلك الالتفاف الفدّ [١٦١] الذي يقل مثيله في تاريخ الشعوب. ونعرف من هذا أنّ عليّاً بما جهّزته السماء به من تلك القوّة، كان [صفحة ١٠١] ضرورة من ضرورات الإسلام [١٦٢] التي لا بدّ منها وشمساً يدور عليها الفلك الإسلامي بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بحسب طبيعته التي لا يمكن أن تقاوم حتّى التجأ الفاروق إلى مسيرتها كما عرفت. ويتجلّى لندنيا أيضاً أنّ الانقلاب الفجائيّ في السياسة الحاكمة لم يكن ممكناً يومئذٍ لأنّه - مع كونه طرفه - يناقض تلك القوّة الطبيعيّة المركّزة في شخصيّة الإمام، فكان من الطبيعيّ أن تسير السياسة الحاكمة في خطّ منحنيّ حتّى تبلغ النقطة التي وصل إليها الحكم الأمويّ؛ تفادياً من تأثير تلك القوّة الساهرة على الاعتدال والانتظام كما ينحني السائق بسيارته عندما ينحرف بها إلى نقطة معاكسة تحذراً من القوّة الطبيعيّة التي تفرض الاعتدال في السير. وهذا الفصل الرائع من عظمة الإمام يستحقّ دراسة وافية مستقلة قد تقوم بها في بعض الفرص لنكشف بها عن شخصيّة عليّ المعارض للحكم والساخر على قضية الإسلام والموفق بين حماية القوّة الحاكمة من الانحراف وبين معارضتها في نفس الوقت. وإن كانت مواقف الإمام كلّها رائعه، فموقفه من الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أكثرها روعة [١٦٣]. وإن كانت العقيدة الإلهية تريد في كل زمان بطلاً يفتديها بنفسه، فهي [صفحة ١٠٢] تريد أيضاً بطلاً يتقبّل القربان ويعزز به المبدأ، وهذا هو الذي بعث بعليّ إلى فراش الموت [١٦٤] والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى مدينة النجاة يوم الهجرة الأغرّ كما أشرنا إليه قريباً، ولم يكن ليتهيأ للإمام في محتته بعد وفاة أخيه أن يقدم لها كلا البطلين؛ لأنّه لو ضحى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعيّ في رأيه لما بقي بعده من يسمك الخيط من طرفيه، ولدا رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد. وقف على عند مفترق طريقين كل منهما حرج و كل منهما شديد على نفسه: - (أحدهما) أن يعلن الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر. (والآخر) أن يسكت و في العين قذى، و في الحلق شجا، و لكن ماذا كان يترقب للثورة من نتائج؟ هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخية لتلك الساعة العصية. إن الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضة و هم من عرفناهم حماساً و شدة في أمر الخلافة. و معنى هذا أنهم سيقابلون و يدافعون عن سلطانهم الجديد، و من المعقول جداً حينئذ أن يغتنم سعد بن عبادَةَ الفرصة ليعلنها حرباً أخرى في سبيل أهوائه السياسية، لأننا نعلم أنه هدّد الحزب المنتصر بالثورة عندما طلب منه البيعة و قال: «لا والله حتى [صفحة ١٠٣] أرميكم بما في كنانتي و أخضب سنان رمحي و أضرب بسيفي و أقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني و لو اجتمع معكم الإنس و الجن ما بايعتكم» [١٦٥]. و أكبر الظن أنه تهب الإقدام على الثورة و لم يجرأ على أن يكون أول شاهر للسيف ضد الخلافة القائمة، و إنما اكتفى بالتهديد الشديد الذي كان بمثابة إعلان الحرب، و أخذ يترقب تضعع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف، فكان حرباً به أن تثور حماسته و يزول تهيبه و يضعف الحزب القائم في نظره إذا رأى صوتاً قوياً يجهر بالثورة فيعيد لها جذعاً و يحاول إجلاء المهاجرين من المدينة بالسيف [١٦٦] كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه في مجلس السقيفة. و لا ننسى بعد ذلك الأمويين و تكتلهم السياسي في سبيل الجاه و السلطان، و ما كان لهم من نفوذ في مكة في سنواتها الجاهلية الأخيرة، فقد كان أبو سفيان زعيمها في مقاومة الإسلام و الحكومة النبوية، و كان عتاب ابن أسيد ابن أبي العاص بن أمية أميرها المطاع في تلك الساعة. و إذا تأملنا ما جاء في تاريخ تلك الأيام [١٦٧] من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما توفي و وصل خبره إلى مكة و عامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب و ارتجّت المدينة و كاد أهلها يرتدون، فقد لا نقنع بما يعلل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة و الإيمان. كما أتى لا أومن بأن [صفحة ١٠٤] مرد ذلك التراجع إلى أنهم رأوا في فوز أبي بكر فوزهم و انتصارهم على أهل المدينة كما ذهب إليه بعض الباحثين؛ لأن خلافة أبي بكر كانت في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم و أكبر الظن أن خبر الخلافة جاءهم مع خبر الوفاة، بل تعليل القضية في رأي أن الأمير الأموي عتاب بن أسيد شاء أن يعرف اللون السياسي الذي اتخذته أسرته في تلك الساعة، فاستخفى و أشاع بذلك الاضطراب حتى إذا عرف أن أباسفيان قد رضى بعد سخط و انتهى مع الحاكمين إلى نتائج في صالح البيت الأموي [١٦٨] ظهر مرة أخرى للناس و أعاد الأمور إلى مجاريها. و عليه فالصلة السياسية بين رجالات الأمويين و كانت قائمة في ذلك الحين. و هذا التقدير يفسر لنا القوة التي تكمن وراء أقوال أبي سفيان حينما كان ساخطاً على أبي بكر و أصحابه، إذ قال: أتى لأرى عجاجه لا يظفيها إلا الدم، و قال عن علي و العباس: أميا والذي نفسى بيده لأرفعن لهما من أعضادهما [١٦٩]. فالأمويون قد كانوا متأهين للثورة و الانقلاب، و قد عرف علي منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعّم المعارضة و لكنه عرف أنهم ليسوا من النيا الذين يعتمد على تأييدهم، و إنما يريدون الوصول إلى أغراضهم عن طريقة، فرفض طلبهم، و كان من المنتظر حينئذ أن يشقوا عصا الطاعة إذا رأوا الأحزاب المسلحة تتناحر، و لم يطمئنا إلى قدرة الحاكمين على ضمان مصالحهم، و معنى انشقاقهم حينئذ إظهارهم للخروج عن الدين و فصل مكة عن المدينة. [صفحة ١٠٥] و إذن فقد كانت الثورة العلوية في تلك الظروف إعلاناً لمعارضة دموية تتبعها معارضات دموية ذات أهواء شتى، و كان فيها تهيبه لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثم المنافقون. و لم تكن ظروف المحنة تسمح لعلي بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم، بل لتناحرت ثورات شتى، و تقاطلت مذاهب متعدّدة الأهداف والأعراض، و يضيع بذلك الكيان الإسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتف فيها المسلمون حول قيادة موحّدة، و يركّزوا قواهم لصد ما كان يترقب أن تتمخض عنه الظروف الدقيقة من فتن و ثورات. إن علياً الذي كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قرباناً للمبدأ في جميع أدوار حياته [١٧٠] منذ أن وُلد في البيت الإلهي و إلى أن قُتل فيه، قد ضحى بمقامه الطبيعي و منصبه الإلهي في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصياً عليها و حارساً لها. و لفقدت بذلك الرسالة المحمّدية الكبرى بعض معناها؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أمره ربّه بتبليغ دعوته و الإنذار برسالته جمع بني عبدالمطلب و أعلن عن نبوته بقوله: (إني والله ما أعلم

شايًا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به). و عن إمامة أخيه بقوله: (إن هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا) [١٧١] و معنى ذلك أن إمامة عليّ تكلمة طبيعية لنبوة [صفحة ١٠٦] محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و أن الرسالة السماوية قد أعلنت عن نبوة محمّد الكبير صلى الله عليه و آله و سلم و إمامة محمّد الصغير في وقت واحد. إن عليّاً الذي ربّاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ربّى الإسلام معه - فكانا ولديه العزيزين - كان يشعر بإخوته لهذا الإسلام. و قد دفعه هذا الشعور إلى افتداء أخيه بكل شيء حتّى أنّه اشترك في حروب الردّة التي أعلنها المسلمون يومذاك [١٧٢] ، و لم يمنعه تزعم غيره لها عن القيام بالواجب المقدّس؛ لأنّ أبابكر إن كان قد ابتزّه حقّه و نهب تراثه، فالإسلام قد رفعه إلى القميّة و عرف له أخوته الصادقة و سجّلها بأحرف من نور على صفحات الكتاب الكريم. و صمد الإمام على ترك الثورة و لكن ماذا يفعل؟ و أى أسلوب يتّخذ لموقفه؟ هل يحتجّ على الفئة الحاكمة بنصوص النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و كلماته التي أعلنت أنّ عليّاً هو القطب المعدّل لأن يدور عليه الفلك الإسلامي و الزعيم الذي قدّمته السماء إلى أهل الأرض [١٧٣]؟؟ تردّد هذا السؤال في نفسه كثيراً ثمّ وضع له الجواب الذي تعيّنه ظروف محتته و تلزمه به طبيعة الأوضاع القائمة، فسكت عن النصّ إلى حين.

مسألة عدم الاحتجاج بالنص

و نحن نتبين من الصورة المشوشة التي عرفناها عن تلك الظروف والأوضاع [صفحة ١٠٧] أن الاعتراض بتلك النصوص المقدّسة و الاحتجاج بها في ساعة ارتفع فيها المقياس الزبقي للأفكار المحمومة والأهواء الملتهبة التي سيطرت على الحزب الحاكم إلى الدرجة العالية، كان من التقدير المعقول افتراض النتائج السيئة له؛ لأنّ أكثر النصوص [١٧٤] التي صدرت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في شأن الخلافة لم يكن قد سمعها إلّا مواطنوه في المدينة من مهاجرين و أنصار، فكانت تلك النصوص إذن الأمانة الغالية عند هذه الطائفة التي لا بدّ أن تصل عن طريقهم إلى سائر الناس في دنيا الإسلام يومئذ و إلى الأجيال المتعاقبة و العصور المتتالية. و لو احتجّ الإمام على جماعة أهل المدينة بالكلمات التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في شأنه و أقام منها دليلاً على إمامته و خلافته لكان الصدى الطبيعي لذلك أن يكذب الحزب الحاكم صدّيق الأئمّة [١٧٥] في دعواه و ينكر تلك النصوص التي تمحو من خلافة الشورى لونها الشرعي و تعطّل منها معنى الدين. و قد لا يجد الحقّ صوتاً قوياً يرتفع به في قبال ذلك الإنكار؛ لأنّ كثيراً من قريش و في مقدّماتهم الأمويون كانوا طامحين إلى مجد السلطان و نعيم الملك، و هم يرون في تقديم الخليفة على أساس من النصّ النبويّ تسجيلاً لمذهب الإمامة الإلهية. و متى تقرّرت هذه النظرية في عرف الحكم [صفحة ١٠٨] الإسلامي كان معناها حصر الخلافة في بني هاشم آل محمّد الأكرمين و خروج غيرهم من المعركة خاسراً. و قد نلمح هذا اللون من التفكير في قول عمر لابن عبّاس معللاً إقصاء عليّ عن الأمر: «إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة و النبوة» [١٧٦] فقد يدلّنا هذا على أن إسناد الأمر إلى عليّ في بداية الأمر كان معناه في الذهنية العامّة حصر الخلافة في الهاشميين، و ليس لذلك تفسير أولى من أنّ المفهوم لجمهرة من الناس يومئذ من الخلافة العلوية تقرير شكل ثابت للخلافة يستمد شرعيّته من نصوص السماء لا من انتخاب المنتخبين. فعليّ إن وجد نصيراً من عليّ قريش يشجعه على مقاومة الحاكمين، فإنّه لا يجد عَصْداً في مسألة النصّ إذا تقدّم إلى الناس يحدّثهم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد سجّل الخلافة لأهل بيته حين قال: إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي الخ [١٧٧]. و أمّا الأنصار فقد سبقوا جميع المسلمين إلى الاستخفاف بتلك النصوص، والاستهانة بها، إذ حدث بهم الشراهة إلى الحكم إلى عقد مؤتمر في سقيفة بني ساعدة ليصفقوا على يد واحد [١٧٨] منهم. فلن يجد عليّ فيهم إذا استدّل بالنصوص النبوية جنوداً للقضية العادلة و شهوداً عليها، لأنهم إذا شهدوا على ذلك يسجلون على أنفسهم تناقضاً فاضحاً في يوم واحد و هذا ما يابونه على أنفسهم بطبيعة الحال. [صفحة ١٠٩] و ليس في مبايعة الأوس لأبي بكر أو قول من قال: لا نبايع إلّا عليّاً [١٧٩] مناقضة كتلك المناقضة؛ لأنّ المفهوم البديهي من تشكيل مآتمر السقيفة أنّ مسألة الخلافة مسألة انتخاب لا نصّ، فليس إلى التراجع عن هذا الرأي في

يوم إعلانه من سبيل. و أميا اعتراف المهاجرين بالأمر فلا حرج فيه لأن الأنصار لم يجتمعوا على رأى واحد فى السقيفة و إنما كانوا يتذاكرون و يتشارون، و لذا نرى الحُباب بن المنذر [١٨٠] يحاول بثّ الحماسة فى نفوسهم والاستمالة بهم إلى رأيه بما جلجل به فى ذلك الاجتماع من كلام و هو يوضّح أنهم جُمعوا للتأييد فكرة لم يكن يؤمن بها إلا بعضهم. و إذن فقد كان الإمام يقدر أنه سوف يدفع الحزب الحاكم إلى إنكار النصوص والاستبسال فى هذا الإنكار إذا جاهر بها و لا يقف إلى جانبه حينئذٍ صفٌ ينتصر له فى دعواه؛ لأنّ الناس بين من قادهم الهوى السياسى إلى إنكار عمليّ للنصّ يسدّ عليهم مجال التراجع بعد ساعات، و بين من يرى أن فكرة النصّ تجعل من الخلافة وقفاً على بنى هاشم لا ينازعهم فيها منازع. و إذا سجّلت الجماعة الحاكمة و أنصارها إنكاراً للنصّ واكتفى بالباقون بالسكوت فى الأقلّ فمعنى هذا أنّ النصّ يفقد قيمته الواقعية و تضعى بذلك مستمسكات الإمامة العلوية كلّها و يؤمن العالم الإسلامى الذى كان بعيداً عن مدينة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم على إنكار المنكرين لأنه منطق القوّة الغالب فى ذلك الزمان. [صفحة ١١٠] و لنلاحظ ناحية أخرى فإنّ عليّاً لو ظفر بجماعة توافقه على دعواه، و تشهد له بالنصوص النبوية المقدّسة، و تعارض إنكار الفئة الحاكمة، كان معنى ذلك أن ترفض هذه الجماعة خلافة أبى بكر و تتعرّض لهجوم شديد من الحاكمين ينتهى بها إلى الاشتراك فى حرب مع الحزب الحاكم المتحمّس لكيانه السياسى إلى حدّ بعيد؛ فإنّه لا يسكت عن هذا اللون من المعارضة الخطرة. فمجاهرة عليّ بالنصّ كانت تجرّه إلى المقابلة العملية، و قد عرفنا سابقاً أنّه لم يكن مستعدّاً لإعلان الثورة على الوضع القائم و الاشتراك مع السلطات المهيمنة فى قتال. و لم يكن للاحتجاج بالنصّ أثر واضح من أن تتخذ السياسة الحاكمة احتياطاتها و أساليبها الدقيقة لمحو تلك الأحاديث النبوية من الذهنية الإسلامية؛ لأنها تعرف حينئذٍ أنّ فيها قوّة خطر على الخلافة القائمة و مادّة خصبة لثورة المعارضين فى كل حين. و إنى أعتقد أنّ عمر لو التفت إلى ما تتبّه إليه الأمويّون بعد أن احتجّ الإمام بالنصوص فى أيام خلافته [١٨١]، و اشتهرت بين شيعته، من خطرها لاستطاع أن يقطعها من أصولها، و يقوم بما لم يقدر الأمويّون عليه من إطفاء نورها. و كان اعتراض الإمام بالنصّ فى تلك الساعة يتبّه إلى ما يجب أن ينتهجه من أسلوب فأشفق على النصوص المقدّسة أن تلعب بها السياسة [صفحة ١١١] و سكت عنها على مضض، و استغفل بذلك خصومه، حتّى إنّ عمر (رضى الله تعالى عنه) نفسه صرّح بأنّ عليّاً هو وليّ كلّ مؤمن و مؤمنة بنصّ النبىّ [١٨٢] صلى الله عليه و آله و سلم. ثمّ ألم يكن من المعقول أن يخشى الإمام على كرامته حبيبه و أخيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن تنتقض و هى أعلى عنده من كل نقيس - إذا جاهر بنصوص النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم - و هو لم ينسّ موقف الفاروق من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين طلب دواة ليكتب كتاباً لا يضلّ الناس بعده أبداً، فقال عمر: «إنّ النبىّ ليهجر أو قد غلب عليه الوجع» [١٨٣]. و قد اعترف فيما بعد لابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يريد أن يعين عليّاً للخلافة و قد صدّه عن ذلك خوفاً من الفتنة [١٨٤]. و سواء أكان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يريد أن يحزّر حقّ عليّ فى الخلافة أو لا فإنّ المهمّ أن تتأمل موقف عمر من طلبه، فهو إذا كان مستعدّاً لآتهام النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم وجهاً لوجه بما ينزّهه عنه نصّ القرآن [١٨٥]، و ضرورة الإسلام، خوفاً من الفتنة، فما الذى يمنعه عن آتهام آخر له بعد وفاته مهما تلطّفنا فى تقديره فلا يقلّ عن دعوى أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يصدر عن أمر الله فى موضوع الخلافة، و إنّما استخلف عليّاً بوحى من عاطفته، بل كان هذا أولى من تلك المعارضة لأنّ الفتنة التى تقوم بدعوى على النصّ أشدّ ممّا كان يترقبه عمر من اضطراب فيما إذا كان النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم قد خلف نصّاً تحريراً [صفحة ١١٢] بإمامة عليّ يعلمه الجميع. و إذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد ترك التصريح بخلافة عليّ فى ساعته الأخيرة لقول قاله عمر، فإنّ المفهوم أن يترك الوصى الاحتجاج بالنصوص خوفاً من قولٍ قد يقوله. و نتيجة هذا البحث أن سكوت أمير المؤمنين عن النصّ إلى حين، كان يفرضه عليه: ١- إنّه لم يكن يجد فى رجالات تلك الساعة من يطمئن إلى شهادته بذلك. ٢- إنّ الاعتراض بالنصوص كان من الحرىّ به أن يلفت أنظار الحاكمين إلى قيمتها المادية، فيستعملون شتى الأساليب لخنقها. ٣- إنّ معنى الاعتراض بها التهيؤ للثورة بأوسع معانيها، و هذا ما لم يكن يريده الإمام. ٤- إنّ آتهام عمر للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فى آخر ساعاته عرّف عليّاً بمقدار تفانى الحاكمين فى سبيل

مراكرهم، و مدى استعدادهم لتأييدهم و المدافعة عنها و جعله يخاف من تكرّر شيء من ذلك فيما إذا أعلن عن نصوص إمامته.

المواجهة السلمية

انتهى الإمام إلى قرار حاسم، و هو ترك الثورة و عدم التسلّح بالنصوص في وجه الحاكمين جهاراً و علانيةً إلا إذا اطمأن إلى قدرته على تجنيد الرأي العام ضدّ أبي بكر و صاحبيه، و هذا ما أخذ يحاوله على في محنته آنذاك. [صفحة ١١٣] فبدأ يطوف [١٨٦] سراً على زعماء المسلمين و رجالات المدينة، يعظهم و يذكرهم ببراهين الحقّ و آياته، و إلى جانبه قرينته تعزّز موقفه و تشاركه في جهاده السريّ، و لم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهيأ له القتال به لأننا نعرف أنّ علياً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه، و حاول الالتفات حوله و إنّما أراد أن يمهّد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه. و هنا تجيء مسألة فدك لتحتلّ الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوة خطوطه بإتقان، كان متفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته و جديراً بأن يقلب الموقف على الخليفة و ينهي خلافة الصديق كما تنتهي القصة التمثيلية لا كما يقوّض حكم مركز على القوة والعدّة. و كان الدور الفاطمي يتلخّص في أن تطالب الصديقه الصديق بما انتزعه منها من أموال، و تجعل هذه المطالبة وسيلة للمناقشة في المسألة الأساسية و أعنى بها مسألة الخلافة و إفهام الناس بأنّ اللحظة التي عدلوا فيها عن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر كانت لحظة هوس و شذوذ [١٨٧]، و أنّهم بذلك أخطأوا و خالفوا كتاب ربّهم و وردوا غير شربهم [١٨٨]. [صفحة ١١٤] و لما اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة اندفعت لتصحّح أوضاع الساعة و تمسح عن الحكم الإسلامي الذي وضعت قاعدته الأولى في السقيفة الوحل الذي تلطّخ به، عن طريق اتّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة، و العبث بكرامة القانون، و اتّهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفة بمخالفة الكتاب و الصواب [١٨٩]. و قد توفّرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تهيئان للإمام فيما لو وقف موقف قرينته. (إحدهما) إنّ الزهراء أقدر منه بظروف فجيعتها الخاصّة و مكانتها من أبيها، على استثارة العواطف، و إيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه و أيامه الغزاة و تجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت. (و الأخرى) إنّها مهما تتخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلّحة التي تتطلّب زعيماً يهيمن عليها ما دامت امرأة و ما دام هارون النبوة في بيته محتفظاً بالهدنة التي أعلنتها حتّى تجتمع الناس عليه و مراقباً للموقف ليتدخل فيه متى شاء، مترعماً للثورة إذا بلغت حدّها الأعلى أو مهدّئاً للفتنة إذا لم يتهيأ له الظرف الذي يريده. فالحوراء [صفحة ١١٥] بمقاومتها إمّا أن تحقّق انتقاصاً إجماعياً على الخليفة و إمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدل و النزاع و لا تجرّ إلى فتنة و انشقاق. و إذن فقد أراد الإمام صلوات الله عليه أن يُسمع الناس يومئذٍ صوته من فم الزهراء و يبقى هو بعيداً عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، و الفرصة التي تجعل منه رجل الموقف. و أراد أيضاً أن يقدم لأمة القرآن كلّها في المقابلة الفاطمية برهاناً على بطلان الخلافة القائمية. و قد تمّ للإمام ما أراد حيث عبّرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحقّ العلويّ تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال و النضال. و تلخّص المعارضة الفاطمية في عدّة مظاهر:- (الأول) إرسالها لرسول [١٩٠] ينازع أبا بكر في مسائل الميراث و يطالب بحقوقها و هذه هي الخطوة الأولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيداً لمباشرتها للعمل بنفسها. (الثاني) مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاصّ [١٩١] و قد أرادت بتلك المقابلة أن تشتد في طلب حقوقها من الخمس و فدك و غيرهما لتعرف مدى استعداد الخليفة للمقاومة. و لا ضرورة في ترتيب خطوات المطالبة على أسلوب تقدّم فيه دعوى النحلة على دعوى الميراث كما ذهب إلى ذلك أصحابنا، بل قد [صفحة ١١٦] يغلب على ظنّي تقدّم المطالبة بالإرث؛ لأنّ الرواية تصرّح بأنّ رسول الزهراء إنّما كان يطالب بالميراث، و الأقرب في شأن هذه الرسالة أن تكون أولى الخطوات كما يقضى به التدرّج الطبيعي للمنازعة، و أيضاً فإنّ دعوى الإرث أقرب الطريقتين إلى استخلاص الحقّ لثبوت التوارث [١٩٢] في التشريع الإسلامي بالضرورة فلا جناح على الزهراء في أن تطلب ابتداءً ميراثها من أبيها الذي يشمل فدك في معتقد الخليفة لعدم اطلاعه على النحلة [١٩٣] و ليس في هذه المطالبة مناقضة لدعوى نحلة فدك إطلاقاً؛ لأنّ المطالبة بالميراث لم تتّجه إلى فدك خاصّة و إنّما تعلّقت

بتركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عامه. (الثالث) خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في شرح النهج [١٩٤] لابن أبي الحديد. (الرابع) حديثها مع أبي بكر وعمر حينما زارها بقصد الاعتذار منها وإعلانها غضبها عليهما وأنها أغضبا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك [١٩٥]. [صفحة ١١٧] (الخامس) خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين والأنصار حين اجتماعهنّ عندها [١٩٦]. (السادس) وصيتها بأن لا يحضر تجهيزها ودفنها [١٩٧] أحد من خصومها وكانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء عن نعمتها على الخلافة القائمية. وقد فشلت الحركة الفاطمية بمعنى ونجحت بمعنى آخر. فشلت لأنها لم تطوّر بحكومة الخليفة رضى الله عنه في زحفها الأخير الخطير الذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولا نستطيع أن نتبين الأمور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة، غير أن الأمر الذي لا ريب فيه أن شخصية الخليفة رضى الله عنه من أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها؛ لأنه من أصحاب المواهب السياسية، وقد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثلاً فيما أجاب به الزهراء من كلام وجهه إلى الأنصار من خاطب بعد انتهائها من خطبتها في المسجد. فبينما هو يذوب رقة في جوابه للزهراء وإذا به يطوى نفسه على نار متأججة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد، في أكبر الظن، فيقول: ما هذه الرعة إلى كل قالة إنما هو ثعالة شهيدة ذنبه [١٩٨] - وقد نقلنا الخطاب كاملاً فيما سبق - فإن هذا الانقلاب من اللين والهدوء إلى الغضب الفائز يدلنا على مقدار ما أوتى من [صفحة ١١٨] سيطرة على مشاعره وقدرته على مسايرة الظرف وتمثيل الدور المناسب في كل حين. ونجحت معارضة الزهراء لأنها جهزت الحق بقوة قاهرة، وأضافت إلى طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة. وقد سجّلت هذا النجاح في حركتها كلها وفي محاورتها مع الصديق والفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصة إذ قالت لهما: أرايتكما إن حدتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتعلان به؟ فقالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني [١٩٩] قالوا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: «فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما عنده» [٢٠٠]. [صفحة ١١٩] ويصور لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض على خصمها ومجاهرتهم بغضبها ونعمتها لتخرج من المنازعة بنتيجة لا نريد درسها والانتها في رأي معين لأن ذلك خارج عن دائرة عنوان هذا البحث ولأننا نجل الخليفة عن أن ندخل معه في مثل هذه المناقشات وإنما نسجلها لتوضيح أفكار الزهراء صلوات الله عليها ووجهة نظرها فقط، فإنها كانت تعتقد أن النتيجة التي حصلت عليها هي الفوز المؤكد في حساب العقيدة والدين وأعنى بها أن الصديق قد استحق غضب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بإغضابها، وآذاها بأذاها لأنهما يغضبان لغضبها ويسخطان لسخطها بنص الحديث النبوي الصحيح؛ فلا يجوز أن يكون خليفة لله ورسوله. وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَأَتَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) [٢٠١]. (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) [٢٠٢]. (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٢٠٣]. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمَّا تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) [٢٠٤]. (وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) [٢٠٥]. [صفحة ١٢١]

قبسات من الكلام الفاطمي

إشارة

يوم جاءت إلى عدى وتيم ومن الوجد ما أطال بكاهها تعظ القوم في أتم خطاب حكمت المصطفى به وحكاها (الأزرى) [صفحة ١٢٣] نفتبس هنا عدّة عبارات من خطبة الزهراء عليها السلام لنعطيها حقها من التحليل والتوضيح، ونفهمها كما هي في عالم الخلود، و

كما هي في واقعها الرائع، قالت:

عظمة الرسول القائد

«ثم قبضه إليه قبض رافه و اختيار و رغبة و إثارة، فمحمد صلى الله عليه و آله و سلم عن تعب هذه الدار في راحة، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار و رضوان الرب الغفار و مجاورة الملك الجبار». انظر إلى البليغة كيف تركت النعيم المادى كله، و ملذذات الحس حين أرادت أن تقرض فردوس أبيها، و جنته الخالدة؛ لأنها رأت في معاني أبيها العظيم ما يرتفع على ذلك كله؛ و ما قيمة اللذة المادية جنينية كانت او دنيوية في حساب محمد صلى الله عليه و آله و سلم الروحي الذي لم يرتفع احد بالروح الإنسانية كما ارتفع بها، و لم يبلغ بها أحد سواه أوجها المحمدي (و لم يغدّها مصلح عداه بالعقيدة الإلهية الكاملة التي هي غاية العقول في طيرانها الفكرى و الشوط الأخير للطواف الإنسانى حول الحقيقة المقدسة الذي يستقر عنده الضمير و تطمئن إليه الروح) [٢٠٦]. [صفحة ١٢٤] فهو إذن: المربي الأكبر للروح، و القائد الفريد الذي سجّلت المعنويات الروحية تحت رايته انتصارها الخالد على القوى المادية في معركتهما القائمة منذ بدأ العقل حياته في وسط المادة. و ما دام هو بطل المعركة الفاصلة بين الروحية و المادية الذي حُتمت برسالته رسالات السماء فلا غرور أن يكون محور ذلك العالم الروحي الجبار، و هذا ما شاءت ان تقوله الزهراء حين قالت تصف الفردوس المحمدي: فمحمد عن تعب هذه الدنيا في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار فهو القطب أبدأ في الدنيا و الآخرة، غير أنه في الاولى متعب لأنه القطب الذي يجاهد ليقيم دوره الحياه الإنسانية عليه، على اسلوب خالد، و في الأخرى مرتاح لأنه المحور الذي يكهرب الحياه الملائكية بنوره، فتحف به الملائكة لتقدم بين يديه آيات الحمد و الثناء. و ما دام النبي صلى الله عليه و آله و سلم من الطراز الأسمى فلتكن جنته على غرارها ملؤها الترف المادى بل هي في أوضح معانيها الترف المعنوى- إن صح التعبير- و اى ترف روحى أسمى من مجاورة الملك الجبار و الظفر برضوان الرب الغفار. و هكذا و صفت الزهراء جنة أبيها في جملتين، فاذا به القطب المتصل بمبدأ النور و الشمس التي تحيط بها الملائكة في دنيا النور.

عظمة الإمام على و مؤهلاته الشخصية

و قالت:- «و كنتم على شفا حفرة من النار مذقه الشارب، و نهزه الطامع، و قبسه [صفحة ١٢٥] العجلان، و موطى الاقدام، تشربون الطرق، و تقاتون الورق، أذله خاسئين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك و تعالى بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم بعد اللتيا و التى، و بعد أن منى بيهم الرجال، و ذؤبان العرب، و مرده اهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، و فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه، و يخدم لهبها بسيفه مكوداً في ذات الله، مجتهداً في امر الله قريباً من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سيد أولياء الله مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً و أنتم في رفاهية من العيش و ادعون فاكهون آمنون» [٢٠٧]. ما أروعها من مقارنة هذه التي عقدتها الزهراء بين أسمى طراز من الكفاءة العسكرية في دنيا الإسلام يومئذ و بين رجوله مفطومه- إن صح التعبير- من ملكات البطل و مقومات العسكرى الموهوب. بين بسالة هتفت بآياتها السماء و الارض، و كتبت بمداد الخلود في فهرس المثاليات الإنسانية، و شخصية اكتفت من الجهاد المقدس بالوقوف في الخط الحربى الأخير- العريش- و يا ليتها اقتنعت بذلك عن الفرار المحرم في عرف الإسلام، و في عرف التضحية، و في عرف المفاداة بالنفس لتوحيد الحكومة السماوية على وجه الأرض. و لا تعرف في تاريخ الإنسانية موهبه عسكريه بارعه لها من الآثار الخيره في حياه هذا الكواكب كالموهبه العلويه الفذه في تاريخ الأبطال؛ فإن مواقف الإمام [٢٠٨] في سوح الجهاد و ميادين النضال كانت بحق هي الركيزة [صفحة ١٢٦] التي قامت عليها دنيا الاسلام، و صنعت له تاريخه الجبار. فعلى هو المسلم الأول في اللحظه الاولى من تاريخ النبوه عندما لعل الصوت الالهى من فم محمد [٢٠٩] صلى الله عليه و آله و سلم ثم هو بعد ذلك الغيور الأول، و المدافع الأول

الذى أسندت إليه السماء تصفية الحساب [٢١٠] مع الإنسان الكافر. إن فوز الإمام فى هذه المقارنه يعنى أن له حقا فى الخلافه من ناحيتين:- (إحداهما) إنه الشخص العسكرى الفريد بين مسلمه ذلك اليوم الذى لم يكن قد فصل فيه تماما المركز السياسى الأعلى عن المقامات العسكرية. (والأخرى) إن جهاده الرائع يكشف عن إخلاص أروع لا يعرف الشك إليه سيلاً، و جذوة مضطرمه بحراره الإيمان لا يجد الخمود إليها طريقا. و هذه الجذوه المتقده أبدا، و ذلك الإخلاص الفياض دائماً هو الشرطان الأساسيان للزعيم الذى توكل إليه الأمه حراسه معنوياتها الغاليه و حمايه شرفها فى التاريخ.

مقارنه بين مواقف الإمام و الآخرين

اقرأ حياه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تاريخ الجهاد النبوى، فسوف ترى ان علياً هو الذى [صفحة ١٢٧] أدهش الارض والسماء بمواساته [٢١١] و أن الصديق رضى الله عنه هو الذى التجأ إلى مركز القيادة العليا الذى كان محاطا بعده من أبطال الأنصار لحمايته [٢١٢] حتى بطمئن بذلك من غوائل الحرب. و هو الذى فر يوم أحد [٢١٣] كما فر الفاروق [٢١٤] و لم يبايع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على الموت فى تلك الساعه الرهيبه التى قل فيها الناصر و تضععت رايه السماء و بايع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على الشهاده ثمانية، ثلاثه من المهاجرين و خمسه من الانصار لم يكن هو واحدا منهم، كما صرح [صفحة ١٢٨] بذلك أرباب التاريخ [٢١٥]، بل لم يرو له رواه المسلمين جميعا قتالا فى ذلك الموقف مهما يكن لونه [٢١٦]. و إذن فلماذا وقف مع الثائين إن كان لم يفر؟ ألم يكن القتال واجبا ما دام المدافعون لم يبلغوا العدد المطلوب لمقابله العدو الذى اصاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعده اصابات اضطرتة الى الصلاه جالسا؟! و لعلنا نعلم جميعا أن شخصا اذا كان فى وسط الصراع و معترك الحرب فلن ينجو من الموت على يد عدوه إلا بالفرار، أو الدفاع بالاشتراك عملياً فى المعركه. و الصديق إذا لم يكن قد فعل شيئاً من هذين و قد نجا بلا ريب فمعنى هذا أن عدوا وقف أمام عدوه مكتف اليدين فلم يقتله خصمه، فهل أشفق المشركون على أبى بكر، و لم يشفقوا على محمد و على والزبير و أبى دجانة و سهل بن حنيف؟! و ليس لدى من تفسير معقول للموقف إلا- أن يكون قد وقف إلى جوار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كسب بذلك موقفا هو فى طبيعه أبعد نقاط المعركه عن الخطر لاحتفاف العدد المخلص فى الجهاد يومئذ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و ليس هذا ببعيد لأننا عرفنا من ذوق الصديق أنه كان يحب أن يكون إلى جانب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى الحرب لأن مركز النبى صلى الله عليه و آله و سلم هو المركز المصون الذى تتوفر جميع القوى الإسلاميه على حراسته والذب عنه. [صفحة ١٢٩] وخذ حياه الإمام على عليه السلام و حياه الصديق وادرسهما، فهل تجد فى حياه الأول خمودا فى الإخلاص أو ضعفاً فى الاندفاع نحو التضيحه أو ركوناً إلى الدعة و الراحة فى ساعه الحرب المقدسه؟ فارجع البصر هل ترى من فطور (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا و هو حسير) [٢١٧] لأنه سوف يجد روعه واستماته فى سبل الله لا تفوقها استماته، و شخصا لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فيه استعداد للخلود ما خلد محمد أستاذه الأكبر لأنه نفسه صلى الله عليه و آله و سلم [٢١٨]. ثم حدثنى عن حياه الصديق (رضى الله تعالى عنه) أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهل تجد فيها إلا تخاذلا و ضعفا فى الحياه المبدئيه، والحياه العسكرية، يظهر تاره فى التجائه الى العريش، و أخرى فى فراره يوم أحد و هزيمته فى غزوة حنين [٢١٩] و تلكته عن الواجب حينما أمره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالخروج تحت رايه أسامه للغزو [٢٢٠]، و مره أخرى فى هزيمته يوم خيبر حينما [صفحة ١٣٠] بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لاحتلال الوكر اليهودى على رأس جيش فرجع فاراً ثم أرسل الفاروق (رضى الله تعالى عنه) و إذا به من طراز صاحبه [٢٢١] فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إنى دافع الرايه غدا لرجل يحبه الله و رسوله و يحب الله و رسوله لا يرجع حتى يفتح له [٢٢٢]. و يُشعر كلامه هذا بتعريض بليغ يدغدغ به مشاعر القائدين الفاشلين واعتزاز صريح بعليه العظيم الذى يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله [٢٢٣]. يا خليفتى المسلمين- أو بعض المسلمين- رضى الله تعالى عنكما أهكذا كان نيكما الذى قمتما مقامه؟ ألم تتلقيا عنه دروسه الفدّه فى الجهاد

والمعناه فى سبيل الله؟ ألم يكن فى صحبتكما له طوال عقدين حاجز [صفحة ١٣١] يحجز عن ذلك؟ ألم تستمعا إلى القرآن الذى أسندت إليكما حراسته و التوفر على نشر مثله العليا فى المعموره و هو يقول:- (و من يؤلهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئه فقد باء بغضب من الله و ماواه جهنم و بس المصير) [٢٢٤]. و قد توافقنى على أن مقام الصديق والفاروق رضى الله عنه فى الإسلام يرتفع بهما عن الفرار المحرم، فلا بدّ أنهما تأولا و وجدا عذرا فى فرارهما و نحن نعلم أن مجال الاجتهاد والتأويل عند الخليفه كان واسعا حتى أنه اعتذر عن خالد لما قتل مسلما متعمدا بأنه «اجتهد فأخطأ» [٢٢٥]. عذرتكما إن الحمام لمبغض و إن بقاء النفس للنفس محبوب ليكره طعم الموت والموت طالب فيكف يلدّ الموت والموت مطلوب و لنعذر إذا كان فيما قدمناه سبب للاعتذار و قد اضطرنا إلى ذلك الوقوف عند المقارنه الفاطميه و ما تستحقه من شرح و توضيح.

حزب السلطه الحاكمه

قالت: «تربصون بنا الدوائر و تتكفون الأخبار». [صفحة ١٣٢] هذا الخاطب موجه إلى الحزب الحاكم لأنه هو الذى زعم ما نسبته الزهراء إلى مخاطبيها فيما يأتى من تعليل التسرع إلى إتمام البيعه بالخوف من الفتنة. و إذن فهو اتهام صريح له بالتآمر على السلطان و اتخاذ التدابير اللازمه لهذه المؤامره الرهيبه و وضه الخطط المحكمه لتنفيذها و تربص الفرصه السانحه للانقضاض على السلطه و تجريد البيت الهاشمى منها. و قد رأينا فى الفصل السابق أن الاتفاق السرى بين الصديق والفاروق و أبى عبيده [٢٢٦] رضى الله عنه مما تعززه الظواهر التاريخيه. و لا ينبغى أن نترقب دليلا ماديا أقوى من كلام الزهراء الذى بينا اشعاره إلى هذا المعنى بوضوح لمعاصرتها لتلك الظروف العصبيه. فلا ريب أنها كانت تفهم حوادث تلك الساعه فهما أخص ما يوصف به أنه أقرب إلى واقعها و أكثر إصابه له من دراسته يقوم بها النقاد بعد مئات السنين. و من حقّ البحث أن نسجل أن الزهراء هى أول من أعلنت- إن لم يكن زوجها هو المعلن الأول- عن التشكيلات الحزبيه للجماعه الحاكمه واتهمتها بالتآمر السياسى، ثم تبعها على ذلك جمله من معاصريها كأمير [٢٢٧] المؤمنين (صلوات الله عليه) و معاويه [٢٢٨] بن أبى سفيان- كما عرفنا سابقا. [صفحة ١٣٣] و ما دام هذا الحزب الذى تجزم بوجود الزهراء و يشير إليه الإمام و يلمح إليه معاويه هو الذى سيطر على الحكم و مقدرات الأمه، و ما دامت الأسر الحاكمه بعد ذلك التى وجهت جميع مراقق الحياه العامه لخدمتها قد طبقت أصول تلك السياسه و عناصر ذلك المنهج الحزبى الذى دوخ دنيا الإسلام، فمن الطبيعى جداً أن لا نرى فى التاريخ أو على الأقل التاريخ العام صورته واضحه الألوان لذلك الحزب الذى كان يجتهد أبطاله الأولون السياسيه والاتفاقات السابقه. قالت:- «فوسمتم غير إبلكم، و أوردتم غير شربكم هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لَمَّا يندمل، والرسول لما يقبر، أبادارا زعمتهم خوف الفتنة؟ ألا فى الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين. أما لعمر الله لقد لحقت فنظره ريثما تحلب ثم احتلبوها طلاع القعب دمأ عبيطاً هنالك يخسر المبطلون و يعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيوا عن أنفسكم نفسا و ابشروا بسيف صارم و هرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فينكم زهيدا و جمعكم حصيدا فيا حسره عليكم» [٢٢٩]. لئن كان الصديق و صاحبه يشكلون حزبا ذا طابع خاص فمن العبث أن نتظر منهم تصريحا بذلك أو نتوقع أن يعلنوا عن الخطوط الرئيسيه [صفحة ١٣٤] لمنهاجهم و يبيروا بها موقفهم يوم السقيفه و مع هذا: فلا بد من مبرر... ولا بد من تفسير... فقد ظهر فى ذلك الموقف تسرعهم إلى إتمام البيعه لاحدهم و تلهفهم على المقامات العليا تلهفا لم يكن منتظرا بالطبع من صحابه على نمطهم؛ لان المفروض فيهم أنهم أناس من نوع أكمل و عقول لا تفكر إلا فى صالح المبدأ؛ و لا تعباً إلا بالاحتفاظ له بالسياده العليا. أما الملك الشخصى و اما اقتناص الكراسى فلا ينبغى أن يكون هو الغايه فى حساب تلامذه محمد صلى الله عليه و آله و سلم. أحس الحاكمون بذلك و أدركوا أن موقفهم كان شادا على أقل تقدير، فأرادوا رضى الله عنه أن يرقعوا موقفهم بالأهداف الساميه والخوف على الإسلام من هبوب فتنة طاغيه تجهز عليه، و نسوا أن الرقعته تفضح موضعها و أن الخيوط المقحمه فى الثوب تشى بها. و لذا دوت الزهراء بكلمتها الخالده: زعمتم خوف الفتنة (ألا فى الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين) [٢٣٠]. نعم انها الفتنة ثم هى أم الفتن بلا- ريب. ما

أروعك يا بضعه النبي حين تكشفين القناع عن الحقيقه المره و تنتبئين لأمه أيبك بالمستقبل الرهيب الذى تلتمع فى أفقه سحب حمراء! ماذا أقول؟.. بل أنهار من دم تزخر بالجماجم و هى تنعى على سلفها [صفحه ١٣٥] الصالح فعلهم و تقول: ألا أنهم فى الفتنه سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين.

الفتنة الكبرى

كانت العمليات السياسيه يومئذ فتنه و كانت أم الفتن [٢٣١]. كانت فتنه فى رأى الزهراء- على الأقل- لأنها خروج على الحكومه الإسلاميه الشرعيه القائمه فى شخص على هارون النبي صلى الله عليه و آله و سلم والأولى من المسلمين بأنفسهم [٢٣٢]. و من مهازل القدر أن يعتذر الفاروق عن موقفه؛ بأنه خاف الفتنه و هو لا يعلم ان انتزاع الأمر ممن أراده له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باعتراف عمر [٢٣٣] هو الفتنه بعينها المستوعبه لكل ما لهذا المفهوم من ألوان. [صفحه ١٣٦] و أنا لا أدري ما منع هؤلاء الخائفين من الفتنه الذين لا مطمع لهم فى السلطان إلا بمقدار ما يتصل بصالح الإسلام أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن خليفته أو يطلبوا منه أن يعين لهم المرجع الأعلى للحكومه الإسلاميه من بعده، و قد طال المرض به أياما متعدده، و أعلن فيها مرارا عن قرب أجله، واجتمع به جماعه من أصحابه فسألوه عن كيفيه غسله و تفصيلات تجهيزه [٢٣٤]، و لم يقع فى أنفسهم مطلقاً أن يسألوه عن المسأله الأساسيه، بل لم يخطر فى بال أولئك الذين أصروا على عمر بأن يستخلف و لا يهمل الأمه و ألحوا عليه فى ذلك خوفا من الفتنه [٢٣٥] أن يطلبوا نظير هذا من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فهل ترى أنهم كانوا حينذاك فى غفله عن أخطار الموقف بالرغم من إنذار النبي صلى الله عليه و آله و سلم بفتن كقطع الليل المظلم؟! حتى إذا لحق سيد البشر بالرفيق الأعلى توهجت مشاعرهم بالغيره على الدين، و ملأ قلوبهم الخوف من الفتنه والانعكاسات السيئه. أو تعتقد معى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان قد اختار للسفينه ربانها الأفضل و لذلك لم يسأله السائلون!! دع عنك هذا و اختلق لهم ما شئت من المعاذير، فإن هؤلاء الغيارى على الإسلام لم يكتفوا بترك السؤال، بل منعوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من مقاومه الخطر المرتقب حينما أراد أن يكتب «كتاباً لا يضلّ المسلمون بعده أبداً» [٢٣٦]. والفتنه ضلال، و إذن فلا فتنه بعد ذلك الكتاب أبداً فهل كانوا [صفحه ١٣٧] يشكون فى صدق النبي صلى الله عليه و آله و سلم؟! أو يرون أنهم أقدر على الاحتياط للإسلام والقضاء على الشغب والهرج من نبي الإسلام و رجله الأول! و خليق بنا أن نسأل عما عناه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالفتن التى جاء ذكرها فى مناجاته لقبور البقيع فى أخريات أيامه إذ يقول: لهينكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم [٢٣٧]. و لعللك تقول: إنها فتن المرتدين، و هذا تفسير يقبل على فرض واحد و هو: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يتخوف على موتى البقيع من الارتداد، فأما إذا لم يكن يخشى عليهم من ذلك كما- هو فى الواقع- لأنهم على الأكثر من المسلمين الصالحين، و فيهم الشهداء فلماذا يهتثم على عدم حضور تلك الأيام؟ و لا يستقيم فى منطق صحيح أن يريد بهذه الفتن المشاغبات الأمويه التى قام بها عثمان و معاويه [٢٣٨] بعد عقود ثلاثه من ذلك التاريخ تقريبا. و إذن فتلك الفتن التى عنها النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا بد أن تكون فتننا حادثه بعده مباشرة، و لا بد أيضا أن تكون أكثر اتصالا بموتى البقيع لو قدرت لهم الحياه من فتن الرده والمنتبئين. و هى إذن عين الفتنه التى عنها الزهراء بقولها: ألا فى الفتنه سقطوا و إن جهنم لمحيطه بالكافرين. [صفحه ١٣٨] و هل من غضاضة بعد أن يصطلى عليها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالفتنه أن تمنح لقب الفتنه فى دنيا الإسلام. و قد كانت العمليات السياسيه يومئذ فتنه من ناحيه أخرى؛ لأنها فرضت خلافه على أمه لم يقتنع بها إلا- القليل [٢٣٩] من سوقتها الذين ليس لمثلهم لحق فى تقرير مصير الحكم فى عرف الإسلام و لا- فى لغه القوانين الدستوريه جميعا. تلك هى خلافه الصديق (رضى الله تعالى عنه) عندما خرج من السقيفه «و عمر يهرول بين يديه و قد نبر حتى أزيد شدقه» و جماعته تحوطه «و هم متررون بالأزر الصناعيه لا يمرون بأحد إلا خبطوه و قدّموه فمدّوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى» [٢٤٠]. و معنى هذا أن الحاكمين زفوا إلى المسلمين خلافه لم تباركها السماء و لا- رضى بها

المسلمون. و أن الصديق لم يستمد سلطانه من نص نبوى- بالضرورة- و لم يعقد الاجماع عليه ما دام سعد لم يبايع إلى أن مات الخليفة، و ما دام الهاشميون لم يبايعوا إلى سته أشهر من خلافته- كما فى صحيح البخارى [٢٤١]. قالوا: إن أهل الحل والعقد قد بايعوه و كفى. و لكن ألا يحتاج هذا المفهوم إلى توضيح و إلى مرجع يرجع إليه فى [صفحة ١٣٩] ذلك؟ فمن هو الذى اعتبر مبايعى أبى بكر أهل الحل والعقد، و أعطاهم هذه الصلاحيات الواسعه؟ ليس هو الأمة و لا- النبى الأعظم؛ لأننا نعلم أن أبطال السقيفه لم يأخذوا أنفسهم بمناهج الانتخاب غير المباشر، و لم يستفتوا المسلمين فى تعيين المنتخبين الثانويين الذين أصطلح عليهم فى العرف القديم بأهل الحل والعقد. كما أنه لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إعطاء هذه الصلاحيات لجماعه مخصوصه، فكيف تُمنح لعدد من المسلمين و يستأمنون على مقدرات الأمة بغير رضى منها فى ضل نظام دستورى كنظام الحكم فى الإسلام كما يزعمون؟! و من العجيب فى العرف السياسى أن تعين الحكومه نفسها أهل الحل والعقد [٢٤٢]، ثم تكتسب منهم كلمتها العليا. و أعجب من ذلك إخراج على و العباس و سائر بنى هاشم و سعد بن عبادة و الزبير و عمار و سلمان و أبى ذر و المقداد و جميع أهل الحجى والرأى- على حد تعبير ابن عباس لعمر [٢٤٣]- من أهل الحل و العقد إذا صح أن فى [صفحة ١٤٠] الإسلام طبقه مستأثره بالحل و العقد. و قد جر وضع هذه الكلمه فى قاموس الحياه الإسلاميه إلى تهينته الجو لأرستقراطيه هى أبعد ما تكون عن روح الإسلام و واقعه المصفى من الطبقيه والعنعنات. و هل كانت تلك الثروات الضخمه التى امتلأت بها أكياس عبدالرحمن بن عوف و طلحه و أضرابهما إلا بسبب هذا اللقب المشؤوم على الإسلام الذى لُقبوا به، فأروا أنهم من الطراز الرفيع الذى يستحق أن يملك الملايين و يتحكم فى حقوق الناس كما يريد؟! و قالوا: إن الأ-كثريه هى مقياس الحكومه الشرعيه و المبدأ الذى لا بد أن تقوم على أساسه الخلافه. و قد استهان القرآن الكريم بالأكثريه و لم يجعل منها فى حال من الأحوال دليلاً و ميزاناً صحيحاً إذ جاء فيه: (و إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) [٢٤٤]. (و أكثرهم للحق كارهون) [٢٤٥]. (و ما يتبع أكثرهم إلا- ظنا) [٢٤٦]. (و لكن أكثرهم يجهلون) [٢٤٧]. [صفحة ١٤١] و قد روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى صحاح السنه أنه قال: «بينا أنا قائم- يعنى يوم القيامه على الحوض- فإذا زمره، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: و ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديارهم القهقرى- إلى أن قال:- فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» [٢٤٨]. و لا يمكن أن تكون هذه الأكثريه الجهنميه التى حدت عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مصدر السلطه فى الإسلام؛ لأنها لا تنشئ بطبيعه الحال إلا- خلافه مطبوعه بطابعها. و إذا خرجنا بالأكثريه عن حدود المدنيين الذين عرفنا آنفا مراكزهم الجهنميه على الأغلب فى الحياه الخالده، و اعتبرنا أكثرية المسلمين عموماً هى المقياس الصحيح، فلا بد أن نلاحظ أن المدينه هل كانت وحدها مسكن المسلمين ليكتمل النصاب المفروض بالأكثريه المدينه أو أن أبابكر لم يكتف بها و إنما بعث إلى المسلمين المنتشرين فى أرجاء المملكه بالخبر ليأخذ آراءهم و يستشيرهم؟! كلاً لم يحدث شىء من ذلك و إنما فرض حكومته على آفاق المملكه كلها فرضاً لا- يقبل مراجعه و لا- جدالاً حتى أصبح التردد فى الخضوع لها جريمه لا- تغتفر [٢٤٩]. و قالوا: إن الخلافه تحصل ببيعه بعض المفسرين، و لا ريب أن ذلك قد حصل لأبى بكر. و لكن هذا مما لا يقره المنطق السياسى السليم، لأن البعض لا يمكن [صفحة ١٤٢] أن يتحكم فى شؤون الأمة كلها، و لأن حياه الأمة لا يمكن أن تعلق على خيط ضعيف كهذا الخيط، و يركن فى حفظ مقدساتها و مقامها إلى حكومه أنشأها جماعه من الصحابه لم يتركهم إجماع شعبى، و لا نصّ مقدس، بل هم أناس عاديون من الصحابه. و نحن نعلم أن (و منهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن) [٢٥٠] (و منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن و لنكونن من الصالحين- فلما آتاهم من فضله بخلوها به و تولوا و هم معرضون- فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعده و بما كانوا يكذبون) [٢٥١]، و منهم من خص الله تعالى نفسه بالاطلاع على سرائرهم و نفاقهم فقال لرسوله: (و من أهل المدينه مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) [٢٥٢]. فجماعه فيها المنافق، و فيها من يؤذى رسول الله، و فيها الكاذب لا يمكن أن يعتبر رأى بعضهم أياً كان، ملاكاً للمنصب الأول فى العالم الإسلامى. و تعليقا على هذه المعلومات نقول: إن خلافه الصديق لم تكن خلافه

نص، و لا- خلفه أكثرية و لا- نتيجة انتخاب مباشر و لا غير مباشر، نعم بذل في سبيلها بعض المسلمين جهوداً رائعه، والتفت حولها طائفة من الناس وانتصرت لها جماعات عديده في المدينة، ولكن هؤلاء جميعاً ليسوا إلا بعض المسلمين، والبعض ليس له حكم مطاع في الموضوع، لأن الحكم الذي يستمد معنويته القانونية من الأمة يلزم أن يكون صاحبه ممثلاً للأمة بجميع عناصرها أو أكثر عناصرها، هذا أولاً، و أما ثانياً فلأن في المسلمين منافقين لا يعلمهم [صفحة ١٤٣] إلا الله بنص القرآن الكريم، و تنزيه هذا البعض المتوفر على إنشاء الكيان السياسي للأمة حينئذ عن النفاق لا بد أن يكون عن طريق النص أو الأمة. و إذن فليسمح لنا الصديق أن نميل إلى رأى الزهراء بعض الميل أو كل الميل، لأننا لا نجد للفتنة واقعاً أوضح من تسلط رجل بلا وجه قانوني على أمه، و تصرفه في مرافقها الحيوية جميعاً كالصديق رضی الله عنه في أيام خلافته، أو في الأشهر الأولى أو في الأسابيع الأولى من حكومته التي خطبت فيها الزهراء- على أقل تقدير. و ما أدري هل خطرت للمتسرعين المستبدين نتائج استبدادهم و استقلالهم عن العناصر التي كان من الطبيعي أن يكون لها رأى في الموضوع لو قامت تلك العناصر بالمعارضه، واستعد الهاشميون للمقاومه، و قد كان تقدير هذا المعنى قريباً و معقولاً إلى حد بعيد، فكيف لم يحتاطوا له و انتهوا إلى نتیجتهم المطلوبه في مده قد لا- تزيد على ساعه؟! و لماذا نقدر الموقف أكثر مما قدسه أبطاله؟ فقد بلغ من تفديس الفاروق أنه أمر بقتل من عاد إلى مثل بيعه أبي بكر [٢٥٣] و كرر ذلك الموقف. و إذا أردنا أن نأخذ هذا الكلام و نفهمه على أنه كلام إمام يراعى دستور الإسلام، فمعنى ذلك أنه رأى موقف أبي بكر و أصحابه في السقيفه فتنه و فساداً؛ لأن القتل لا يجوز بغير ذلك من الأسباب. و هي بعد ذلك كله أم الفتن هي التي جعلت الخلافة سلطان الله [صفحة ١٤٤] الذي يأتيه البر و الفاجر كما صرحت بذلك السيدة عائشه (رضی الله عنها) التي كانت بلا شك تمثل نظريات الحزب الحاكم [٢٥٤]. و هي التي فتحت للأهواء و الأطماع السياسيه ميدانها الواسع، فتولدت الأحزاب و تناحرت السياسات و تفرق المسلمون و انقسموا شر انقسام [٢٥٥] ذهب بكيانهم الجبار و مجددهم في التاريخ. و ماذا ظنك بهذه الأمة التي أنشأت في ربع قرن المملكة الأولى في أرجاء العالم بسبب ان زعيم المعارضه للحكومه في ذلك الحين- أعني عليا- لم يتخذ للمعارضه أسبابها المزعزعه لكيان الأمة و وحدتها؟! (أقول) ماذا تقدر لها من مجد و سلطان و هيمنه على العالم لو لم تبطل بعشاق الملك المتضارين، و الأمراء السكارى بنشوه السلطان، و لم تكن مسرحاً للمعارك الدامية التي يقل نظيرها في التاريخ، و لم يستغل حكامها الغاشمون إمكانيات الأمة كلها للذاتهم و هوائهم و يستهينون بعد ذلك بمقدراتها جميعاً [٢٥٦]؟ لم ينظر الصديق و الفاروق إلا إلى زمانهما الخاص، فتصورا أن في طاقتهما حمايه الكيان الإسلامى، و لكنهما لو تعمقا في نظرتهما كما تعمقت الزهراء و توسعا في مطالعه الموقف لعرفا صدق الإنذار الذي أنذرتهما به الزهراء. [صفحة ١٤٥]

محكمة الكتاب

إشارة

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) النساء/ ٥٨ [صفحة ١٤٧] [تمهيد] إذا أردنا أن نرتفع بمستوى دراستنا إلى مصاف الدراسات الدقيقة، فلا بد أن نأخذ أنفسنا بمنهج البحث العلمى في درس ناحيتين:

موقف الخليفة الأول من تركة النبي

الناحية الأولى: موقف الخليفة تجاه ميراث الزهراء الذى كان يستند فيه إلى ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى موضوع الميراث بأساليب متعددة و صور مختلفه لتعدد مواجهات الخصمين، فجاءت الأحاديث التي تنقل روايته و هي لا تتفق [٢٥٧]

على حد تعبير واحد، و لا- تجمع على لفظ معين؛ لاختلاف المشاهد التي ترويه، و اختصاص كل منها بصيغه خاصه للحديث على حسب ما كان يحضر الخليفه من عبائر أو تعدد الروايات التي رواها في المسأله. ١- و قبل كل شيء نريد أن نلاحظ مقدار تأكد الخليفه من صحه [صفحه ١٤٨] الحديث الذي رآه دالا على نفى توريث التركة النبويه واطمئنانه إلى سماع ذلك من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ثباته عليه. و يمكننا فهم ذلك مما تحدثنا به الروايات [٢٥٨] من أن الخليفه سلم فدك للحوراء و كاد الامر أن يتم لولا أن دخل عمر و قال له: «ما هذا؟ فقال له: كتاب كتبه لفاطمه بميراثها من أبيها، فقال: ماذا تنفق على المسلمين و قد حارتك العرب كما ترى. ثم أخذ الكتاب فشق» [٢٥٩]. و نحن نقل هذه الروايه في تحفظ و إن كنا نستقرب صحتها؛ لأن كل شيء كان يشجع على عدم حكاية هذه القصة لو لم يكن لها نصيب من الواقع، و إذا صحت فهي تدل على أن أمر التسليم وقع بعد الخطبه الفاطميه الخالده و نقل الخليفه لحديث نفى الرإث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؛ لأن حروب الرده التي أشار إليها عمر في كلامه ابتدأت بعد يوم السقيفه بعشره أيام [٢٦٠]، و خطبه الزهراء قد كانت في اليوم العاشر أيضا كما سبق [٢٦١]. ٢- و قد أظهر الخليفه الندم في ساعه وفاته على عدم تسليم فدك لفاطمه [٢٦٢]، و قد بلغ به التأثر حيناً أن قال للناس و قد اجتمعوا حوله: أقيلوني بيعتي. و ندرك من هذا أن الخليفه كان يطوى نفسه على قلق عظيم مردّه إلى الشعور بنقص مادي في حكمه على فاطمه و ضعف في المدرك الذي استند [صفحه ١٤٩] إليه، و يثور به ضميره أحيانا فلا يجد في مستنداته ما يهدى نفسه المضطربه و قد ضاق بهذه الحاله المريره، فطفحت نفسه في الساعه الأخيره بكلام يندم فيه على موقفه من الزهراء، تلك الساعه الحرجه التي يتمثل فيها للإنسان ما مثله على مسرح الحياه من فصول أو شك الستار أن يسدل عليها، و تجتمع في ذاكرته خيوط حياته بألوانها المختلفه التي آن لها أن تنقطع، فلا يبقى منها إلا التبعات. ٣- و لا ننسى أن أبابكر أوصى [٢٦٣] أن يُدفن إلى جوار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لا يصح ذلك إلا- إذا كان قد عدل عن اعتبار روايته مدركاً قانونياً في الموضوع، و استأذن ابنته في أن يدفن فيما ورثته من أرض الحجره- إذا كان للزوجه نصيب في الأرض، و كان نصيب عائشه يسع ذلك- و لو كان يرى أن تركه النبي صلى الله عليه و آله و سلم صدقه مشتركه بين المسلمين عامه، للزمه الاستئذان منهم. و هب أن البالغين أجازوا ذلك فكيف بالأطفال والقاصرين ممن كانوا في ذلك الحين؟! ٤- و نحن نعلم أيضا أن الخليفه لم ينتزع من نساء النبي بيوتهن و مساكنهن التي كن يسكن فيها في حياه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فما عساه؟ أن يكون سبب التفريق الذي أنتج انتزاع فدك من الزهراء و تخصيص حاصلاتها للمصالح العامه و إبقاء بيوت نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم لهن يتصرفن فيها كما يتصرف المالك في ماله حتى تستأذن عائشه في الدفن في حجرتها؟ أكان الحكم بعدم التوريث مختصاً ببضعه النبي صلى الله عليه و آله و سلم؟! أو أن بيوت الزوجات كانت [صفحه ١٥٠] نحله لهن؟ فلنا أن نستفهم عما أثبت ذلك عند الخليفه و لم تقم بينه، عليه و لا ادعته واحده منهن، و ليست حيازتهن للبيوت في زمان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شاهداً على ملكيتهن لها؛ لأنها ليست حيازه استقلاليه، بل من شؤون حيازه النبي صلى الله عليه و آله و سلم ككل زوجه بالنسبه إلى زوجها؟ كما أن نسبه البيوت إليهن في الآيه الكريمه: (و قرن في بيوتكن) [٢٦٤]، لا يدل على ذلك؛ لأن الإضايفه يكفي في صحتها أدنى ملبسه، و قد نسبت إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم في القرآن الكريم بعد تلك الآيه بمقدار قليل إذ قال الله تبارك و تعالي: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) [٢٦٥]. فإذا كان الترتيب القرآني حجه، لزم الأخذ بما تدل عليه هذه الآيه. و ورد في صحاح السنه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إسناد البيت إليه في قوله: «إن ما بين بيتي و منبري روضه من رياض الجنه» [٢٦٦]. ٥- و لتساءل عما إذا كان الحكم بعدم توريث الأنبياء الذي ذهب إليه الخليفه مما اخترته الوحي لخاتم المرسلين صلى الله عليه و آله و سلم، و اقتضت المصلحه تأخيره عن وقت الحاجه، و إجراءه على الصديقه دون سائر ورثه الأنبياء؟ أو أن الرسل السابقين قد أهملوا تبليغه و تعريف خلفائهم و ورثتهم به طمعا بالماده الزائفه، و استبقاء لها في أولادهم و آلهم؟ أو أنهم كانوا قد انتهجوا هذا الطريق و نفذوا الحكم بعدم التوريث، و مع ذلك لم يؤثر في التواريخ جميعاً؟ أو أن السياسه السائده يومذاك هي التي أنشأت هذا الحكم؟ [صفحه ١٥١] ٦- و من جهه أخرى هل يمكننا أن نقبل

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر على أحب الناس إليه وأقربهم منه البليات والشدائد وهى التى يغضب لغضبها ويسر لسرورها وينقبض لانقباضها [٢٦٧]، ولم يكن ليكلفه دفع هذه المحن عنها أكثر من إعلامها بحقيقه الأمر لثلاث- تطلب ما ليس لها بحق، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذل له أن ترزى ابنته، ثم تتسع هذه الرزية فتكون أذاه اختلاف و صخب بين المسلمين عامه، وهو الذى أرسل رحمه للعالمين، فبقى مصرًا على كتمان الخبر عنها مع الإسرار به إلى أبى بكر.

روايات الخليفة الأول و مناقشتها

١- لأجل أن نلقى نظره على الحديث من الناحية المعنوية بعد الملاحظات التى أسلفناها، نقسم الصيغه التى جاءت فى روايه الموضوع إلى قسمين:- (الأول) ما جاء فى بعضها من أن أبابكر بكى لما كلمته فاطمه ثم قال: يا بنت رسول الله، والله ما ورث أبوك دينارًا ولا درهما، وإنه قال: إن الأنبياء لا يورثون [٢٦٨]. وما ورد فى حديث الخطبه من قوله: «إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبًا ولا فضه ولا أرضًا ولا عقارًا ولا دارًا لكننا نورث الايمان والحكمه والعلم والسنة» [٢٦٩]. [صفحة ١٥٢] (الثانى) التعبير الذى تنقله عدده أخبار عن الخليفه وهو ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من «إنا لا نورث ما تركناه صدقه» [٢٧٠]. ٢- والنقطه المهمه فى هذا البحث هى معرفه ما إذا كانت هذه الصيغ تدل بوضوح لا يقبل تشكيكا ولا تأويلا- وهو النص [٢٧١] فى العرف العلمى- على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا- تورث تركته، أو ما إذا كانت تصلح للتعبير بها عن معنى آخر وإن كانت للتعبير بها عن الحكم بعدم التورث أصلح- وهو الظاهر فى الاصطلاح- وللأسأله تقدير ثالث وهو أن لا يرجح المعنى الذى هو فى صالح الخليفه على ما قد يؤدى باللفظ من معان أخر- وهو الجميل [٢٧٢]. ٣- إذا لاحظنا القسم الأول من صيغ الحديث وجدنا رواياته تقبل أن تكون بيانًا لعدم تشريع توريث الأنبياء كما فهمه الخليفه، ويمكن أن تكون كناية عن معنى لا- يبعد أن يقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيانها؛ وهو تعظيم مقام النبوه وتجليل الأنبياء؛ وليس من مظهر للجلاله الروحيه والعظمه الإلهيه [صفحة ١٥٣] أجلي دلالة وأكثر ماديه من الزهد فى الدنيا، ولذائدها الزائفه، ومتعها الفانيه. فلماذا لا يجوز لنا افتراض أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يشير إلى أن الأنبياء أناس ملائكيون وبشر من الطراز الأسمى الذى لا تشوبه الأنانيات الأضيه والأهواء البشريه؟ لأن طبيعتهم قد اشقت من عناصر السماء- بمعناها الرمزي- المتدفقه بالخير لا من مواد هذا العالم الأرضى، فهم أبداً و دائماً منابع الخير، والطاعون بالنور، والمورثون للإيمان والحكمه، والمركزون للسلطان الالهى فى الأرض. وليسوا مصادر للثروه بمعناها المصطلح عليه فى عرف الناس، ولا بالساعين وراء نفاثسها. ولماذا لا يكون قوله: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضه ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً» كناية عن هذا المعنى؟ لأن توريثهم لهذه الأشياء إنما يكون بحيازتهم لها، و تركهم إياها بعد موتهم وهم منصرفون عنها، لا يحسبون لها حساباً ولا يقيمون لها وزناً ليحصلوا على شىء منها. فما هو تحت اللفظ نفى التورث لعدم وجود التركة كما إذا قلنا: إن الفقراء لا- يورثون، لا- أنهم يختصمون عن سائر الناس بحكم يقضى بعدم جريان أحكام الإرث على تركاتهم. والهدف الأسمى من الكلام بيان جلال الأنبياء. وهذا الأسلوب من البيان مما يتفق مع الأساليب النبويه الرائعه التى تطفح بالمعاني الكبار وتزخر بأسمائها فى موجاتها اللفظيه القصيره. ٤- ولكى تتفق معى على تفسير معين للحديث، يلزم أن نعرف معنى التورث لنفهم الجمله النافيه له كما يلزم. ومعنى التورث جعل شىء ميراثاً، فالمورث من يكون سبباً لانتقال المال من الميت إلى قريبه [٢٧٣] وهذا [صفحة ١٥٤] الأنتقال يتوقف على أمرين:- (أحدهما) وجود التركة. (والآخر) القانون الذى يجعل للوارث حصه من مال الميت. ويحصل الأول بسبب نفس الميت، والثانى بسبب المشرع الذى وضع قانون الوراثه سواء أكان فرداً أسندت إليه الناس الصلاحيات التشريعيه أو هيئه تقوم على ذلك، أو نبيا يشرع بوحى من السماء؛ فكل من الميت والمشرع له نصيب من إيجاد التوارث، ولكن المورث الحقيقى الذى يستحق التعبير عنه بهذا اللفظ بحق هو الميت الذى أوجد ماده الارث؛ لأنه هو الذى هيئاً للإرث شرطه الأخير بما خلفه من ثروه، وأما المشرع فليس مورثاً من ذلك الطراز لأنه لم يجعل بوضعه للقانون، ميراثاً معيناً

بالفعل، بل شرع نظاما يقضى بأن الميت إذا كان قد ملك شيئا و خلفه بعد موته فهو لأقاربه. و هذا وحده لا يكفى لإيجاد مال موروث فى الخارج، بل يتوقف على أن يكون الميت قد أصاب شيئا من المال و خلفه بعده. فالواضع التشريعى نظير من يضيف عنصرا خاصا إلى طبيعه من الطبائع، فيجعلها قابله لإحراق ما يلاقيها. فإذا ألقيت إليها بورقه فاحترقت كنت أنت الذى أحرقتها لا من اضاف ذلك العنصر المحرق إلى طبيعه؛ والقاعده التى تعلق ذلك، أن كل شىء يسند بحسب أصول التعبير إلى المؤثر الأخير فيه. و فى ضوء هذه القاعده نعرف أن نسبه التوريث إلى شخص تدل على أنه المؤثر الأخير فى الإرث، و هو الموروث [٢٧٤] الذى [صفحة ١٥٥] أوجد التركة. فالمفهوم من جملة: أن الأنبياء يورثون، أنهم يحصلون على الأموال و يجعلونها تركه من بعدهم، و إذا نفى التوريث عنهم، كان مدلول هذا النفى أنهم لا يهيؤون للإرث شرطه الأخير، و لا يسعون وراء الأموال ليتركوها بعد وفاتهم لورثتهم. و إذن فليس معنى: أن الأنبياء لا يورثون، عدم التوريث التشريعى، و نفى الحكم بالإرث؛ لأن الحكم بالإرث ليس توريثا حقيقيا، بل التوريث الحقيقى تهيته نفس التركة و هذا هو المنفى فى الحديث. و على طراز آخر من البيان أن التوريث الذى نفاه خاتم النبيين عن الأنبياء، إن كان هو التوريث التشريعى، كان مفاد النفى الغاء قانون الإرث من شرائع السماء؛ لأن توريثهم التشريعى لا يختص بورثتهم حتى يكون المنفى توريثهم خاصه. و إن كان هو التوريث الحقيقى، بمعنى تهيته الجو المناسب للإرث، سقطت العبارة عما أراد لها الصديق من معنى و كان معناها أن الأنبياء لا تركه لهم لتورث. ٥- و فى الروايه الأولى مهد الخليفه للحديث بقوله: «و الله ما ورث أبوك ديناراً و لا درهما» [٢٧٥]، و هذا التعبير واضح كل الوضوح فى نفى التركة و عدم ترك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم شيئا من المال. فإذا صح للخليفه أن يستعمل تلك الجملة فى هذا المعنى، فليصح أن تدل صيغته الحديث عليه أيضا و يكون هو المقصود منها. ٦- و إذا لاحظنا الامثلة التى ذكرت فى الروايه الثانيه نجد فيها ما يعزز [صفحة ١٥٦] قيمه هذا التفسير؛ لأن ذكر الذهب و الفضة و العقار و الدار- مع أنها من مهمات التركة- لا يتفق مع تفسير الحديث بأن التركة لا تورث؛ لأن اللازم ذكر أتفه الأشياء لبيان عموم الحكم بعدم الإرث لسائر مصاديق التركة. كما إنا إذا أردنا أن نوضح عدم إرث الكافر لشيء من تركه أبيه لم نقل: إن الكافر لا يرث ذهبا و لا فضه و لا دار و إنما نقول: إنه لا يرث تمره واحده من تركه الميت. و بتعبير واضح أن الاهتمام بتوضيح عموم الحكم لكل أقسام التركة يقتضى التصريح ببعض أقسام المال الذى قد يتوهم متوهم عدم اندراجه فى التركة التى لا تورث. و قولنا: الأنبياء لا يورثون أو أن الكفار لا نصيب لهم من تركه آبائهم، يدل أول ما يدل على عدم انتقال الدار و العقار و الذهب و الفضة و غيرها من نفيس التركة و مهمها. فذكر هذه الأمور فى الحديث يرجح أن المقصود بنفى توريث الأنبياء، بيان زهدهم و عدم اهتمامهم بالحصول على نفائس الحياة المحدوده التى يتنافس فيها المتنافسون؛ لأن المناسب لهذا الغرض ذكر الأموال المهمه التى تكون حيازتها و توريثها منافيا للزهد و المقامات الروحيه العليا. و أما الأخبار عن عدم التوريث فى الشريعة فاللائق به ذكر التوافه من التركة دون أقسامها الواضحه المهمه. ٧- و أمر آخر يشهد لما ذكرناه من التفسير و هو الجملة الثانيه الإيجابيه فى الحديث أى جملة: «و لكننا نورث الإيمان و الحكمه و العلم و السنه» [٢٧٦]، فإنها لا تدل على تشريع ورائه هذه الامور، بل على توفرها فى الأنبياء إلى [صفحة ١٥٧] حد يؤهلهم لنشرها و إشاعتها بين الناس. فقد نفهم حينئذ أن المراد بالجملة الأولى التى نفت التوريث؛ بيان أن الأنبياء لا يسعون للحصول على الذهب و العقار و نحوهما، و لا يكون لهم من ذلك شىء ليرثه آلهم. ٨- و لا يجوز لنا أن نقيس عبارة الحديث المرويه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «إن الناس لا يورثون الكافر من أقاربهم» [٢٧٧]، بل يلزمنا أن نفرق بين التعبيرين لأن المشرع إذا تكلم عن يشرع لهم أحكامهم كان الظاهر من كلامه أنه يلقى بذلك عليهم حكما من الأحكام. فإخبار النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن عدم توريث الناس للكافر من أقاربهم لا يصح تفسيره بأنه إخبار فقط، بل يدل فوق هذا على أن الكافر لا يرث فى شريعته. و تختلف عن ذلك العبارة التى نقلها الخليفه؛ لأن موضوع الحديث فيها هو الأنبياء لا جماعه ممن تشملهم تشريعات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أحكامه، فلى فى الأمر ما يدل على حكم وراء الإخبار عن عدم توريثهم. ٩- و ليس لك أن تعترض بأن الأنبياء كثيرا ما يحوزون على شىء مما ذكر فى الحديث، فيلزم على ما ذكرت من التفسير أن يكون الحديث كاذبا؛ لأنك قد تتذكر أن الذى نفى

عن الأنبياء هو التورث خاصه، و هو ينطوى على معنى خاص، و أعنى به إسناد الإرث إلى المورث. و هذا الإسناد يتوقف على أن يكون المورث قد سعى فى سبيل الحصول على المال الذى تركه ميراثا بعده، كما يتوقف معنى المهدب على استعمال وسائل التهذيب. [صفحة ١٥٨] فإذا استطاع شخص أن يقرأ أفكار عالم من علماء الأخلاق، و يهذب نفسه على هدى تلك الأفكار، لم يصح تسميه ذلك العالم مهذبا؛ لأن إيجاد أى شىء سواء أكان تهذيبا أو توريثا أو تعليما أو نحو ذلك لا يستقيم إسناده إلى شخص إلا إذا كان للشخص عمل إيجابى، و تأثير ملحوظ فى تحقق ذلك الشىء الموجود. و الأنبياء و إن حازوا شيئا من العقارات والدور، و لكن ذلك لم يكن بسعى منهم وراء المال كما هو شأن الناس جميعا. و نقرر علاوه على هذا أن المقصود من الكلام ليس هو بيان أن الأنبياء لا- يورثون و لا- يتركون مالا، بل ما يدل عليه ذلك من مقامهم و امتيازهم. و ما دامت الجملة كذلك و لم يكن الهدف الحقيقى منها بيان معناها الحرفى، فلا يمنع حيازه الأنبياء لبعض تلك الأموال عن صواب التفسير الذى قدمناه، كما أن من كنى قديما عن الكريم بأنه كثير الرماد [٢٧٨] لم يكن كاذبا سواء أكان فى بيت الكريم رماد، أو لا؛ لأنه لم يرد نعته بهذا الوصف حقاً و إنما أشار به إلى كرمه، لأن أظهر لوازم الكرم يومذاك كثره المطابخ الموجه لكثرة الرماد. و عدم التورث من أوضح آثار الزهد و الورع، فيجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد أشار إلى ورع الأنبياء بقوله: إن الأنبياء لا يورثون. ١٠- و لأجل أن نتيه معنى القسم الثانى من صيغ الحديث يلزمنا أن نميز بين معان ثلاثه:- [صفحة ١٥٩] (الأول) أن تركه الميت لا تورث، و معنى هذا إن ما كان يملكه إلى حين وفاته، و تركه بعده لا ينتقل إلى آله بل يصبح صدقه حين موته. (الثانى) أن ما تصدق به الميت فى حياته، أو أوقفه على جهات معينه لا يورث بل يبقى صدقه و وقفا، والورثه إنما يورثون غير الصدقات من الأموال التى كان يملكها الميت إلى حين وفاته. (الثالث) أن الشخص ليس ليده أموال مملوكه له لتورث، و كل ما سوف يتركه من أموال إنما هو من الصدقات و الأوقاف. و متى عرفنا الفارق بين هذه المعانى يظهر أن صيغه الحديث ليست واضحة كل الوضوح و لا غنيه عن البحث و التمهيص، بل فى طاقتها التعبيرية إمكانيات التفسير بالمعانى الآنفه الذكر جميعا؛ فإن النصف الثانى من الحديث و هو- ما تركناه صدقه- يجوز أن يكون مستقلا فى كيانه المعنوى، مركبا من مبتدأ و خبر، و يمكن أن يكون تكمله لجملة لا- تورث. ففى الحال الأولى يقبل الحديث التفسير بالمعنى الأول و الثالث من المعانى السابقة لأن جملة- ما تركناه صدقه- قد يراد بها أن التركة لا تنتقل من ملك الميت إلى آله و إنما تصبح صدقه بعد موته، و قد يقصد بها بيان المعنى الثالث و هو أن جميع التركة صدقه و لم يكن يملك منها الميت شيئا ليورث كما إذا أشار الإنسان إلى أمواله و قال: إن هذه الأموال ليست ملكا لى و إنما هى صدقات أتولاهما. و الحديث على تقدير أن تكون له وحده معنويه، يدل على المعنى الثانى؛ أى أن الصدقات التى تصدق بها الميت فى حياته لا- تورث دون سائر تركته، و يكون الموصول مفعولا لا مبتدأ. و يتضح من الصيغه على هذا التقدير نفس ما يفهم منها إذا انعكس الترتيب فيها و جاءت [صفحة ١٦٠] هكذا:- ما تركناه صدقه لا نورثه- فكما يؤتى بهذه الجملة لبيان أن الصدقات لا تورث، لا أن كل أقسام التركة صدقه، كذلك يصح أن يقصد نفس ذلك المعنى من صيغه الحديث بترتيبها المأثور. فتكون دليلا على عدم انتقال الصدقات إلى الورثه لا على عدم تشريع الإرث إطلاقا. و قد يكون من حق سيبويه علينا أن نشير إلى أن قواعد النحو ترفع كلمه صدقه على تقدير استقلال- ما تركناه صدقه- معنويا و تنصبها على التقدير الآخر. و من الوضوح أن الحركات الاعرابيه لا تلحظ فى التكلم عادة بالنسبه إلى الحرف الأخير من حروف الجملة للوقوف عليه المجرى لتسكينه. ١١- و إذن فقد وضعنا بين يدى الحديث عده من المعانى فى سبيل البحث عن مدلوله. و ليس من الإسراف فى القول أن نقرر أن تفسير الحديث بما يدل على أن أموال النبى صلى الله عليه و آله و سلم تكون صدقه بعد موته، لا يرجح على المعنيين الآخرين، بل قد نتبين لونا من الرجحان للمعنى الثانى- و هو أن المتروك صدقه لا يورث- دون سائر التركة إذا تأملنا ضمير الجمع فى الحديث، و هو النون، و هضمنا دلالاته كما يجب لأن استعماله فى شخصه الكريم خاصه لا يصح إلا على سبيل المجاز، ثم هو بعد ذلك بعيد كل البعد عن تواضع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله و فعله. فالظواهر تجمع على أن النون قد استعملت فى جماعه، و إن الحكم الذى تقرره عبارته ثابت لها و ليس مختصا بالنبى صلى الله عليه و آله و

سلم، والأوفق بأصول التعبير أن تكون الجماعه جماعه المسلمين لا الأنبياء؛ لأن الحديث مجرد عن قرينه تعين هؤلاء، و لم يسبق بعهد يدل عليهم. و ليس لكم أن تعترض بأن صيغه الحديث يجوز أنها كانت مقترنه حال صدورها من النبي صلى الله عليه وآله و سلم بقرينه أو مسبوقة بعهد يدل على أن [صفحة ١٦١] مراده من الضمير جماعه الأنبياء، لأن اللازم أن نعتبر عدم ذكر الخليفه لشيء من ذلك- مع أن الراوى لحديث لا بد له من نقل سائر ما يتصل به مما يصلح لتفسيره- دليلا على سقوط هذا الاعتراض. و أضف إلى هذا أن إغفال ذلك لم يكن من صالحه، و إذن فليكن الواقع اللفظي للحديث هو الواقع المأثور عن الخليفه بحدوده الخاصه بلا زياده و لا نقيصه. والمفهوم من الضمير حينئذ جماعه المسلمين لحضورهم ذاتا عند صدور العابه من النبي صلى الله عليه وآله و سلم. و قد جرت عاده المتكلمين على أنهم إذا أوردوا جملة في مجتمع من الناس، و أدرجوا فيها ضمير المتكلم الموضوع للجماعه، أن يريدوا بالضمير الجماعه الحاضره. فلو أن شخصا من العلماء اجتمع عنده جماعه من أصدقائه، و أخذ يحدثهم و هو يعبر بضمير المتكلم بالجماعه نفسه مع أصدقائه الحاضرين لا معشر العلماء الذين يندرج فيهم، و لو أراد جماعه غيب أولئك الحاضرين لم يكن مبينا بل ملغزا. و تعليقا على هذا التقدير ماذا تراه يكون هذا الحكم الذي أثبتته الحديث للمسلمين- الذين قد عرفنا أن الضمير يدل عليهم- هل يجوز أن يكون عباره عن عدم توريث المسلم لتركته؟ أو أن الأموال التي عند كل مسلم ليست ملكا له و إنما هي من الصدقات؟ كلا! فإن هذا لا يتفق مع الضرورى من تشريع الإسلام، لأن المسلم فى عرف القرآن يملك بألوان متعدده من أسباب الملك عند الناس، و يورث ما يتركه من أموال (بعد وصيه يوصى بها أو دين) [٢٧٩]. و أنت ترى [صفحة ١٦٢] معنى الآن بوضوح أن الحكم ليس إلا أن الصدقه لا تورث، فإن هذا أمر عام لا يختص بصدقه دون صدقه بل يطرد فى سائر صدقات المسلمين. و لا غرابه فى بيان الحكم بعدم توريث الصدقات فى صدر زمان التشريع مع وضوحه الآن؛ لأن قواعد الشريعة و أحكامها لم تكن قد تقررت و اشتهرت بين المسلمين فكان لاحتمال انفساخ الصدقات و الأوقاف بموت المالك و رجوعها إلى الورثه متسع، و لا يضعض قيمه هذا التفسير عدم ذكر الزهراء له و اعتراضها به على الخليفه. أما أولا: فلأن الموقف الحرج الذى وقفته الزهراء فى ساعتها الشديده لم يكن ليتسع لمثل تلك المناقشات الدقيقه؛ حيث أن السلطه الحاكمه التي كانت تريد تنفيذ قراراتها بصورة حاسمه قد سيطرت على الموقف بصرامه و عزم لا يقبلان جدالا، و لذا نرى الخليفه لا يزيد فى جواب استدلال خصمه بآيات ميراث الأنبياء على الدعوى الصارمه إذ يقول: «هكذا هو»- كما فى طبقات ابن سعد [٢٨٠]- فلم يكن مصير هذه المناقشات لو قدر لها أن تساهم فى الثوره بنصيب إلا الرد والفشل. و أما ثانيا: فلأن هذه المناقشات لم تكن تتصل بهدف الزهراء و غرضها الذى كان يتلخص فى القضاء على جهاز الخلافه الجديده كلها، فمن الطبيعى أن تقتصر على الأساليب التي هى أقرب إلى تحقيق ذلك الغرض، [صفحة ١٦٣] فتراها مثلا فى خطابها الخالد خاطبت عقول الناس و قلوبهم معاً، و لكنها لم تتجاوز فى احتجاجها الوجوه البديهيه التي كان من القريب أن يستنكر اغضاء الخليفه عنها كل أحد، و يجر ذلك الاستنكار إلى معارضه حاميته. فقد نفت وجود سند لحكم الخليفه من الكتاب الكريم، ثم ذكرت ما يخالفه من الآيات العامه المشرعه للتوارث بين سائر المسلمين [٢٨١]، و الآيات الخاصه الداله على توريث بعض الأنبياء كحبيى و داود عليهما السلام، ثم عرضت المسأله على وجه آخر و هو: إن ما حكم به الخليفه لو كان حقا للزم أن يكون أعلم من رسول الله و وصيه؛ لأنهما لم يخبراها بالخبر مع أنهما لو كانا على علم به لأخبراها به، و من الواضح أن الصديق لا- يمكن؟ أن يكون أعلم بحكم التركة النبويه من النبي صلى الله عليه وآله و سلم أو على الذى ثبتت وصايته [٢٨٢] لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و ذلك فى قولها: «يا ابن أبى قحافه أفى كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلنى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: (و ورث سليمان داود) [٢٨٣] و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا: [صفحة ١٦٤] (فهب لى من لدنك وليا- يرثنى و يرث من آل يعقوب) [٢٨٤] و قال: (و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) [٢٨٥] أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبى؟ أم هل تقولون: أهل ملتين لا- يتوارثان؟! أو لست أنا و أبى من أهل مله واحده؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومته من أبى و ابن عمى [٢٨٦]؟! و كانت أبرز الناحيتين فى ثورتها الناحيه العاطفيه. و ليس من العجيب أن تصرف الزهراء أكثر جهودها فى كسب معركه

القلب، فإنه السلطان الأول على النفس، والمهد الطيعى الذى تترعوع فيه روح الثوره. وقد نجحت الحوراء فى تلوين صورته فنيه رائعه تهز المشاعر، و تكهرب العواطف، و تهيمن على القلوب، كانت هى أفضل سلاح تتسلح به امرأه فى ظروف كظروف الزهراء. و لأجل أن نستمتع بالجمال الفنى فى تلك الصوره الملونه بأروع الألوان، لا بأس بأن نستمتع إلى الصديقه حين خاطبت الأنصار بقولها: «يا معشر البقيه، و أعضاد المله، و حضنه الإسلام، ما هذه الفتره عن نصرتى؟ و الونيه عن معونتى؟ و الغمزه فى حقى؟ و السنه عن ظلامتى؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «المرء يحفظ فى ولده» [٢٨٧]؟! سرعان ما [صفحه ١٦٥] أحدثتم، و عجلان ما أتيتم، لأن مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أتم دينه؟! ها إن موته لعمرى خطب جليل، استوسع و هته، و استبهم فته، و فقد راتقه، و أظلمت الأرض له، و خشتعت الجبال، و أكدت الآمال. أضيع بعده الحريم، و هتكت الحرمه، و أذيلت المصونه، و تلك نازله أعلن بها كتاب الله قبل موته، و أنبأكم بها قبل وفاته، فقال: (و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا و سيجزى الله الشاكرين) [٢٨٨] إيها بنى قيله! اهتضم تراث أبى و أنتم بمرأى و مسمع تبلغكم الدعوه، و يشملكم الصوت، و فيكم العده و العدد، و لكم الدار و الجن، و أنتم نخبه الله التى نتخب و خيرته التى اختار... الخ» [٢٨٩]. و إذن فلم تكن المناقشات فى تفسير الحديث و تأويله مما تهضمها السلطات الحاكمه، و لا هى على علاقته بالغرض الرئيسى للثائر من ثورتها. و هذا يفسر لنا عدم تعرضها للنحله فى خطابها أيضا.

موقف الخليفه من مسأله الميراث

١- يجب الآن توضيح موقف الخليفه تجاه الزهراء فى مسأله الميراث و تحديد رأيه فيها- بعد أن أوضحنا حظ الصيغ السابقه من وضوح المعنى و خفائه- و هو موقف لا يخلو من تعقيد إذا تعمقنا شيئا ما فى درس [صفحه ١٦٦] المستندات التاريخيه للفضيه. و مع أن المستندات كثيره فإنها مسأله محيره أن نعرف ماذا عسى أن تكون النقطه التى اختلف فيها المتنازعان، و من الصعوبه توحيد هذه النقطه. و الناس يرون أن مثار الخلاف بين أبى بكر و الزهراء هو مسأله توريث الأنبياء؛ فكان الصديقه تدعى توريثهم، و الخليفه ينكر ذلك. و تقدير الموقف على هذا الشكل لا يحل المسأله حلا نهائيا و لا يفسر عده أمور: (الأول) قول الخليفه لفاطمه فى محاوره له معها- و قد طالبه بفدك:- إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و إنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال و ينفقه فى سبيل الله، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وليته كما كان يليه [٢٩٠]. فإن هذا الكلام يدل بوضوح على أنه كان يناقض فى أمر آخر غير توريث الأنبياء. (الثانى) قوله لفاطمه فى محاوره أخرى: «أبوك و الله خير منى و أنت و الله خير من بناتى و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا نورث ما تركناه صدقه» [٢٩١]. يعنى هذه الأموال القائمه، و هذه الجميله التفسيريه التى ألحقها الخليفه بالحديث تحتاج إلى عناية، فإنها تفيدنا أن الخليفه كان يرى أن الحكم الذى تدل عليه عبارته الحديث مختص بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و ليس ثابتا لتركه سائر الأنبياء و لا لتركه سائر المسلمين جميعا، فحدد التركه التى لا تورث بالأموال القائمه، و ذكر أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يعنىها هى بالحديث. و على هذا [صفحه ١٦٧] التحديد نفهم أن المفهوم للخليفه من الحديث ليس هو عدم توريث الصدقات؛ لأن هذا الحكم عام، و لا اختصاص له بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فلا يجوز أن يحدد موضوعه بالأموال القائمه بل كان اللازم حينئذ أن يأتى الخليفه بجملة تطبيقه بأن يقول: إن الأموال القائمه مما ينطبق عليها الحديث. كما يتضح لدينا أن الخليفه لم يكن يفسر الحديث بأن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا تورث تركته و أملاكه التى يخلفها، بل تصبح صدقه بعد موته؛ لأنه لو كان يذهب هذا المذهب فى فهم الحديث لجاء التفسير فى كلامه على أسلوب آخر؛ لأن المقصود من موضوع الحديث حينئذ تركه النبي صلى الله عليه و آله و سلم على الإطلاق و لا- يعنى الأموال الخاصه لو كانت تطالب بها الزهراء خاصه. و أعنى بذلك أن هذه الأموال الخاصه لو كانت قد خرجت عن ملك النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل وفاته، لم يكن الحكم بعدم التوريث ثابتا لها كما أن غيرها من الأموال لو حصل (للنبي) لما ورثها آله أيضا. فعدم توريث

التركة النبويه أن ثبت فهو امتياز لكل ما يخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أملاك سواء أكانت هذه التي خلفها أو غيرها. و لا يصح أن يقال: إنه عنى بالتركة الأموال القائمة التي كانت تطالب بها الزهراء. و نظير ذلك قولك لصاحبك: أكرم كل من يزورك الليلة، ثم يزوره شخصان فإنك لم تعن بكلامك هذين الشخصين خاصة، وإنما انطبق عليهما الأمر دون غيرهما على سبيل الصدفة. و على أسلوب أوضح؛ إن تفسير التركة التي لا تورث بأموال معينه-و هي الأموال القائمة- يقضى بأن الحكم المدلول عليه بالحديث مختص- عند المفسر- بهذه الأموال المحدوده. و لا ريب أن تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت لا تورث لما اختص الحكم [صفحة ١٦٨] بالأموال المعينه المتروكه بالفعل، بل ثبت لكل ملك يتركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و إن لم يكن من تلك الأموال. و أيضا فمن حق البحث أن أتساءل عن فائده الجملة التفسيريه، و الغرض المقصود من ورائها فيما إذا كان الحكم المفهوم للخليفه من الحديث أن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا- تورث، فهل كان صدق التركة على الأموال القائمة مشكوكا، فأراد أن يرفع الشك لينطبق عليها الحديث، و يثبت لها الحكم بعدم التورث؟ و إذا صح هذا التقدير فالشك المذكور في صالح الخليفه لأن المال إذا لم يتضح أنه من تركه الميت لا ينتقل إلى الورثه، فلا يجوز أن يكون الخليفه قد حاول رفع هذا الشك، و لا- يمكن أن يكون قد قصد بهذا التطبيق منع الزهراء من المناقشه في انطباق الحديث على ما تطالب به من أموال؛ لأنها ما دامت قد طالبت بالأموال القائمة على وجه الإبرث فهي تعترف بأنها من تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. و لنفترض أن الأموال القائمة قسم من التركة النبويه و ليس المقصود منها مخلفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً- و لعلها عباره عن الأموال والعقارات الثابته نحو فدك- فهل يجوز لنا تقدير أن غرض الخليفه من الجملة تخصيص الأموال التي لا تورث بها؟ لا أظن ذلك، لأن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تختلف في التورث و عدمه. و نخرج من هذه التأملات بنتيجته و هي أن المفهوم من الحديث للخليفه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن عدم تملكه للأموال القائمة، و أشار إليها بوصف التركة فقال: «ما تركناه صدقه»، فشأنه شأن من يجمع ورثته ثم يقول لهم: إن كل تركنى صدقه؛ يحاول بذلك أن يخبرهم بأنها ليست ملكا له ليرثوها بعده لأن ذلك هو المعنى الذى يمكن أن يختص بالأموال القائمة و يحدد موضوعه بها. [صفحة ١٦٩] (الثالث) جواب الخليفه لرسول أرسلته فاطمه ليطلب بما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة و فدك و ما بقى من خميس خبير، إذ قال له: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث ما تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال، و إنى والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٢٩٢]». فإننا إذا افترضنا أن معنى الحديث فى رأى الخليفه عدم تورث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأملاكه، كان كلامه متناقضا؛ لأن استدلاله بالحديث فى صدر كلامه يدل حينئذ على أنه يعترف بأن ما تطالب به الزهراء هو من تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أملاكه التي مات عنها- ليصح انطباق الحديث عليه- والجملة الأخيره من كلامه و هي قوله: «و إنى والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، تعاكس هذا المعنى؛ لأن ما طلبت الزهراء تغييره عن أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم- بزعم الخليفه- هو فدك و عقاراته فى المدينة، و ما بقى من خمس خبير. فأبوبكر حين يقول: إنى والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعنى بها تلك الأموال التي طالبت بها الزهراء، و رأى معنى مطالبتها بها تغييرها عن حالها السابقه، و معنى تسميته لها بصدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من رأيه أنها ليست ملكاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بل من صدقاته التي كان يتولاها فى حياته. و يوضح لنا هذا أن استدلاله بالحديث فى صدر كلامه لم يكن لإثبات أن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث و إنما أراد بذلك توضيح أن الأموال القائمة ليست من أملاك النبي؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أنها صدقه. ٢- و نستطيع أن نتبين من بعض روايات الموضوع أن الخليفه ناقش [صفحة ١٧٠] فى تورث الأنبياء لأملاكهم و لم يقصر النزاع على الناحيه السابقه، فإن الروايه التي تحدثنا بخطبه الزهراء و استدلال أبى بكر بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث... الخ» و

اعتراض الزهراء عليه بالآيات العامة المشرعة للميراث والآيات الخاصة الداله على توريث بعض الأنبياء تكشف عن جانب جديد من المنازعه إذ ينكر أبو بكر توريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمواله، ويستند إلى الحديث في ذلك، ويلج في الإنكار كما تلج فاطمه في مناقشته [٢٩٣] والتشبه بوجهه نظرها في المسأله. ٣- و إذن فللخليفه حديثان: (الأول) لا نورث ما تركناه صدقه [٢٩٤]. (والثاني) إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضه [٢٩٥]. وقد ادعى أمرين: أحدهما: إن فدك صدقه فلا تورث. والآخر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث أملاكه. واستدل بالحديث الأول على أن فدك صدقه وبالحديث الثاني على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث.

نتائج المناقشه

١- قد لا يكون من العسير تصفيه الحساب مع الخليفه بعد أن اتضح [صفحة ١٧١] موقفه، و تقررت الملاحظات التي لاحظناها في الحديثين اللذين رواهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و تتلخص المؤاخذه التي آخذناه بها حتى الآن في عدة أمور نشير إليها لنجمع نتائج ما سبق: (الأول) أن الخليفه لم يصدق روايته في بعض الأحيان كما المعنا في مستهل هذا الفصل... (الثاني) أن من الإسراف في الاحتمال أن نجوز إسرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخليفه بحكم تركته وإخفاءه عن بضعته و سائر ورثته. و كيف اختص بالخليفه دون غيره بمعرفه الحكم المذكور؟ [٢٩٦] مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من عادته الاجتماع بأبي بكر وحده إلا بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر في خلوه متعمده ليقى الأمر مجهولا لدى ورثته و بضعته و يضيف بذلك إلى آلامها من ورائه محنه جديده. (الثالث) أن عليا هو وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سائر بلا-ريب؛ للحديث الدال على ذلك الذي ارتفع به رواته إلى درجه التواتر واليقين حتى شاع في شعر أكابر الصحابه فضلا عن رواياتهم كعبدالله بن عباس و خزيمه بن ثابت الأنصاري و حجر بن عدى و أبي الهيثم بن التيهان و عبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب و حسان بن ثابت و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [٢٩٧]. و إذن فالوصايه من الأوسمه الإسلاميه الرفيعه التي اختص بها [صفحة ١٧٢] الإمام بلا ريب [٢٩٨]. و قد اختلف شيعه علي و شيعه أبي بكر في معنى هذه الوصايه فذهب السابقون الأولون إلى أنها بمعنى النص عليه بالخلافه، و تأولها الآخرون فقالوا: إن عليا وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علمه أو شريعته أو مختصاته. و لا- نريد الآن الاعتراض على هؤلاء أو تأييد أولئك، و إنما نتكلم على الحديث بمقدار ما يتطلبه اتصاله بموضوع هذا البحث و نقرر النتيجة التي يقضى بها على كل من تلك التفاسير. فنفترض أولا- إن الوصايه بمعنى الخلافه، ثم نتبين الصديق على هدى الحديث. فإنا سوف نراه شخصا سارقا لأنفس المعنويات الإسلاميه، و متصرفا في مقدرات الأمة بلا سلطان شرعى. و لا مجال لهذا الشخص حينئذ أن يحكم بين الناس، و لا يسعنا أن نؤمن له بحديث. لنترك هذا التفسير ما دام شديد القسوه على صاحبنا و نقول: إن عليا وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علمه و شريعته، فهل يسعنا مع الاعتراف بهذه الوصايه المقدسه أن نؤمن بحديث ينكره الوصى؟! و ما دام هو العين الساهره على شريعته السماء [٢٩٩]، فلا بد أن يؤخذ رأيه في كل مسأله نصالا مناقشه فيه؛ [صفحة ١٧٣] لأنه أدري بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم و آتئمنه عليه. وخذ إليك بعد ذلك الأسلوب الثالث؛ فإنه ينتهى إلى النتيجة السابقه عينها لأن عليا إذا كان وصيا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تركته و مختصاته، فلا معنى لسطو الخليفه على التركة النبويه و وصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها موجود و هو أعرف بحكمها و مصيرها الشرعى. (الرابع) أن تأميم التركة النبويه من أوليات الخليفه فى التاريخ، و لم يؤثر فى تواريخ الأمم السابقه ذلك، و لو كان قاعده متبعه قد جرى عليها الخلفاء بالنسبه إلى تركه سائر الأنبياء لاشتهر الأمر، و عرفته أمم الأنبياء جميعا. كما أن إنكار الخليفه لمملكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدك- كما تدل عليه بعض المحاورات السابقه- كان فيه من التسرع شىء كثير؛ لأن فدك مما لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، بل استسلم أهلها خوفا و رعبا باتفاق أعلام المؤرخين [٣٠٠] من السنه و الشيعه. و كل أرض يستسلم

أهلها على هذا الأسلوب فهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خالصة [٣٠١]. وقد أشار الله تعالى في الكتاب الكريم إلى أن فدك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) [٣٠٢] ولم يثبت تصدق النبي بها ووقفه لها. (الخامس) إن الحديثين اللذين استدل بهما في الموضوع لا يقوم منهما [صفحة ١٧٤] دليل على ما أراد، وقد خرجنا من دراستهما قريباً بمعنى لكل منهما لا يتصل بمذهب الخليفة عن قرب أو بعد. وإن أبيت فلتكن المعاني الآنفه الذكر متكافئة، ولتكن العبارة ذات تقادير متساوية، ولا يجوز حينئذ ترجيح معنى لها والاستدلال بها عليه. ٢- هذه هي الاعتراضات التي انتهينا إليها آنفاً. ونضيف إليها الآن اعتراضاً سادساً بعد أن نفترض أن جملة «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» أقرب إلى نفي الحكم بالميراث منها إلى نفي التركة الموروثة، ونقدر لجملة: «لا نورث ما تركناه صدقه» من المعنى ما ينفع الخليفة، ونلغى تفسيرها بأن الصدقة المتروكة لا- تورث، ثم ندرس المسألة على ضوء هذه التقادير. وهذا الاعتراض الجديد هو أن اللازم- في العرف العلمي- متى صحت هذه الفروض تأويل الخبر، ولم يجوز الركون إلى أوضح معانيه؛ لأنه يقرر حينئذ عدم توريث سائر الأنبياء لا نورث، ولما دل عليه بالنون في قوله: لا نورث ما تركناه صدقه، من تعليق الحكم على جماعه. وحيث يتضح أن الحكم في الحديث عدم توريث التركة، يتجلى أن المراد بالجماعه جماعه الأنبياء، إذ لا توجد جماعه أخرى نحتمل عدم انتقال تركاتها إلى الورثة. وقد دل صريح القرآن الكريم على توريث بعض الأنبياء، إذ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم مخبراً عن زكريا عليه السلام: (وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امراتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً- يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً) [٣٠٣] والإرث في الآيه بمعنى إرث المال؛ لأنه هو الذي ينتقل [صفحة ١٧٥] حقيقة من الموروث إلى الوارث، وأما العلم والنبوه فلا- ينتقلان انتقالاً حقيقياً [٣٠٤]، وامتناع انتقال العلم على نظريه اتحاد العاقل والمعقول [٣٠٥] واضح كل الوضوح. وأما إذا اعترفنا بالمغايرة الوجودية بينهما، فلا- ريب في تجرد الصور العلمية [٣٠٦]؛ وأنها قائمة بالنفس قياماً صدورياً [٣٠٧]؛ بمعنى [صفحة ١٧٦] أنها معلولة للنفس والمعلول الواحد بحسب الذات- لا بمجرد الاتصال فقط- متقوم بعلة ومرتبط الهويه بها، فيستحيل انتقاله إلى عله أخرى. ولو افترضنا أن الصور المدركة أعراض وكميات قائمة بالمدرك قياماً حلولياً، فيستحيل انتقالها لاستحالة انتقال العرض من موضوع إلى موضوع كما برهن عليه في الفلسفة سواء أقلنا بتجردها أو بماديتها بأن اعترافنا باشمال الصور المدركة على الخصائص العامه للماده من قابليه الانقسام ونحوها. و إذن فالعلم يستحيل انتقاله في حكم المذاهب الفلسفيه الدائره حول الصور العلميه جميعاً. وإذا لاحظنا النبوه وجدنا أنها هي الأخرى أيضاً مما لا يجوز في عرف العقل انتقالها سواء أذهبنا في تفسيرها مذهب بعض الفلاسفه وقلنا أنها مرتبه من مراتب الكمال النفسى، و درجه من درجات الوجود الإنسانى الفاضل الذى ترتفع إليه المهيه الإنسانى فى ارتقاءاتها الجوهرية و تصاعدهاتها نحو الكمال المطلق، أو أخذنا بالمعنى المفهوم للناس من الكلمه واعتبرنا النبوه منصباً إليها جعلولاً لا كمنصب الملك والوزير، ويكون ذلك التكامل النفسى شرطاً له؛ فالمفهوم الأول يمتنع انتقاله بالضرورة لأنه [صفحة ١٧٧] نفس وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكمالاته الذاتيه، والنبوه بالمعنى الآخر يستحيل انتقالها أيضاً لأنها حينئذ أمر اعتبارى متشخص الأطراف ولا يعقل تبدل طرف من أطرافه إلا بتبدل نفسه و انقلابه إلى فرد آخر. فنبوه زكريا مثلاً هي هذه التي اختص بها زكريا و لن يعقل ثبوتها لشخص آخر لأنها لا تكون حينئذ تلك النبوه الثابته لزكريا بل منصباً جديداً أو مقاماً نبوياً حادثاً. والنظر الأولى فى المسأله يقضى بامتناع انتقال العلم والنبوه من دون حاجه إلى هذا التعمق والتوسع. و إذن فالنتيجه التى يقررها العقل فى شوطه الفكرى القصير الذى لا- يعسر على الخليفة مسايته فيه هي أن المال وحده الذى ينتقل دون العلم والنبوه. ٣- وقد يعترض على تفسير الإرث فى كلام زكريا بإرث المال بأن يحيى عليه السلام لم يرث مال أبيه لاستشهاده فى حياته فيلزم تفسير الكلمه بإرث النبوه؛ لأن يحيى قد حصل عليها ويكون دعاء النبي حينئذ قد استجيب. ولكن هذا الاعتراض لا يختص بتفسير دون تفسير؛ لأن يحيى عليه السلام كما أنه لم يرث ما أبيه كذلك لم يخلفه فى نبوته. و ما ثبت له من النبوه لم يكن وراثياً وليس هو مطلوب زكريا وإنما سأل زكريا ربه وارثاً يرثه بعد موته ولذا قال: (وإني خفت الموالى من ورائي) [٣٠٨] أى بعد موتى، فإن كلامه يدل بوضوح على أنه أراد وارثاً يخلفه و لم

يرد نبيا يعاصره، وإلا- لكان خوفه من الموالى بعد وفاته باقيا. فلا- بد- على كل تقدير- أن نوضح الآيه على أسلوب يسلم عن الاعتراض؛ وهو أن تكون جملة (يرثى و يرث من آل [صفحة ١٧٨] يعقوب)، جوابا للدعاء بمعنى إن رزقتين ولدا يرث، لا صفة ليكون زكريا قد سأل ربه وليا وارثا. فما طلبه النبى من ربه تحقق وهو الولد و توريته المال أو النبوه لم يكن داخلا فى جملة ما سأل ربه وإنما كان لازما لما رجاه فى معتقد زكريا عليه السلام. و يختلف تقدير عبارته صفة عن تقديرها جوابا من النواحي اللفظية فى الاعراب؛ لأن الفعل إذا كانت صفة فهو مرفوع، وإذا كان جوابا يتعين جزمه. و قد ورد فى قراءته [٣٠٩] كلا الوجهين. و إذا لاحظنا قصه زكريا فى موضعها القرآنى الآخر وجدنا أنه لم يسأل ربه إلا ذرية طيبة، فقد قال تبارك و تعالى فى سورة آل عمران: (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة) [٣١٠]. و أفضل الأساليب فى فهم القرآن ما كان منه مركزا على القرآن [٣١١] نفسه، و على هذا فنفهم من هذه الآيه أن زكريا كان مقتصدا فى دعائه و لم يطلب من ربه إلا ذرية طيبة، و قد جمع القرآن الكريم دعاء زكريا فى جملة واحده تارة و جعل لكل من الذرية و وصفها دعوه مستقله فى موضع آخر فكانت جملة هب لى من لدنك وليا طلبا للذرية، و جملة واجعله ربي رضيا دعوه بأن تكون الذرية طيبة. و إذا جمعنا هاتين الجملتين أدت نفس المعنى [صفحة ١٧٩] الذى تفيدته عبارته هب لى من لدنك ذرية طيبة. و تخرج كلمه (يرثى) بعد عمليه المطابقيه بين الصيغتين القرآنتين عن حدود الدعاء، و لا بد حينئذ أن تكون جوابا له. ٤- و على ذلك يتضح أن كلمه الإرث فى الآيه الكريمه قد أعطيت حقها من الاستعمال و أريد بها إرث النبوه؛ لأن الشىء إنما يصح أن يقع جوابا للدعاء فيما إذا كان ملازما للمطلوب و متحققا عند وجوده دائما أو فى أكثر الأحيان. و وراثته النبوه ليست ملازمه لوجود الذرية إطلاقا، بل قد لا تتفق فى مئات الملايين من الأشخاص لما يلزم فى هذا المقام من كفاءه فذه و كمال عظيم، فلا يجوز أن توضع النبوه بجلالها الفريد جوابا لسؤال الله تعالى ذرية طيبة؛ لأن النسبه بين الذرية الإنسانيه و بنى الجديرين بتحمل أعباء الرساله المساويه هى النسبه بين الآحاد والملايين. و أما وراثته المال فيمكن أن تكون جوابا لدعاء زكريا عليه السلام لأن الولد يبقى بعد أبيه على الأكثر فوراثته للمال مما يترتب على وجوده غالبا، و أضف إلى ذلك أن زكريا نفسه لم يكن يرى النبوه ملازمه لذريته بل و لا ما دونها من المراتب الروحيه؛ و لذا سأل ربه بعد ذلك بأن يجعل ولده رضيا. ٥- و لنترك هذا لندرس كلمه الإرث فى الآيه على ضوء تقدير الفعل صفة لا جوابا للدعاء. و فى رأى أن هذا التقدير لا يضطرنا إلى الخروج بنتيجه جديده، بل الإرث فى كلمه (يرثى) هو إرث المال فى الحالين معا بلا ريب. والذى يعين هذا المعنى للكلمه على التقدير الجديد أمران: (الأول) أن زكريا عليه السلام لو كان قد طلب من ربه ولدا وارثا لنبوته لما طلب بعد ذلك أن يكون رضيا؛ لأنه ددخل فى دعوته الأولى ما هو أرفع [صفحة ١٨٠] من الرضا. (الثانى) أن إغفال الإرث بالمره فى قصه زكريا الوارده فى سورة آل عمران إن لم يدل على أن الإرث خارج عن حدود الدعاء، فهو فى الأقل يوضح أن معنى الإرث فى الموضع القرآنى الآخر للقصه إرث المال لا إرث النبوه؛ لأن زكريا لو كان قد سأل ربه أمرين: أحدهما أن يكون ولده طيبا رضيا، و الآخر أن يرث نبوته، لما اقتصر القرآن الكريم على ذلك الوصف الأول الذى طلبه زكريا عليه السلام فإنه ليس شيئا مذكورا بالإضافة إلى النبوه. و لكى تتفق معى على هذا لاحظ نفسك فيما إذا سألك سائل بستانا و درهما فأعطيته الأمرين معا. ثم أردت أن تنقل القصه و تخصص الدرهم بالذكر، لا أراك تفعل ذلك إلا إذا كنت كثير التواضع. و رجحان البستان على الدراهم فى حساب القيم الماديه هو دون امتياز النبوه على طيب الذرية فى موازين المعنويات الروحيه. و إذن فقصه زكريا التى جاءت فى سورة آل عمران، و لم يذكر فيها عن الإرث كثير أو قليل؛ دليل على أن الإرث المذكور فى الصوره الأخرى للقصه بمعنى إرث المال لا- إرث النبوه، و إلا- لكان من أبرز عناصر القصه التى لا- يمكن إغفالها. (السادس) و لاحظ بعض الباحثين [٣١٢] فى الآيه الكريمه نقطتين تفسران الإرث فيها بإرث النبوه: (الأولى) قول زكريا عاطفا على كلمه (يرثى):- (و يرث من آل يعقوب)- فإن يحيى لا يرث أموال آل يعقوب، و إنما يرث منهم [صفحة ١٨١] النبوه والحكمه. (الثانيه) ما قدمه النبى تمهيدا لدعائه من قوله: و إنى خفت الموالى من ورائى، حيث أن خوفه إنما كان بسبب الإشفاق على معالم الدين، و الرغبة فى بقائها باستمرار النبوه؛ لأن هذا هو اللائق بمقام الأنبياء دون الحرص على الأموال، والخوف من وصولها إلى بعض

الورثة. واعترض أصحابنا على النقطة الأولى، بأن زكريا عليه السلام لم يسأل ربه أن يرث ولده أموال آل يعقوب جميعا، وإنما أراد أن يرث منها، فلا يكون دليلا على التفسير المزعوم. و أما النقطة الثانية فهي من القرائن على التفسير الذى اخترناه؛ لأن الخوف على الدين والعلم من أبناء العم لا- معنى له؛ لأن اللطف الإلهي لا- يترك الناس سدى بلا- حجه بالغه. فمعالم الدين، و كلمه السماء محفوظه بالرعايه الإلهيه، والنبوه مخصوصه أبدا بالأقليات من نوابغ البشر لا يخشى عليها من السطو و النهب. و إذن فماذا كان يحسب زكريا ربه صانعا لو لم يمن عليه بيحيى؟ أكان يحتمل أن يكلف برسالته مواليه؟ أعنى بنى عمومته مع عدم كفاءتهم للقيام بواجب الرساله الإلهيه و عدم جدارتهم بهذا الشرف؟! أو كان يرى أن الله تعالى يهمل أمر خلقه ليكون لهم الحجه عليه؟ ليس هذا و لا ذاك مما يجوزه نبى، و إنما خاف زكريا من بنى أعمامه على أمواله فطلب من الله ولدا رضىا يرثها. و لا جناح عليه فى ذلك؛ إذ يحتمل أن تكون رغبته فى صرف أمواله عن بنى عمومته بسبب أنها لو آلت إليهم لوضعوها فى غير مواضعها، و انفقوها فى المعاصى و ألوان الفساد لما كان يلوح عليهم من علامات الشر و إمارات السوء حتى قيل أنهم شرار [صفحة ١٨٢] بنى إسرائيل. و قد حاول ابن أبى الحديد أن يصور وجهها لخوف زكريا من الموالى على الدين من ناحيتين:- (الأولى) عن طريق أصول الشيعه، فذكر أن دعوى امتناع مثل هذا الخوف على النبى غير مستقيم على مذهب الشيعه لأن المكلفين قد حرّموا بغيه الإمام عندهم أظافا كثيره الوصله بالشرعيات كالحدود و صلاه الجمعه والأعياد، و هم يقولون فى ذلك أن اللوم على المكلفين لأنهم قد حرّموا أنفسهم اللطف؛ فهلا- جاز أن يخاف زكريا عليه السلام من تبديل الدين و تغييره و إفساد الأحكام الشرعيه لأنه إنما يجب على الله التبليغ بالرسول إلى المكلفين، فإذا أفسدوا هم الأديان و بدلوها لم يجب عليه أن يحفظها عليهم لأنهم هم الذين حرّموا أنفسهم اللطف [٣١٣]. و لاسجل ملاحظتى على هذا الكلام ثم أنتقل بك إلى الناحيه الثانيه. فأقول: إن الخوف من انقطاع النبوه إنما يضح على أصول الشيعه إذا نشأ عن احتمال إفساد الناس لدينهم على نحو لا- يستحقون معه ذلك، كما هو الحال فى زمان غيبه الإمام المنتظر صلوات الله عليه، لا فيما إذا كان سببه الاطلاع على عدم لياقه جماعه خاصه للنبوه مع استحقاق الناس لها. فإن إرسال الرسول، أو نصب من يقوم مقامه واجب فى هذه الصوره على الله تعالى لما أوجبه على نفسه من اللطف بعباده. و إذن فقصور أبناء العمومه عن نيل المنصب الإلهي لا يجوز أن ينتهى بزكرياء إلى احتمال انقطاع النبوه [صفحة ١٨٣] و انطماس معالم الدين إذا كان الناس مستحقين للألطف الإلهيه. و إذا لم يكونوا جديرين بها فمن الممكن انقطاع الاتصال بين السماء و الأرض سواء أكان بنو العمومه صالحين أو لا، و سواء من الله عليه بذريه أو بقى عقيما. والآيه الكريمه تدل على أن الباعث إلى الخوف فى نفس زكريا إنما هو فساد الموالى لا فساد الناس. (الثانيه) عن طريق تفسير الموالى بالأمراء، بمعنى أن زكريا خاف أن يلى بعد موته أمراء و رؤساء يفسدون شيئا من الدين، فطلب من الله ولدا ينعم عليه بالنبوه والعلم ليقى الدين محفوظا [٣١٤]. و لنا أن نتساءل عما إذا كان هؤلاء الرؤساء الذين أشفق على الدين منهم، هم الأنبياء الذين يخلفونه أو أنهم أصحاب السلطان الزمنى والحكم المنفصل عن السماء؟ و لا- خوف منهم على التقدير الأول إطلاقا لأنهم أنبياء معصومون. و أما إذا كانوا ملوكا فقد يخشى منهم على الدين. و لكن ينبغى أن نلاحظ أن وجود النبى حينئذ هل يمنعهم عن التلاعب فى الشريعه والاستخفاف بالدستور الإلهي أو لا؟ فإن كان كافيا لوقايه الشريعه و صون كرامتها فلماذا خاف زكريا من اولئك الأمراء ما دامت الألفاف الإلهيه قد ضمنت للنبوه الامتداد فى تايخ الإنسانيه الواعيه و خلود الاتصال بين الأرض والسماء ما بقيت الأرض أهلا للتثقيف السماوى؟ و إن لم يكن وجود النبى كافيا للحراسه المطلوبه فلا يرتفع الخوف من الحاكمين بوجود ولد زكريا يرث عنه النبوه ما دام النبى قاصرا عن مقاومه القوه الحاكمه، و ما دام الأمراء من الطراز المغشوش، مع أن الآيه تدل على أن زكريا كان [صفحة ١٨٤] يرى أن خوفه يرتفع فيما إذا من الله عليه بولد رضى يرثه. و نتيجة هذا البحث أن الإرث فى الآيه هو إرث المال بلا ريب. و إذن فبعض الأنبياء يورثون و حديث الخليفه يقضى بأن الجميع لا- يورثون. فالآيه والروايه متعاكستان و كل ما عارض [٣١٥] الكتاب الكريم فهو ساقط. و لا يجوز أن نستثنى زكريا خاصه من سائر الأنبياء؛ لأن حديث الخليفه لا يقبل هذا الاستثناء و هذا التفريق بين زكريا عليه السلام و غيره. و النبوه إن اقتضت عدم التورث فالأنبياء كلهم لا- يورثون. و لا- نحتمل أن يكون لنبوه زكريا عليه السلام

خاصيته جعلته يورث دون سائر الأنبياء. و ما هو ذنب زكريا عليه السلام أو ما هو فضله الذي يسجل له هذا الامتياز؟ أضف إلى ذلك أن تخصيص كلمه الأنبياء الوارده في الحدث و الخروج بها عما تستحقه من وضع لا ضروره له بعد أن كان الحديث كما أوضحناه سابقا؛ فهو تفسير على كل حال، فلماذا نفسر الحديث بأن تركه النبي لا تورث لنضطر إلى أن نقول بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعنى بالأنبياء غير زكريا عليه السلام؟ بل لناخذ بالتفسير الآخر و نفهم من الحديث أن الأنبياء ليس لهم من نفائس الدنيا ما يورثونه و نحفظ للفظ العام حقيقته [٣١٦]. [صفحة ١٨٥] و نعرف مما سبق أن صيغه الحديث لو كانت صريحه في ما أراد الخليفه لها من المعاني، لناقضت القرآن الكريم، و مصيرها الاهمال حينئذ. وليس في المسأله سبيل إلى اعتبار الحديث مدركا قانونيا في موضوع التوريث، و لذا لم يتفطن الصديق إلى جواب يدفع به اعتراض خصمه عليه بالآيه الآنفه الذكر، و لم يوفق واحد من أصحابه إلى الدفاع عن موقفه. و ليس ذلك إلا لأنهم أحسوا بوضوح أن الحديث يناقض الآيه بمعناه الذي يبرر موقف الحاكمين. و لا يمكن أن نعتذر عن الخليفه بأنه يجوز اختيار أحد النصين المتناقضين و تنفيذه كما يرثيه جماعه من علماء الإسلام، و قد اختار أن ينفذ مدلول الحديث؛ و ذلك لأن المعارض للقرآن باطل بلا ريب لأنه الحق، و هل بعد الحق إلا الضلال؟!!

مسأله النحله

الناحية الثانيه: المناقشه التي قامت بين الخليفه والصديقه حول نحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياها فدك، فقد ادعت الصديقه النحله و شهد بذلك قرينها و أم ايمن فلم يقبل الخليفه دعواها [٣١٧]، و لم يكتف بشاهديها، و طالبها بينه كامله و هي رجلان أو رجل وامرأتان. [صفحة ١٨٦] ١- والنقطه الأولى التي نؤاخذ الصديق عليها هي وقوفه موقف الحاكم في المسأله مع أن خلافته لم تكتسب لونا شرعيا إلى ذلك الحين على أقل تقدير [٣١٨]. و لكننا لا نريد الآن أن نضع هذه المؤاخذة قيد الدرس؛ لأن المناقشه على هذا الشكل تبعثنا إلى آفاق واسعه من البحث و تضطرننا إلى نسف الحجر الأساسى لدنيا السياسه في الإسلام، و هي عمليه لها حساب طويل. ٢- والملاحظه الثانيه في الموضوع هي أن فدك إذا كانت في حيازه الزهراء عليها السلام فلا حازه لها إلى البيئه و في هذه الملاحظه أمران: (أولا) من هو الذي كانت فدك في حيازته؟ و هل كانت في يد الزهراء حقا؟ قد يمكن أن نفهم ذلك من قول أمير المؤمنين في رسالته الخالده إلى عثمان بن حنيف: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء. فحشت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس آخرين [٣١٩]. فإن المفهوم من كلمه أيدينا أن فدك كانت في أيدي أهل البيت و قد نصت على ذلك روايات الشيعة. و حصر ما كان في تلك الأيدي التي عنها الامام بفدك يدل على أنها كانت في حيازه على و زوجه خاصه، و يمنع عن تفسير العبارة بأن فدك كانت في يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار أن حيازته حيازه أهل البيت، لأننا نعلم [صفحة ١٨٧] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في يده أشياء أخرى غير فدك من مختصاته و أملاكه. (و ثانيا) هل الحيازه دليل على الملكيه؟ والجواب الإيجابي عن هذه المسأله مما أجمع [٣٢٠] عليه المسلمون، و لولا اعتبارها كذلك لاختل النظام الاجتماعى للحياه الإنسانيه. و قد يعترض على دعوى أن فدك كانت في يد الزهراء بأنها لم تحتج بذلك، و لو كانت في يدها لكفاها ذلك عن دعوى النحله والاستدلال بآيات الميراث، و في المستندات الشيعيه للقضيه جواب عن هذا الاعتراض لأنها تنقل احتجاج أهل البيت بذلك على الخليفه، غير أننا لا نريد دراسه المسأله على ضوء شىء منها. و لكن ينبغي أن نلاحظ أن فدك كانت أرضا متراميه الأطراف و ليس شأنها شأن التوفه من الأملاك والمختصات الصغيره التي تتضح حيازه مالكة لها بأدنى ملاحظه. فإذا افترضنا أن فدك كانت في يد فاطمه يتعهدا وكيلها الذي يقوم بزراعتها، فمن يجب أن يعرف ذلك من الناس غير الوكيل؟! و نحن نعلم أن فدك لم تكن قريه من المدينه ليطلع أهلها على شؤونها، و يعرفوا من يتولاها، فقد كانت تبعد عنها بأيام، كما أنها قريه [صفحة ١٨٨] يهوديه [٣٢١] و ليست في محيط إسلامى لتكون حيازه فاطمه لها معروفه بين جماعه المسلمين. فماذا كان يمنع الزهراء عن الاعتقاد بأن الخليفه سوف يطالبها بالبيئه على أن فدك في يدها إذا ادعت ذلك كما طالبها على النحله ما دام - في نظرها - مسيرا

في الموقف بقوه طاغية من هواه لاتجعله يعترف بشيء؟ و كان من السهل في ذلك اليوم أن تبتلع الحوت وكييل فاطمه على فدك أو أى شخص له اطلاع على حقيقه الأمر كما ابتلعت أباسعيد الخدرى فلم يرو النحلة. وقد حدث بها بعد ذلك كما ورد في طريق الفريقين، أو أن تقتله الجن كما قتلت سعد بن عباده و أراحت الفاروق [٣٢٢]، أو أن يتهم بالرده لأنه امتنع عن تسليم صدقه المسلمين للخليفة كما اتهم مانعوا الزكاه والرافضون لتسليمها له [٣٢٣]. ٣- و لتترك هذه المناقشه لنصل إلى المسأله الأساسيه و هى: أن الخليفه هل كان يعتقد بعصمه الزهراء و يؤمن بآيه التطهير التى نفت الرجس عن جماعه منهم فاطمه أو لا؟! و نحن لا نريد أن نتوسع فى الكلام على العصمه و إثباتها للصديقه بآيه [صفحه ١٨٩] التطهير لأن موسوعات الإماميه فى فضائل أهل البيت تكفيها هذه المهمه. و لا نشك فى أن الخليفه كان على علم بذلك لأن السيده عائشه نفسها كانت تحدث بنزول آيه التطهير فى فاطمه و قرينها و ولديها [٣٢٤]، و قد صرحت بذلك صحاح الشيعه و السنه. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كلما خرج إلى الفجر بعد نزول الآيه يمر بيت فاطمه و يقول الصلاه يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً، و قد استمر على هذا ستة أشهر [٣٢٥]. و إذن فلماذا طلب الخليفه بينه من فاطمه على دعواها؟ و هل تحتاج الدعوى المعلوم صدقها إلى بينه؟ قال المعترضون على أبى بكر: إن البينه إنما تراد ليغلب فى الظن صدق المدعى، و العلم أقوى منها فإذا لزم الحكم للمدعى الذى تقوم البينه على دعواه يجب الحكم للمدعى الذى يعلم الحاكم بصدقته. و الألاحظ أن فى هذا الدليل ضعفا ماديا لأن المقارنه لم تقم فيه بين البينه و علم الحاكم، بالإضافة إلى صلب الواقع، و إنما لوحظ مدى تأثير كل منهما فى نفس الحاكم، و كانت النتيجة حينئذ أن العلم أقوى من البينه لأن اليقين أشد من الظن. و كان من حق المقارنه أن يلاحظ الأقرب منهما إلى الحقيقه المطلوب مبدئياً الأخذ بها فى كل مخصصه. و لا يفضل علم [صفحه ١٩٠] الحاكم فى هذا الطور من المقايسه على البينه؛ لأن الحاكم قد يخطأ كما أن البينه قد تخطأ، فهما فى الشرع الواقع سواء كلاهما مظنه للزلل والاشتباه. و لكن فى المسأله أمر غفل عنه الباحثون أيضاً، و هو أن ما يعلمه الخليفه من صدق [٣٢٦] الزهراء يستحيل أن لا يكون حقيقه، لأن سبب علمه بصدقها ليس من الأسباب التى قد تنتج توهمها خاطئاً و جهلاً- مركباً، و إنما هو قرآن كريم دل على عصمه [٣٢٧] المدعيه. و على ضوء هذه الخاصيه التى يمتاز بها العلم بصدق الزهراء، يمكننا أن نقرر أن البينه التى قد تخطأ إذا كانت دليلاً شرعياً مقتضياً للحكم على طبقه. فالعلم الذى لا يخطئ و هو ما كان بسبب شهاده الله تعالى بعصمه المدعى، و صدقه أولى بأن يكتسب تلك الصفه فى المجالات القضائيه. و على أسلوب آخر من البيان نقول: إن القرآن الكريم لو كان قد نص على ملكيه الزهراء لفدك و صدقها فى دعوى النحله لم يكن فى المسأله متسع للتشكيك لمسم أو مساع لتردد لمحكمه من محاكم القرآن. و من الواضح أن نصه على عصمه الزهراء فى قوه النص على النحله، لأن المعصوم لا يكذب، فإذا ادعى شيئاً فدعواه صائبه بلا شك. و لا فرق بين النص على العصمه والنص على النحله فيما يتصل بمسألتنا، سوى أن ملكيه الزهراء لفدك هى المعنى الحرفى للنص الثانى، والمعنى المفهوم من النص [صفحه ١٩١] الأول عن طريق مفهومه الحرفى. ٤- و نقول من ناحيه أخرى: إن أحداً من المسلمين لم يشك فى صدق الزهراء و لم يتهمها بالافتراء على أبيها، و إنما قام النزاع بين المتنازعين فى أن العلم بصواب الدعوى هل يكفى مدركاً للحكم على وفقها أو لا؟ فلندع آيه التطهير و نفترض أن الخليفه كان كأحد هؤلاء المسلمين، و علمه بصدق الزهراء حينئذ ليس حاوياً على الامتياز الذى أشرنا إليه فى النقطة السابقه، بل هو علم فى مصاف سائر الاعتقادات التى تحصل بأسباب هى عرضه للخطأ و الاشتباه، و لا يدل حينئذ جعل البينه دليلاً على مشاركتها لها فى تلك الخاصيه، لأنه ليس أولى منها بذلك كما عرفنا سابقاً. و لكن الحاكم يجوز له مع ذلك- أن يحكم على وفق علمه [٣٢٨]، كما يجوز له أن يستند فى الحكم إلى البينه بدليل ما جاء فى الكتاب الكريم مما يقرر ذلك؛ إذ قال الله تعالى فى سوره النساء: (و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) [٣٢٩]، و قال فى سوره الأعراف: (و ممن خلقنا أمه يهدون بالحق و به يعدلون) [٣٣٠] أى يحكمون. و للحق والعدل ملاحظتان:- [صفحه ١٩٢] (إحداهما) الحق و العدل فى نفس الأمر والواقع. (والأخرى) الحق و العدل بحسب الموازين القضائيه. فالحكم على وفق البينه. حق و اعتدال فى عرف هذه الملاحظه و إن أخطأت، و يعاكسه الحكم على وفق شهاده الفاسق، فإنه

ليس حقا ولا عدلا وإن كان الفاسق صادقا في خبره. و المعنى بالكلمتين في الآيتين الكريميتين إن كان هو المعنى الأول للحق والعدل، كانتا دلتين على صحة الحكم بالواقع من دون احتياج إلى البينة فإذا أحرز الحاكم ملكيه شخص لمال صح له أن يحكم بذلك لأنه يرى أنه الحق الثابت [٣٣١] في الواقع والحقيقه العادله، فحكمه بملكه ذلك الشخص للمال مصداق في عقيدته للحكم بالحق والعدل الذي أمر به الله تعالى. و أما إذا فسرنا الكلمتين في الآيتين بالمعنى الثاني أعنى ما يكون حقا و عدلا بحسب مقاييس القضاء فلا يستقيم الاستدلال بالنصين القرآنيين على شيء في الموضوع لأنهما لا يثبتان حينئذ أن أى قضاء يكون قضاء بالحق و على طبق النظام، و أى قضاء لا يكون كذلك؟ و من الواضح أن المفهوم المتبادر من الكلمتين هو المعنى الأول دون الثاني و خاصه كلمه الحق، فإنها متى وصف بها شيء أن ذلك الشيء أمر ثابت في الواقع، فالحكم بالحق عباره عن الحكم بالحقيقه الثابته. و يدل على ذلك الأسلوب الذى صيغت عليه الآية الأولى، فإنها تضمنت أمرا بالحكم بالعدل. و واضح جدا أن تطبيق التنظيمات الإسلاميه فى موارد [صفحه ١٩٣] الخصومه لا- يحتاج إلى أمر شرعى؛ لأن نفس وضعها قانونا للقضاء معناه لزوم تطبيقها، فلا يكون الأمر بالترام القانون إلا تكرارا أو تنبيها، و ليس من حقيقه الأمر فى شيء. و أما الأمر بالحكم على طبق الحقائق الواقعيه سواء أكان عليها دليل من بينه و شهاده أو لا، فهو من طبيعه الأمر بالصميم لأنه تقرير جديد يوضح أن الواقع هو ملاك القضاء الإسلامى والمحور الذى ينبغى أن يدور عليه دون أن يتقيد بالشكليات والأدله الخاصه [٣٣٢]. و إذن فالآيتان دليل على اعتبار علم الحاكم فى قوانين القضاء الإسلاميه [٣٣٣]. و أضف إلى ذلك أن الصديق نفسه كان يكتفى كثيرا بالدعوى المجرده عن البينه. فقد جاء عنه فى صحيح البخارى [٣٣٤] أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما [صفحه ١٩٤] مات، جاء لأبى بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمى فقال أبوبكر: من كان له على النبى دين أو كانت له قبله عده فليأتنا. قال جابر: وعدنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطينى هكذا و هكذا و هكذا فبسط يده ثلاث مرات، قال جابر: فعد فى يدي خمسمائه، ثم خمسمائه، ثم خمسمائه. و روى فى الطبقات [٣٣٥] عن أبى سيعد الخدرى أنه قال: سمعت منادى أبى بكر ينادى بالمدينه حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عده عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليأت؟ فيأتيه رجال فيعطيههم. فجاء أبوبشير المازنى فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا أبابشير إذا جاءنا شيء فأتنا، فأعطاه أبوبكر حفتين أو ثلاثا فوجدوها ألفا و أربعمائه درهم. فإذا كان الصديق لا يطالب أحداً من الصحابه بالبينه على الدين أو العده فكيف طلب من الزهراء بينه على النحله؟! و هل كان النظام القضائى يخص الزهراء وحدها بذلك أو أن الظروف السياسيه الخاصه هى التى جعلت لها هذا الاختصاص؟ و من الغريب حقا أن تقبل دعوى صحابى لوعده النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمبلغ من المال و ترد دعوى بضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنها لم تجد بينه على ما تدعيه. و إذا كان العلم بصدق المدعى مجوزا لإعطائه ما يدعيه فلا ريب أن الذى لا يتهم جابرا أو أبابشير بالكذب يرتفع بالزهراء عن ذلك أيضا. و إذا لم يكن إعطاء الخليفه لمدعى العده ما طلبه على أساس الأخذ [صفحه ١٩٥] بدعواه، و إنما دعاه احتمال صدقه إلى إعطائه ذلك، و للإمام أن يعطى أى شخص المبلغ الذى يراه، فلماذا لم يحتط بمثل هذا الاحتياط فى مسأله فدك؟! و هكذا أنجز الصديق و عود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى لم تقم عليها بينه و أهمل هباته المنجزه التى ادعتها سيده نساء العالمين. و بقى السؤال عن الفارق بين الديون والعدوات و بين نحلته بلا جواب مقبول. ٥- و لنستأنف مناقشتنا على أساس جديد و هو: إن الحاكم لا- يجوز له الحكم على طبق الدعوى المصدقه لديه إذا لم يحصل المدعى على بينه تشهد له، و نهمل النتيجة التى انتهينا إليها فى النقطه السابقه و نسأل على هذا التقدير: (أولا-) عما منع الصديق من التقدم بالشهاده على النحله إذا كان عالما بصدق الحوراء سلام الله عليها، إذ يضم بذلك شهادته إلى شهاده على و تكتمل بهما البينه و يثبت الحق. و اعتباره لنفسه حاكما لا يوجب سقوط شهادته لأن شهاده الحاكم معتبره [٣٣٦] و ليست خارجه عن الدليل الشرعى الذى أقام مرجعا فى موارد الخصومه. (و ثانيا) عن التفسير المقبول لإغفال الخليفه للواقع المعلوم لديه بحسب الفرض. و لأجل توضيح هذه النقطه يلزمنا أن نفرق بين أمرين اختلطا على جملة الباحثين فى المسأله. [صفحه ١٩٦] (أحدهما) الحكم للمدعى بما يدعيه. (والآخر) تنفيذ آثار الواقع. و إذا افترضنا أن الأول محدود

بالبينة فالآخر واجب على كل تقدير، لأنه ليس حكماً ليحدد بحدوده. فإذا علم شخص بأن بيته للآخر فسلمه لملكه، لم يكن هذا حكماً بملكته له، وإنما هو إجراء للأحكام التي نص عليها القانون. كما أن الحاكم نفسه إذا ادعى شخص عنده ملكية بيت و كان في حيازته، أو دل الاستصحاب على الملكية المدعاة، فاللازم عليه وعلى غيره من المسلمين أن يعتبروا هذا البيت كسائر ممتلكات ذلك المدعى. وليس معنى هذا أن الحاكم حكم بأن البيت ملك لمدعيه مستنداً إلى قاعده اليد [٣٣٧] أو الاستصحاب. وإن المسلمين أخذوا أنفسهم باتباع هذا الحكم، بل لو يكن بينهم حاكم للزمهم ذلك. وليس الاستصحاب أو اليد من موازين الحكم في الشريعة وإنما يوجبان تطبيق أحكام الواقع. والفارق بين حكم الحاكم بملكه شخص لمال، أو فسقه ونحوهما من الشؤون التي تتسع لها صلاحيات الحاكم وبين تطبيق آثار تلك الأمور هو: امتياز الحكم بفصل الخصومه، ونعني بهذا الامتياز أن الحاكم إذا أصدر حكماً حرم نقضه على جميع المسلمين، ولزم اتباعه من دون نظر إلى مدرك آخر سوى ذلك الحكم. وأما تطبيق القاضي لآثار الملكية عملياً بلا حكم فلا يترتب عليه ذلك [صفحة ١٩٧] المعنى ولا يجب على كل مسلم متابعتة وإجراء تلك الآثار كما يجريها إلا إذا حصل له العلم بذلك كما حصل للحاكم. والنتيجة: إن الخليفة إذا كان يعلم بملكه الزهراء لفدك، فالواجب عليه أن لا يتصرف فيها بما تكرهه، ولا ينزعها منه سواء أجاز له أن يحكم على وفق علمه أو لا. ولم يكن في المسألة منكر ينازع الزهراء ليلزم طلب اليمين منه واستحقاقه للمال إذا أقسم؛ لأن الأموال التي كانت تطالب بها الزهراء أما أن تكون لها أو للمسلمين. وقد افترضنا أن أبابكر هو الخليفة الشرعي للمسلمين يومئذ، وإذن فهو وليهم المكلف بحفظ حقوقهم وأموالهم، فإذا كانت الزهراء صادقة في رأيه، ولم يكن في الناس من ينازعها فليس للخليفة أن ينتزع فدك منها. وتحديد الحكم بالبينة خاصة إنما يحرم الحكم ولا يجيز انتزاع الملك من صاحبه. وإذن فعدم جواز حكم الحاكم على وفق علمه [٣٣٨] لا يخفف من صعوبته الحساب ولا يخرج الخليفة ناجحاً من الامتحان.

محمد باقر الصدر

باورقي

[١] راجع الفصل الثالث. [٢] الدر المنثور/ السيوطي ٦: ١٩- المطبعة الميمنية بمصر/ ١٣١٤ هـ. [٣] بلاغات النساء/ ابن أبي طاهر طيفور: ٣٣. [٤] تاريخ الطبري ٢: ٢٨٠- الطبعة المحققة (محمد أبو الفضل إبراهيم). [٥] إشارة إلى الحديث المشهور: «أنا مدينة العلم وعلتي بابها» أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٦٤ طبعة دار الفكر، وصححه السيوطي في جمع الجوامع، وأخرجه الترمذي في صحيحه بلفظ آخر، وراجع: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ الشيخ منصور على ناصف ٣: ٣٣٧، قال: رواه الترمذي والطبراني وصححه الحاكم. [٦] إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم- في حديث الدار أو الإندار- المشهور: «إن هذا- والإشارة إلى علي- أخي ووزير و خليفتي فيكم...» راجع الرواية الكاملة في تاريخ الطبري ٣: ٢١٨- ٢١٩ طبعة المطبعة الحسينية بمصر، وراجع تفسير الخازن ٣: ٣٧١ طبعة دارالمعرفة. [٧] إشارة إلى الحديث المتواتر: «أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» راجع: صحيح البخاري ٥: ٨١ باب ٣٩، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ الشيخ منصور على ناصف ٣: ٣٣٣. [٨] راجع: نهج البلاغة، خطبة ١٩٢ ضبط الدكتور صبحي الصالح ص ٣٠٠- ٣٠١ قال الإمام علي عليه السلام: «وقد علمتم موضع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعت في حجرة وأنا ولد...» ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة...» [٩] كان تخطيط السماء أن يتولى علي وأهل البيت الأطهار إمامة الأمة وزعامتها، وقد كانت هناك عملية إعداد واسعة النطاق تربوياً وفكرياً لمثل هذه الخلافة والزعامة، بل كان هناك منهج واضح تتوالى خطواته بهذا الاتجاه وتشهد لذلك نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، بما لا يدع مجالاً للشك. (راجع بحثاً مستفيضاً حول هذه النقطة في كتاب نشأة التشيع والشيعة للشهيد الصدر رضوان الله تعالى عليه) بتحقيق الدكتور عبد الجابر شرارة، فقد أثبتنا

بالأرقام والشواهد والنصوص هذه الحقيقة بالرجوع إلى المصادر المعتمدة والروايات الصحيحة عند إخواننا أهل السنيّة. وراجع أيضاً على سبيل المثال: تاريخ الطبري ٣: ٢١٨ - ٢١٩ الطبعة الأولى / المطبعة الحسينية بمصر، تاريخ الخلفاء / السيوطي: ١٧١، الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٢٧، مختصر تاريخ ابن عساكر / ابن منظور ١٧: ٣٥٦ وما بعدها. [١٠] راجع: أخبار السقيفة في تاريخ الطبري ٢: ٢٤٤ طبعه دارالكتب العلمية - بيروت، و ما دار فيها، و من ذلك قول الخليفة الثاني: «اقتلوا سعد بن عبادة...». [١١] جاء في الحديث الصحيح: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني...» راجع: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣: ٣٥٣ عن البخاري و مسلم و غيرهما، صحيح البخاري - باب فضائل الصحابة ٥: ٨٣ باب ٤٣ حديث رقم ٢٣٢ طبعه دار القلم - بيروت، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ حديث رقم ٢٤٩٣ باب فضائل الصحابة - فضائل فاطمة عليها السلام. [١٢] شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٣١٢. [١٣] إشارة إلى التهديد بإحراق بيت الزهراء عليها السلام، راجع: الإمامة و السياسة / ابن قتيبة: ١٢، والطبري في تاريخه ٢: ٢٣٣ طبعه دارالكتب العلمية - بيروت، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٦: ٤٧ - ٤٨، رواية تنصّ على أنّ عمر بن الخطّاب جاء إلى بيت فاطمة عليها السلام في عصابة في رجال من الأنصار و نفر من المهاجرين، فقال: «والذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم». [١٤] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٥ و ٦٥ - ٦٦، عندما قتل عليّ عليه السلام طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين... و قتل أصحاب الألوية، أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين، فقال: «احمل عليهم»، فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و قتل عمرو الجمحي، ثمّ أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين، فقال لعليّ: «احمل عليهم»، فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و قتل شيبه بن مالك. فقال (جبرئيل) عليه السلام: «يا رسول الله إنّ هذه لمواساة»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه منّي و أنا منه»، فقال (جبريل): «و أنا منكما...». [١٥] راجع: رواية سعد بن أبي وقاص في صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، صحيح الترمذي ٥: ٥٩٦، الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٤٣ فهي تنطق بهذا المعنى. [١٦] إشارة إلى قصة تبليغ سورة براءة، و هي في مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ٣ طبعه دار صادر - بيروت، و في الكشاف / الزمخشري ٢: ٢٤٣، قال: «رؤى أنّ أبا بكر لما كان ببعض الطريق لتبليغ سورة براءة، هبط جبرائيل عليه السلام فقال: «يا محمّد لا يبلغن رسالتك إلّا رجل منك، فأرسل عليّاً...». و راجع الرواية أيضاً في صحيح الترمذي ٥: ٥٩٤. [١٧] راجع تفصيل الرواية في تاريخ الطبري ٢: ١٨٢ - ١٨٣، البداية و النهاية / ابن كثير الدمشقي ٧: ٣٤٠. [١٨] راجع: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ منصور علي ناصف ٣: ٣٣٢، قال: رواه الشيخان و الترمذي، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، خصائص النسائي: ٤٨ - ٥٠. (الشهيد) [١٩] آل عمران ١٤٤/ [٢٠] راجع تفصيل ذلك في أخبار السقيفة / تاريخ الطبري ٢: ٢٣٤ و ما بعدها، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٦: ٦ - ٩، فقد نقلنا هذه المحاورات و المداخلات. [٢١] في هذه المسألة التي كثر فيها الكلام، راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣، أخرج عن ابن حميد بسندٍ قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ و فيه رجال من المهاجرين فقال: «والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة...». [٢٢] إشارة إلى موقف زوج الرسول الكريم خديجة الكبرى التي خصّها الله بالكرامة في موقفها من النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند محنته مع قريش في تكذيبه. [٢٣] من خطبتها، راجع: شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٢. [٢٤] من خطبتها، راجع: شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٢. [٢٥] ينقل الرواة والمؤرخون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استمرّ أكثر من ستة أشهر بعد نزول آية التطهير يقف على باب دار عليّ و فاطمة عليها السلام، عند ذهابه إلى الصلاة و هو يقول: «السلام عليكم يا أهل البيت»؛ راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣: ٢٨٥ طبعه دار صادر، المستدرک علی الصحیحین الحاکم النیسابوری ٣: ١٥٨. [٢٦] في مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٩، و في تاريخ ابن كثير ٣: ٣٥٥، كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارع في المسجد، فأمر رسول الله بسدّ هذه الأبواب إلّا باب عليّ عليه السلام. [٢٧] راجع الرواية، و أنّ مشيها لا يخرم مشي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١١. [٢٨] المصدر السابق. [٢٩] راجع معجم البلدان / ياقوت الحموي ٤: ٢٣٨ - ٢٣٩ طبعه دار احياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٩. [٣٠] راجع: فتوح البلدان / البلاذري: ٤٢ - ٤٦، و ما كان من أمر فدك و مصالحة أهلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على

النصف، و أنها خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنها لم يُوجف عليها بخيلٍ ولا ركابٍ. وفي ص ٤٦ قال: «و لما كانت سنة عشر و مائتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون الرشيد، فدفعها إلى ولد فاطمة، و كتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة...» [٣١] كما هو مقتضى النص القرآني: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) الحشر/ ٦. [٣٢] فتوح البلدان: ٤٤. [٣٣] راجع: الصواعق المحرقة: ٣٨. [٣٤] راجع: شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٣. [٣٥] فتوح البلدان: ٤٤، إن بنى أمية اصطفوا فدك و غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٦. [٣٦] راجع: شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٨، رسالة الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف- «نعم كانت في أيدينا فدك...» [٣٧] و هذا أقرب الاحتمالات؛ لأن الأول تنفيه رسالة أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف إذ يقول: «و سَيَحْت عنها نفوس آخرين...»، والثالث يُبعده قبول الفاطميين لفدك. (الشهيد) [٣٨] راجع: شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦، فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٦، قال: «ثم ولي معاوية فأقطعهما (فدك) مروان بن الحكم...» [٣٩] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٨. [٤٠] الحديث أخرجه الصحاح والمسائيد، راجع: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ الشيخ منصور على ناصف ٣: ٣٥٣، الطبعة الثالثة- مكتبة ياموق- استانبول ١٣٨١ هـ. و قد مرّ تخريجه أيضاً. [٤١] راجع: فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٦، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٨. [٤٢] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦. [٤٣] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦-٢١٧. [٤٤] فتوح البلدان/ البلاذري: ٤٦-٤٧. [٤٥] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧. [٤٦] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧. [٤٧] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧. [٤٨] راجع: السيرة الحلبية ٣: ٣٩١، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٤. [٤٩] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. [٥٠] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦. [٥١] معجم البلدان/ الحموي ٤: ٢٣٨، فتوح البلدان: ٤٥، قال: حدثنا سريح بن يونس قال: أخبر إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن الزهري في قول الله تعالى: (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) قال: هذه قرى عربية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدك و كذا و كذا. [٥٢] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٦. [٥٣] يلاحظ معالم المنهج العلمي الذي يحدده الإمام الشهيد الصدر رضوان الله عليه سواء في قراءته التاريخ أو في كتابته، والخطوات التي يحددها رضوان الله عليه هنا هي ما تقتضيه أصول البحث التاريخي. راجع: منهج البحث التاريخي/ الدكتور حسن عثمان، طبعة دارالمعارف بمصر. [٥٤] راجع الحادثة التاريخية المشهورة في موقف الإمام علي عليه السلام في مجالس القضاء، و كذلك ما جرى عليه الأمر في تاريخ القضاء الإسلامي. لاحظ الإشارة إلى ذلك في شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٦٩. [٥٥] إشارة إلى قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات/ ١٣. [٥٦] البقرة/ ٢٨٦. [٥٧] إشارة إلى الاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الإسلام و رفع الظلم و نصره المستضعفين كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ...) التوبة/ ٢٤. [٥٨] لاحظ التقويم الدقيق للحالة الإسلامية في صدر الإسلام، و زمن الخلفاء الراشدين، و مدى التقدير العالي لمناقبية ذلك العصر، و مع ذلك فإن الإمام الشهيد رضوان الله عليه لا يريد أن يقع تحت جاذبية الانبهار والإعجاب بذلك العصر و يغمض النظر عما وقع فيه من مفارقات، تدعو إلى الدراسة و البحث والتحليل والتحقيق وصولاً إلى الرأي الأقرب إلى الصواب. [٥٩] طرح مثل هذا الافتراض يعدُّ منطقياً و متسقاً مع المنهج العلمي في صدد تقديم تفسير دقيق للمرحلة التاريخية. [٦٠] القضية مشهورة في سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. [٦١] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٦٥١، فقد نقل المحاوره بين الخليفة عثمان والوفود التي قدمت من مصر و غيرها للتفاوض معه، و فيها تصريح بهذه الأمور. [٦٢] المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد الرابع: ٢٦٨- دارالكتاب اللبناني- بيروت. [٦٣] تاريخ الطبري ٣: ٢١٨-٢١٩ حدث الدار- طبعة المطبعة الحسينية بمصر، تفسير الخازن ٣: ٣٧١- طبعة دارالمعرفة، الخصائص/ النسائي: ٨٦-٨٧، المستدرک ٣: ١٢٦. [٦٤] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٩٢. [٦٥] راجع: فتوح البلدان: ٤٤، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٠. [٦٦] يعني أن التقليد والمتابعة في الدراسة

والتقويم سواء ما يتعلق بالشخصيات أم بالأحداث التاريخية من دون تحقيق و تدقيق علمي، ما عاد لها وزن، و لا اعتبار في نظر العلم، بالأخص و نحن نعيش في عصر أخضع كل شيء فيه إلى المحاكمة العلمية، و التحقيق العلمي. [٦٧] سنن الدارمي: ٥٣-٥٤- دار إحياء السنّة النبويّة. [٦٨] فاطمة الزهراء و الفاطميون/ عباس محمود العقّاد- سلسلة الهلال. [٦٩] المدارك جمع مدرّك، و المدرّك في لغة الفقه و في مصطلح الفقهاء هو: الدليل. راجع: المصباح المنير ١: ١٩٢- نشر دار الهجرة- قم المقدّسة. [٧٠] راجع في جواز حكم الحاكم أو القاضي بعلمه/ سنن البيهقي ١٠: ١٤٢، تنقيح الأدلّة في بيان حكم الحاكم بعلمه/ السيد محمّد رضا الحسيني الأعرجي- المطبعة العلميّة قم، فهو بحث تفصيلي استدلال في المسألة. [٧١] راجع الرواية في صحيح البخاري؛ عن عروة عن عائشة ٣: ١٣٧٤، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨١، و قال ابن أبي الحديد تعقيباً في ص ٢٨٦: «و أمّا إخفاء القبر و كتمان الموت- موت الزهراء عليها السلام- و عدم الصلاة و كل ما ذكره المرتضى- أي الشريف- فيه فهو الذي يظهر و يقوى عندي؛ لأنّ الروايات به أكثر و أصحّ من غيرها، و كذلك القول في موجدتها و غضبها...»، أعلام النساء ٤: ١٢٣-١٢٤. [٧٢] ينقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨٤ قال: «و سألت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرّسة الغريبة ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك و هي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسنّاً مع ناموسه و حرّمته و قلبه دعابته، قال: لو أعطها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجات إليه غداً، و ادّعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقة بشيء؛ لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائنًا ما كان من غير حاجةٍ إلى بينةٍ و لا شهود». قال ابن أبي الحديد: و هذا كلام صحيح. [٧٣] كان هناك إصرارٌ عجيب من الإمام عليّ عليه السلام على أن تكون المعارضة سلمية لا- تتعدّى حدود الاحتجاج و قطع الأعدار، و لو كلف ذلك أن يُجرّ ابن أبي طالب و يُسحب من بيته سحبا للمبايعة، أو أن يتعرّض البيت الطاهر إلى التهديد بالإحراق. و يلاحظ هنا أنّ الإمام عليّاً عليه السلام عندما جائه أبو سفيان، و قال له: لو شئت لأملأنها عليهم خيلاً و رجالاً، نهره الإمام عليه السلام و رفض مبادرته. راجع: شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٤٧-٤٩ و ص ١١ في احتجاج الإمام عليّ عليه السلام بالحجّة البالغة، و ص ١٧-١٨ في موقف أبي سفيان، تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣ و ٢٣٧. [٧٤] إشارة إلى يوم الجمل المشهور، و كان أبطاله الزبير و طلحة و عائشة أمّ المؤمنين و ذلك سنة ٣٦ هـ، و كان موقع المواجهة في البصرة. راجع: تاريخ الطبري ٣: ٤٧٦ حوادث سنة ٣٦ هـ، مطبعة الاستقامة- القاهرة. [٧٥] راجع: أعلام النساء ٤: ١٢٤، قال أبو بكر بعد المحاوره مع الزهراء: أقيولني. تاريخ الطبري ٣: ٣٥٣، و فيه: قال أبو بكر رضي الله عنه أجل، إنّي لا- آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن، وودت أنّي تركتهنّ... و ذكر منها: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء،» شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٤١ في حُبّه للإمامة. [٧٦] راجع: تاريخ ابن الأثير ٣: ١١١، تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي: ٨٠-٨١، إصدار مكتبة نينوى الحديثة- طهران. [٧٧] راجع تفصيل الحادثة في صحيح البخاري ٣: ٢٤ طبعه الميمنية- مصر ١٣١٢ هـ، تاريخ الطبري ٢: ١١٣ حوادث سنة ٦ هـ. [٧٨] الصواعق المحرقة/ ابن حجر الهيتمي: ٢٤٩- دارالكتب العلميّة- بيروت- ط ١٤١٤ هـ، قال: و أخرج أبو داود أنّ أبا بكر خطب فاطمة، فأعرض عنه رسول الله ثمّ عمر فأعرض عنه. [٧٩] راجع قصّة تبليغ سورة براءة، مسند الإمام أحمد ١: ٣ مطبعة دار صادر، الصواعق المحرقة: ٣٢، الخصائص/ النسائي: ٩٠-٩١. [٨٠] جاء في الصواعق/ ابن حجر: ١٤٣ عن أنس قال: «بينما أنا قاعد عند النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم إذ غشيه الوحي، فلمّا سرى عنه، قال: إنّ ربّي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ...»، أخرجه ابن عساكر... ثمّ قال تعليقيّاً على رأي الذهبي: «أخرجه النسائي بسندٍ صحيح و فيه ردّ على الذهبي... و تبين أنّ للقصّة أصلاً أصيلاً...». [٨١] سيرة ابن هشام- مج ٣/ ٤: ٦٥٣، توجد رواية تشير إلى ذلك. [٨٢] إشارة إلى قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) آل عمران/ ١٤٤. و راجع الرواية التي تُشير إلى ارتداد الناس و انكفائهم عن الإسلام حديث الحوض المشهور، قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنا فرطكم على الحوض فيؤتى برجالٍ أعرفهم فيمنعون منّي، فأقول أصحابي؛ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سيّحفاً سيّحفاً لمن بدّل بعدى...»، صحيح البخاري ٨: ٨٦ كتاب الفتن،

الكشاف / الزمخشري ٤: ٨١١، تاريخ الطبري ٢: ٢٤٥. [٨٣] راجع نصوص السقيفة في تاريخ الطبري ٢: ٢٣٥ و ما بعدها، و فيها: «أن بيعه أبي بكر بكر فلته...» [٨٤] هذا بلحاظ المنظور الفاطمي للقضية برمتها و في أبعادها، و قد عبرت عن ذلك في خطبتها قائلة: إنما زعمتهم خوف الفتنة ثم قلت قوله تعالى: (أَلَمْ آفِي الْفِتْنَةَ سَيَقُطُّوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) التوبة / ٤٩، و راجع المناقشة الوافية الشافية لمسألة (النص والشورى) في نشأة التشيع والشيعة / الإمام السيد الشهيد الصدر - بتحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة. [٨٥] تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠، قول الخليفة الثاني في قصة الشورى... قالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً! فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً - أمركم، هو أحراركم أن يحملكم على الحق. و أشار إلى علي...» و راجع أنساب الأشراف / البلاذري ٢: ٢١٤. [٨٦] [٨٧] يونس / ٣٥. [٨٧] راجع: شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٦، و يظهر أن الخلافة فطنت إلى هذا الأمر، فحالت دونه، و يظهر من المحاوراة التي جرت بين الخليفة الثاني و ابن عباس جليّة الموقف، جاء في تاريخ الطبري ٢: ٥٧٨... قال عمر: يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منهم - من بني هاشم - بعد محمّد صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أُجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدبرني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة فتبجحوا على قومكم ببجحا ببجحا، فاختارت قريش لنفسها فأصابت و وفقت. فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام... فقال: تكلم يا ابن عباس، فقلت: أمّا قولك: اختارت قريش فأصابت... فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ و جلّ لكان لها الصواب بيدها غير مردود... أمّا قولك: كرهوا أن تجتمع النبوة و الخلافة فإنّ الله وصف قوماً بالكرهية فقال: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) سورة محمّد / ٩. [٨٨] شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٦. [٨٩] شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٢١٤ - ٢١٥. [٩٠] شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٢١، و لاحظ الروايات التي تؤكّد أن عليّ بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وارثه و خليفته والوليّ ممن بعده. راجع مثلاً: تاريخ دمشق / ابن عسّاكر الشافعي ٣: ٥ ح ١٠٢١، ١٠٢٢ قول الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «لكل نبيّ وصي و وارث و إن عليّاً وصيّي و وارثي» و راجع حديث الدار المشهور في تاريخ الطبري ٣: ٢١٨، ط ١، الحسينية بمصر، و تفسير الخازن ٣: ٣٧١ - طبعه دارالمعرفة - في تفسير قوله تعالى: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ...)، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٥٢ ح ١٣٧١ - طبعه دارالمعارف، بسند صحيح. [٩١] إشارة إلى الرواية التي انفرد بها الخليفة الأول، و هي قوله: قال رسول الله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة...»، راجع: الصواعق المحرقة: ٣٤ شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٣. [٩٢] راجع المحاوراة بين الخليفة الثاني و بين عليّ بن أبي طالب و العباس بن عبدالمطلب شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٢. [٩٣] أصبح مصطلح التأميم شائعاً، و هو يعنى المصادرة والاستيلاء على الملك الخاص من قبل الدولة. [٩٤] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣، و فيه إشارة إلى سبق بشير بن سعد إلى مبايعة الخليفة الأول. [٩٥] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٢ - ٢٣٣، و فيه: و كان عمر يتوعّد الناس بالقتل، الممل والنحل / الشهرستاني ١: ٢٩... قال عمر بن الخطاب: من قال: «إن محمّداً قد مات قتلته بسيفي هذا...». [٩٦] الزمر / ٣٠، ٣١. [٩٧] آل عمران / ١٤٤. [٩٨] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٢ - ٢٣٣. [٩٩] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣. [١٠٠] شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١: ١٢٧ - ١٢٨، طبعه دارالكتب العربية الكبرى - مصطفى البابي الحلبي. [الشهيد]، و راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣. [١٠١] تاريخ الطبري ٢: ٢٤٢. [١٠٢] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٣٤، و فيه: عن الحميري... قال: «فحلف رجال أدركناهم من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله و سلم: ما علمنا أن الآيتين نزلتا حتّى قرأهما أبو بكر يومئذ؛ إذ جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلّ بني ساعدة، يباعدون رجلاً منهم، يقولون منّا أمير و من قريش أمير، قال: فانطلق أبو بكر و عمر يتقاودان حتّى أتياهم، فأراد عمر أن يتكلّم، فنهاه أبو بكر، فقال: عمر لا أعصى خليفة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في يوم مرّتين...» يعني في المرّة الأولى إعلانه موت النبي، و هذه المرّة الثانية، و لاحظ تعبيره «خليفة النبيّ» قبل حصول البيعة «الفتنة» على ما قاله لاحقاً، كما في ٢: ٢٣٥. [١٠٣] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٣٥. [١٠٤] راجع الرواية في صحيح البخاري ١: ٣٧ كتاب العلم - باب كتابة العلم، و ٨: ١٦١، كتاب الاعتصام - طبعه دارالعامرة - استانبول، دارالفكر - بيروت. [١٠٥] البداية و النهاية / ابن كثير ٥: ٢١٣ - نشر دارالكتب العلمية - بيروت. [١٠٦] الكامل في التاريخ / ابن الأثير ٢: ١٧٦ الطبعة

الأولى - مصر / الأزهرية ١٣٠١/ هـ. [الشهيد]، لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال، و قال له عمر: أنا أكفيك القضاء... و كان على مكّة عتاب بن أسيد. [١٠٧] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ٦٤ طبعه مصطفى البابي - مصر [الشهيد]، و راجع تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠، أخرج رواية عن الأودي قال: «إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت، قال: من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته...». [١٠٨] راجع تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠، الأنساب/ البلاذري ٥: ١٦ [الشهيد]. [١٠٩] راجع مثلاً: مختصر تاريخ ابن عساكر ١٧: ٣٥٦ و ما بعدها، ففيه مناقب على عليه السلام والثناء عليه، الخصائص/ النسائي: ٧٢ ح ١١٣، مروج الذهب/ المسعودي ٢: ٤٣٧، مطبعة السعادة ط ٢- مصر/ ١٩٤٨ م. [١١٠] راجع: شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ١١- الطبعة المحققة، و ٢: ٥، من الطبعة المصرية- مطبعة مصطفى البابي الحلبي [الشهيد]. [١١١] مروج الذهب/ المسعودي ٣: ١٩٩- تحقيق شارل بلا- بيروت/ ١٩٧٠ كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر: إن أباك أول من ابتزّه حقّه. [١١٢] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣ قال أبو بكر: «إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر أو أبا عبيدة...». [١١٣] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ١٢٥ طبعه مطفي البابي - مصر. [الشهيد]. [١١٤] الصواعق المحرقة/ ابن حجر: ١٢٣ ط ٢/ مكتبة القاهرة/ ١٩٦٥، مسند الإمام أحمد ٣: ٣٣، كنز العمال ١٥: ٩٤، ط ٢ حيدرآباد- الدكن - الهند/ ١٩٦٨، خصائص أمير المؤمنين/ النسائي الشافعي (ت ٣٠٣ هـ): ١٣١، طبعه طهران. راجع: التاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٦. [١١٥] قال الشهيد الصدر (معلّقاً): وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما هدّد طائفة من قريش برجلٍ من قريش امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابهم على الدين، إن ذلك الرجل هل هو أبو بكر؟ فقال: لا، فقيل: عمر؟ قال: لا... إلخ. مسند الإمام أحمد ٣: ٣٣، والرواية تهمل اسم السائل الذي توهم أن الشخص الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو بكر أو عمر، و إذا لم يكن أبو بكر و عمر معروفين بشجاعة و بسالة في المشاهد الحربيّة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا بدّ أن أمراً آخر دعى السائل إلى أن يسأل ذينك السؤالين والبقية أتركها لك. [١١٦] راجع الرواية في سنن الكبرى/ النسائي ٥: ١٤٥ باب ٥٤، و أيضاً في مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨/ ٢١. [١١٧] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ٥٣ [الشهيد] الطبعة القديمة- المصرية- مصطفى البابي الحلبي. [١١٨] في مسألة بعث أسامة، وطلب الإسراع بتنفيذ الحملة التي أمر فيها النبي أسامة بن زيد على شيوخ المهاجرين والأنصار. راجع الكامل في التاريخ ٢: ٢١٨، الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٢٤٨- ٢٥٠. [١١٩] في قصة إعفاء الخليفة الأول أبي بكر عن مهمّة تبليغ سورة براءة و إرسال على بن أبي طالب لتنفيذ المهمّة، راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ٣، الكشف/ الزمخشري ٢: ٢٤٣، الصواعق المحرقة/ ابن حجر: ٣٢، طبعه القاهرة. [١٢٠] راجع: الكشف/ الزمخشري ١: ٣٦٨. و كما هو مقتضى آية المباهلة، الصواعق المحرقة/ ابن حجر: ١٥٦، أخرج الدارقطني احتجاج الإمام على القوم و إنّه كنفس النبي. [١٢١] إشارة إلى قوله الخليفة عمر بن الخطاب: «إن بيعه أبي بكر كانت فلتة غير أن الله وقى شرّها...» تاريخ الطبري ٢: ٢٣٥. [١٢٢] راجع: السقيفة والخلافة/ عبدالفتاح عبدالمقصود: ٢٦٤. [١٢٣] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣. [١٢٤] المصدر السابق ٢: ٢٣٧، قال: «حدّثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي قال: حدّثنا أبو قتيبة، قال: حدّثنا مالك- يعني ابن مغول- عن ابن الحرّ قال: قال أبو سفيان لعليّ: ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش! والله لو شئت لأملأنها عليه خيلاً و رجالاً! قال: فقال عليّ: يا أباسفيان، طالما عادت الإسلام و أهله...». [١٢٥] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣. [١٢٦] المصدر نفسه ٢: ٢٤٣، قوله الخليفة الأول: «من ذا ينازعنا سلطان محمد و إمارته، و نحن أولياؤه و عشيرته إلّا مدبّل باطلٍ أو متجانفٍ لإثم...». [١٢٧] راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ١٣٠ طبعه القاهرة- مصطفى البابي. [الشهيد]. [١٢٨] قد نستطيع أن نجيب في ضوء هذه القصة عمياً عرض لنا من سؤال في بداية هذا الفصل عن موقف الخليفين لو قدّر لهما أن يقفا موقف عليّ الذي كان يفرض عليه أن يغري كثيراً من أمثال أبي سفيان بالمال والجاه. [الشهيد] [١٢٩] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧، أخرج عن ثابت قال: لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا و لأبي فصيل، إنّما هي بنو عبدمناف! قال: فقيل له: إنّه قد وليّ ابنك، قال- أي أبو سفيان-: و صلّته رجم.. [١٣٠] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٥. [١٣١] المصدر نفسه ٦: ٥. [١٣٢] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ١٣٠، طبعه مصطفى البابي الحلبي- القاهرة. [١٣٣] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٢١، روى الزبير بن بكار،

قال: روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بوع افتخرت تيم بن مرّة، قال: و كان عاتمة المهاجرين و جلّ الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. [١٣٤] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧ طبعه المكتبة العلمية. [الشهيد]. [١٣٥]

شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ١: ١٣٣. [الشهيد]، الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٣: ١٨٢. [١٣٦] يقصد من نصيب الساعى و هو أبوسفيان كما فى الرواية التى أوردها ابن أبي الحديد فى شرح النهج: ١: ١٣٠ طبعه القاهرة- مصطفى البابى الحلبي. [١٣٧] شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٧٤، «و قد روى أن أبا بكر لما شهد أمير المؤمنين عليه السلام (بفدك) كتب بتسليمها إليها- إلى فاطمة- فاعترض عمر قضيتته، و خرّق ما كتبه...»، السيرة الحلبية ٣: ٣٩١. [١٣٨] جرى أكثر الخلفاء بالأخص الأمويين والعباسيين على تطبيق نظام المصادرات أو ما يعرف فى عصرنا (بالتأميم) أو الاستيلاء على الأموال المنقولة و غير المنقولة بأمر من الحاكم؛ بعضها لأغراض اقتصادية- التأميم- و بعضها بسبب مخالفة من صودرت أموالهم للدولة. راجع بحثاً مفصلاً عن المصادرات فى التاريخ/ الدكتور محمد سعيد رضا/ مجلة كلية الآداب- جامعة البصرة- العدد ١٥/ ١٩٧٨. [١٣٩] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٤-٢٣٥ أحداث قصة السقيفة، و راجعها فى الكامل/ ابن الأثير. [١٤٠] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣، العقد الفريد/ ابن عبدريه ٤: ٢٤٢ و ما بعدها، شرح ابن ابى الحديد ١٦: ٤٧-٤٨. [١٤١] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٤٤ فى قصة السقيفة... فقال ناس من اصحاب سعد: «اتقوا سعدا لا تطووه، فقال عمر: اقتلوه قتله الله، ثم قام على راسه فقال: لقد هممت أن اطاك حتى تندر عضدك...». [١٤٢] شرح نهج البلاغه ١٦: ٢١٥.

[١٤٣] تاريخ الطبري ٢: ٣٣٧، ثم تولية الخليفة الأول معاوية بن أبى سفيان و أقرت الولاية من قبل الخليفة الثانى. [١٤٤] راجع مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الأثير ص ١٣٥. [الشهيد]. تاريخ الطبري ٢: ٥٧٨، طبعه دارالكتب العلمية. [١٤٥] و هذا هو السرّ السياسى الذى غفل عنه الباحثون فى قصة الشورى. و قد جاء عن عمر أنه هدّد الستة الذين أوكل إليهم الأمر بمعاوية، و تنبأ لهم بأنّه سيملك الأمر.. راجع شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ١: ٦٢، و هذا إن دلّ على فراسته، فهو على لون سياسته أدلّ.

[الشهيد]. [١٤٦] شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ١: ١٣٥. [الشهيد]. [١٤٧] راجع فى قصة الستة الشورى- تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠-٥٨١. [١٤٨] شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ٤: ٨٠ [الشهيد] طبعه قديمة. [١٤٩] شرح نهج البلاغه/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٤، الطبعة المحققة/ أبو الفضل إبراهيم، و فيه جواب مدرّس المدرسة الغريبة على بن الفارقي بهذا المعنى عندما سأله ابن أبي الحديد... و قد عبّ عليه بأنّه كلام صحيح. [١٥٠] لاحظ موقفه من محاولة أبى سفيان، و دعوته إلى مجابهة مسلحة تسيل فيها الدماء، مع الخلافة، التى انبثقت عن الشورى، فقد ذكر الطبري فى تاريخه ٢: ٢٣٧ حدّث عن هشام، قال: حدّثنى عوانه، قال: لما اجتمع الناس على بيعه أبى بكر، أقبل أبوسفيان، و هو يقول: واللّه إنى لأرى عجاجه لا- يطفئها إلّا دم؟ يا آل عبدمناف فيم أبوبكر من أموركم!... و قال: أباحسن ابسط يديك أبايعك فأبى علىّ، فجعل يتمثل بأبيات... قال الرواى: فزجره علىّ و قال: إنك واللّه ما أردت بهذا إلّا الفتنة، و إنك واللّه طالما بغيت الإسلام شرّاً! [١٥١] قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «علّى مع الحقّ، والحقّ مع علىّ، و لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض يوم القيامة»، راجع فى إخراج هذا الحديث: تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي ١٤: ٣٢١، تفسير الفخر الرازى ١: ١١١، المناقب/ الخوارزمى: ٧٧، المعجم الصغير/ الطبرانى ١: ٢٥٥. [الشهيد] و فى حديث آخر: «رحم الله علىّ: اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار». راجع: التاج الجامع للأصول/ الشيخ منصور على ناصف ٣: ٣٣٧ قال: أخرجه الترمذى، مستدرک الحاكم ٣: ١٢٥ [الشهيد]، كنز العمال ٦: ١٧٥، جامع الترمذى ٢: ٢١٣. [الشهيد]. [١٥٢] قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لضربة علىّ يوم الخندق خيرٌ من عبادة الثقلين، أو قال: لمبارزة علىّ لعمر و أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة». راجع: المستدرک/ الحاكم ٣: ٣٢. [الشهيد] نشر دار المعرفة- بيروت. [١٥٣] قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إنى تارك فيكم الثقلين أو الخليفين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلّوا بعدى، كتاب الله و عترتى، و إنهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض». راجع صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، صحيح الترمذى ١: ١٣٠، سنن الدارمى ٢: ٤٣٢، مسند الإمام أحمد ٤: ٢١٧، المستدرک ٣: ١١٩. [١٥٤] آية المباهلة، راجع تفسير الفخر الرازى/ سورة آل عمران: ٢٦١، الصواعق المحرقة: ١٤٣، أسباب النزول/ الواحدى: ٦٧ دارالكتب العلمية- بيروت. [١٥٥] راجع تفسير الرازى ٥: ٢٠٤،

نشر دارالكتب العلمية- طهران، سيرة ابن هشام ٢: ٩٥، مطبعة الحجازي/ ط ١٠، تذكرة سبط ابن الجوزي: ٣٤. [١٥٦] راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٩، و شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٢: ٤٥١، و تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي: ٤١، والصواعق المحرقة/ ابن حجر: ١٢٣، تاريخ الخلفاء/ السيوطي: ١٧٢ قال: أخرجه البزار عن سعد. [الشهيد] [١٥٧] راجع: تاريخ الطبري ٢: ٦٥، دارالكتب العلمية- بيروت [الشهيد]. و ابن هشام في سيرته، و ابن أبي الحديد في شرح نهج. [الشهيد] [١٥٨] راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٤٥، و فيها: محاوره بين الخليفة الثاني عمرو بن عباس، قال الخليفة عمر: «يا ابن عباس ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلّا أنهم استصغروه... قال ابن عباس: فقلت: واللّه ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر...». و في ص ١٢ من شرح النهج: قول أبي عبيدة: «يا أبا الحسن إنك حديث السنّ و هؤلاء مشيخة قريش قومك». [١٥٩] راجع الصواعق المحرقة: ١٢٠. [١٦٠] راجع: الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٢: ٣٣٩، الصواعق المحرقة: ١٢٧. [١٦١] تاريخ الطبري ٢: ٦٩٦ و ما بعدها. [١٦٢] و على ضوء ما بيناه نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: لا ينبغي أن أذهب إلّا و أنت خليفتي. و قوله له عندما تهيأ للخروج إلى غزوة تبوك: لا بدّ أن أقيم أو تقيم. راجع: مسند الإمام أحمد ١: ٣٣١، ذخائر العقبى: ٨٧، الخصائص/ النسائي: ٨٠-٨١. [الشهيد]، صحيح الترمذي ٥: ٥٩٦ مطبعة دارالفكر. [١٦٣] سيأتي بيان هذه النقطة في الفصل الأخير. [١٦٤] راجع الرازي في التفسير الكبير/ ٥: ٢٠٤ في افتداء الإمام عليّ عليه السلام النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في يوم هجرته المباركة و انجاء الرسول من الموت، و فيه نزلت الآية المباركة: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ) البقرة/ ٢٠٧. [١٦٥] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٤٤. [١٦٦] تاريخ الطبري ٢: ٢٤٣، قصة السقيفة، قول الحنّاب بن المنذر: «أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جدّعة...». [١٦٧] الكامل في التاريخ/ ابن الأثير ٣: ١٢٣ و صلّ خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كان عتاب بن أسيد ابن أبي العاص بن أمية أميراً على مكة. [١٦٨] راجع تاريخ الطبري/ ٢: ٢٣٧، هدأت ثائرة أبي سفيان بعد أن وليّ الخليفة الأوّل ابنه معاوية... فقال: وصلته رحم. [١٦٩] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧. [١٧٠] راجع مختصر تاريخ ابن عساكر/ ابن منظور ١٧: ٣٥٦ و ما بعدها، الخصائص/ النسائي، تذكرة الخواص/ سبط ابن الجوزي و غيرهم كثير، ينقلون لك مواقف ابن أبي طالب منذ الأيام الأولى للرسالة إلى أن توفاه الله تعالى شهيداً في المحراب. [١٧١] تاريخ الطبري ٣: ٢١٨-٢١٩، المطبعة الحسينية بمصر- الطبعة الأولى/ ١٩٠٣، تفسير الخازن ٣: ٣٧١، و شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد- الطبعة القديمة. [الشهيد] [١٧٢] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٤: ١٦٥. [الشهيد] [١٧٣] كما هو نصّ حديث الغدير المتواتر و نصوص أخرى تؤكد أنّ عليّاً هو وليّ المؤمنين بعد النبيّ. راجع: التاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٥، و أخرجه ابن ماجه في سننه- المقدمه ١: ١١، مسند الإمام أحمد ٤: ٢٨١، الصواعق المحرقة: ١٢٢، مكتبة القاهرة، ط ٢/ ١٩٦٥. [١٧٤] النصوص التي صدرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحق الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة والإمامة والولاية لا تحصى كثرة؛ راجع على سبيل المثال: كتاب الغدير/ العلامة الأميني، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٧: ٣٥٦ و ما بعدها، التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣: ٣٣٣ و ما بعدها، الصواعق المحرقة: ١٢٢ قال: روى حديث الغدير ثلاثون صحابياً. [١٧٥] راجع: الصواعق المحرقة: قال أميرالمؤمنين: «أنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري إلّا كذاب. [١٧٦] راجع: تاريخ ابن الأثير ٣: ٢٤. [الشهيد]، تاريخ الطبري ٢: ٥٧٧، محاوره الخليفة عمر مع ابن عباس. [١٧٧] راجع الرواية في صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، مسند الإمام أحمد ٤: ٢٨١ طبعه دار صادر. [١٧٨] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٤٢ في اتّفاقهم على سعد بن عبادة. [١٧٩] تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣. [١٨٠] المصدر نفسه ٢: ٢٤٣. [١٨١] أشهد الإمام عليّ عليه السلام جماعة المسلمين على نصّ حديث الغدير في زمن خلافته، راجع: البداية والنهاية/ ابن كثير ٧: ٣٦٠، و قد أشهد عليّ جمعاً من الناس فشهد له ثلاثون أنّهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الصواعق المحرقة: ١٢٢ قال: رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون صحابياً، و أنّ كثيراً من طرقه صحيح أو حسن...». [١٨٢] ذخائر العقبى: ٦٧، والحديث يدلنا على أنّ الفاروق كان يميل أحياناً إلى تغيير الطريقة التي سار عليها الحزب في بداية الأمر مع الهاشميين، غير أنّ الطابع السياسي الأوّل غلب عليه أخيراً. [الشهيد]، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١. [١٨٣] راجع الرواية في صحيح البخاري ١: ٣٧ باب

كتابة العلم. [١٨٤] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٣: ٩٧، طبعه دارالكتب العربية الكبرى بمصر. [١٨٥] القرآن يقول: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) سورة النجم/ ٣ و ٤. [١٨٦] راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ١٣، الطبعة المحققة. أخرج عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام أنّ عليّاً حملَ فاطمةَ على حمارٍ و سارَ بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره، و تسألهم فاطمة الانتصار له. [١٨٧] راجع: بلاغات النساء: ٢٥: قالت في هذا المعنى من خطبة لها عليها السلام: «و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه، صارخاً بكم، فوجدكم لدعائه مستجيبين، و للغرة فيه ملاحظين، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً.. فوسمتم غير إبلكم. [١٨٨] جاء في شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ١٢ قال عليّ عليه السلام في محاوره مع القوم: «يا معشر المهاجرين الله الله، لا تُخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، ولا- تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم...». [١٨٩] راجع الصواعق المحرقة: ٣٦، طبعة مكتبة القاهرة، قال الخليفة الثاني: «كانت بيعه أبي بكر فلتة وقي الله شرّها فمن عاد لمثلها فاقتلوه...». [١٩٠] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٨ - ٢١٩ عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أم أهله؟ قال: بل أهله...». [١٩١] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٠. [١٩٢] ثبوت التوارث في التشريع الإسلامي من ضروريات الإسلام للنصوص الصريحة القطعية، منها (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ) و قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...). النساء/ ١١. [١٩٣] ادعى الخليفة الأول عدم اطلاعه على النحلة- شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٥. [١٩٤] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١١ أخرج عن جماعة قال: «قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها و أقبلت في لمة من حفديتها و نساء قومها... حتى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار...». [١٩٥] راجع: الإمامة و السياسة/ ابن قتيبة: ١٤. [الشهيد]، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨١، ٢٦٤. و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني» صحيح البخارى ٥: ٨٣ باب ٤٣- فضائل الصحابة، أعلام النساء ٤: ١٢٣. [الشهيد]. [١٩٦] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٣. [١٩٧] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦: ٢٨١، حلية الأولياء ٢: ٤٢. مستدرک الحاكم ٣: ١٧٨ طبعه دارالكتب العلمية. [١٩٨] راجع الخطبة في شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٤ - ٢١٥. [١٩٩] صحّت عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عبائر متعدّدة بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح أنّه قال لفاطمة (رضي الله عنها): «إنّ الله يغضبُ لغضبك، و يرضى لرضاك...» و قال: «فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها و يؤذيني ما آذاها.. راجع: صحيح البخارى ٥: ٨٣ باب ٤٣ حديث رقم ٢٣٢، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ حديث رقم ٢٤٤٩/٩٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٦٧ حديث رقم ٤٧٣٠/٣٢٨، دارالكتب العلمية. [الشهيد]، ذخائر العقبى: ٣٩، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٣٢٨، جامع الترمذى ٥: ٦٩٩، دارإحياء التراث العربى- بيروت، الصواعق المحرقة/ ابن حجر: ١٩٠- طبعة القاهرة، كفاية الطالب: ٣٦٥، دارإحياء تراث أهل البيت- طهران. [٢٠٠] تجد غضب فاطمة عليها السلام على أبي بكر في صحيح البخارى ٥: ٥ و صحيح مسلم ٢: ٧٢ و مسند الإمام أحمد ١: ٦، تاريخ الطبرى ٢: ٢٣٦، كفاية الطالب: ٢٦٦، سنن البيهقى ٦: ٣٠٠. [الشهيد]. [٢٠١] [الأحزاب/ ٥٣. [٢٠٢] [الأحزاب/ ٥٧. [٢٠٣] [التوبة/ ٦١. [٢٠٤] [المتحنة/ ١٣. [٢٠٥] [طه/ ٨١. [٢٠٦] نقلنا هذه الجملة عن كتابنا- العقيدة الإلهية في الإسلام. [الشهيد]. [٢٠٧] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٠ - ٢٥١. [٢٠٨] راجع تاريخ الطبرى ٢: ٢٥، ٦٥ - ٦٦. [٢٠٩] اشاره الى اسلام على عليه السلام و مؤازرته النبى صلى الله عليه و آله و سلم و استعداده غير المحدود للتضحية و الفداء في سبيل الاسلام، راجع: الصواعق المحرقة: ١٨٥، تاريخ الطبرى ٣: ٢١٨ - ٢١٩، حديث الدار المشهور ذكرناه سابقا. [٢١٠] راجع روايه سعد بن أبى وقاص - صحيح الترمذى ٨: ٥٩٦. [٢١١] أخرج الطبرى في تاريخه ٢: ٦٥ - ٦٦ طبعه دارالكتب العلمية- عن ابن رافع: لما قتل على ابن ابى طالب اصحاب الأولويه أبصر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جماعه من مشركى قريش، فقال لعلى: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جمعهم و قتل عمرو بن عبد الله الجمحى، قال: ثم ابصر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جماعه من مشركى قريش فقال لعلى: احمل عليهم، فحمل عيهم ففرق جماعتهم و قتل شيبه بن مالك، فقال جبرئيل: يا رسول الله ان هذه

للمواساه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه منى وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذوالفقار، ولا فتى إلا علي. ولنتأمل جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنلاحظ كيف أنه ارتفع بعلى عن مفهوم المواساه الذى يقضى بتعدد محمد وعلى إلى مفهوم الوحده والامتزاج فقال: إنه منى وأنا منه ولم يرض بأن يفصل الإمام عن شخصه لأنهما وحده لا تتجزأ ضربها الله مثلاً أعلى تأتم بها الإنسانية ويهتدى على ضوئها الأبطال والمصلحون فى معارج السمو والارتقاء، وأنا لا أدرى كيف حاول الصحابه أو بعض الصحابه أن يفككوا عرى هذه الوحده ويضعوا بين البطلين أشخاصاً ثلاثة كان من الجدير أن لا يفصلوا بهم بين محمد وبين من هو من محمد صلى الله عليه وآله وسلم. [الشهيد] [٢١٢] راجع عيون الأثر/ ابن سيد الناس ١: ٣٣٦، موسسه عزالدين- بيروت. [الشهيد] [٢١٣] كما يحدّثنا بذلك التاريخ الشيعى. [الشهيد] [٢١٤] وقد اعترف هو بذلك و ذكره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- شرح نهج البلاغه/ ابن أبى الحديد ٣: ٣٨٩- ٣٩٠. [الشهيد] [٢١٥] صرح بذلك الواقدى كما فى شرح نهج البلاغه/ ابن أبى الحديد ٣: ٣٨٨ و المقرزى فى الإمتاع: ١٣٢. [الشهيد] [٢١٦] اعتراف بذلك ابن أبى الحديد ٣: ٣٨٩. [٢١٧] الملك/ ٤. [٢١٨] استناداً إلى آية المباهلة، وهى قوله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل...) آل عمران/ ٦١. راجع الروايه فى صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، تفسير الكشاف ١: ٣٦٩، دارالكتب العلميه، الخصائص/ النسائى: ٨٩، روايه تصرح أن علياً عليه السلام كنفه صلى الله عليه وآله وسلم. [٢١٩] كما فى السيره الحلبيه ٢: ١٢٦، إذ حصّر الثابتين بغيره، وأما فرار الفاروق فى ذلك اليوم، فقد جاء ما يدل عليه فى صحيح البخارى ٣: ٦٧، دارالمعرفه- بيروت. إذ روى بإسناده عن شهد يوم حنين أنه قال: وانهزم المسلمون، وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب فى الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله. فإن هذا يوضح أن عمر كان من بين المنهزمين. [٢٢٠] فقد جاء فى عدّه من المصادر أن عمر وأبى بكر كانا فيمن جنده النبى صلى الله عليه وآله وسلم للحرب تحت رايه أسامه، منها فى السيره الحلبيه ج ٣، و راجع طبقات ابن سعد ٢: ٢٤٨- ٢٥٠. [٢٢١] راجع مسنده أحمد ٥: ٢٥٣، المستدرک/ الحاكم ٣: ٢٧، كترالعمال ٦: ٣٩٤، تاريخ الطبرى ٢: ١٣٦. [الشهيد] [٢٢٢] صحيح البخارى ٥: ١٨، مسند الإمام أحمد ٥: ٣٥٣، الترمذى ٥: ٥٩٦، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣. [٢٢٣] وأكبر الظن ان الجيش الذى سار الإمام على راسه لاحتلال المستعمره اليهوديه هو الجيش الذى فر بالأمس، ونفهم من هذا مدى تأثير القائد على جيشه و تكهرب الجيش بمشاعره فإن علياً استطاع أن يجعل من اولئك الجنود الذين كانوا يجنبون الفاروق فى الحمله السابقه أبطالا فاتحين بما سكب فى أرواحهم من روحه العظيمه المتدفقه بالحماس والاخلاص. [٢٢٤] الأنفال/ ١٦. [٢٢٥] تاريخ الطبرى ٢: ٢٧٣، قال الخليفه عمر بن الخطاب لأبى بكر: إن فى سيف خالد رهقاً، فإن لم يكن هذا حقاً، حق عليه أن تقيده، وأكثر عليه فى ذلك... فقال- أبوبكر- هيه يا عمر تأول فأخطأ». و راجع تاريخ ابن شحنه: على هامش الكامل ١١: ١١٤. [الشهيد] [٢٢٦] نعتذر إلى سيدنا أبى عبيده عن ذكر اسمه مجرداً عن اللقب، و ليس هذا ذنبى بل ذنب الأجل الذى عجل بروحه قبل أن يصير الأمر إليه فيمنحه الناس لقباً من الألقاب، و أما لقب الأمين فالأرجح عندي أنه لم يحصل عليه من طريق النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن طريق الناس، و إنما لقب به لمناسبات خاصه ليس من شأنها تقرير الأوسمه الرسميه. [الشهيد] [٢٢٧] إشاره إلى قول الإمام على عليه السلام: «الحلب يا عمر حلبا لك شطره! اشد له اليوم أمره ليرد لك غدا...» شرح النهج ٦: ١١. و راجع ص ١٢، قول أبى عبيده للإمام. [٢٢٨] راجع قول معاويه فى رساله جوابيه إلى محمد بن أبى بكر- مروج الذهب ٣: ١٩٩، وقعه صفين/ نصر بن مزاحم: ١١٩- ١٢٠. [٢٢٩] خطبه الزهراء، راجع شرح نهج البلاغه ١٦: ٢٣٤. [٢٣٠] من خطبتها عليها السلام، والآيه ٤٩/ التوبه. [٢٣١] كما يظهر من قوله الخليفه الثانى عمر بن الخطاب: إن بيعه أبى بكر فلته وقى الله المسلمين شرها، تاريخ الطبرى ٢: ٢٣٥، و فى الصواعق المحرقة: «... فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه». راجع ص ٣٦ من الطبعة المصريه- مكتبه القاهره بتعليق عبدالوهاب عبداللطيف- الطبعة الثانيه/ ١٩٦٥. [٢٣٢] قال الإمام الشهيد الصدر رضى الله عنه: بنص حديث الغدير الذى رواه مائه و أحد عشر من الصحابه، و أربعة و ثمانون من التابعين، و ثلاثمائه و ثلاثه و خمسون مؤلف من اخواننا السنه كما يظهر من كتاب الغدير للعلامه الأمينى، و احب أن ألاحظ هنا أن كثيراً من القرآن لم يرو من الصحابه- يريد على مبناهم- عدد يبلغ

مبلغ الرواه لحديث الغدير منهم، فالتشكيك فيه ينتهي بالمشكك إلى التشكيك في القرآن الكريم. واما دلالة الحديث على خلافه على و إمامته فهي أيضا ترتفع عن التشكيك لوضوحها و بدايتها، و تعدد القرائن عليها. و لتراجع في ذلك (مراجعات) سيدنا سادن المذهب و حامى التشيع في دنيا الإسلام آية الله السيد عبدالحسين شرف الدين (رضوان الله عليه)، راجع الصواعق المحرقة: ١٢٢. [٢٣٣] راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٣: ١١٤-١١٥، الطبعة غير المحققة. [٢٣٤] راجع الكامل في التاريخ/ ابن الأثير ٢: ١٢٢ [الشهيد]، والسيرة النبوية/ ابن كثير ٤/ ٥٢٧ طبعة دار إحياء التراث العربي- بيروت. [٢٣٥] تاريخ الطبري ٢: ٥٨٠، العقد الفريد ٤: ٢٦٠. [الشهيد] [٢٣٦] إشاره إلى قول رسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الأخير: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده...، صحيح البخارى ١: ٣٧١ كتاب العلم- باب كتابه العلم، و راجع ٨: ١٦١- كتاب الاعتصام. [٢٣٧] تاريخ ابن الأثير ٢: ٣١٨ دار صادر. [الشهيد]. [٢٣٨] راجع: التاج للجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم/ الشيخ على ناصف ٥: ٣١٠ الهامش ٤، ٥: ٣١٦ الهامش ٥. [٢٣٩] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣. [٢٤٠] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١: ٤٧، الطبعة غير المحققة. [الشهيد]. [٢٤١] صحيح البخارى- فضائل الصحابة باب ٣٥ ص ٦٦، و باب ٤٣ ص ٨٣. [الشهيد]. [٢٤٢] راجع تاريخ الطبري ٢: ٢٣٣ قال أبو بكر: إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر و أباعبيده... و أنا أرضى لكم أباعبيده، فقام عمر، فقال: أيكم- الخطاب للمجتمعين في السقيفة- تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم! فبايعه عمر و بايعه الناس، فقالت الأنصار:... لا نبايع إلا علياً. [٢٤٣] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٣: ١١٥، الطبعة غير المحققة، إذ قال ابن عباس: أما أهل الحجى و النهى فإنهم ما يزالون يعدونه- أى علياً- كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدونه محروماً مجدوداً. [الشهيد] [٢٤٤] الأنعام/ ١١٦. [٢٤٥] المؤمنون/ ٧٠. [٢٤٦] يونس/ ٣٦. [٢٤٧] الأنعام/ ١١١. [٢٤٨] صحيح البخارى ٨: ٨٦- كتاب الفتن. [٢٤٩] صحيح البخارى ٨: ٦٨- كتاب الفتن. [٢٥٠] التوبة/ ٦١. [٢٥١] التوبة/ ٧٥-٧٧. [٢٥٢] التوبة/ ١٠١. [٢٥٣] الصواعق المحرقة: ٥٦، طبعة دارالكتب العلمية، ط ٣- بيروت/ ١٤١٤ هـ، طبعة المطبعة الميمنية/ ١٣١٢ هـ: ٢١. [٢٥٤] الدر المنثور ٦: ١٩ المطبعة الميمنية بمصر/ ١٣١٤ هـ. [الشهيد] [٢٥٥] الملل والنحل/ الشهرستاني ١: ٣٠-٣١، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة/ ط ٢. [٢٥٦] راجع: مروج الذهب/ المسعودى ٣: ٢١٤ و ما بعدها، العقد الفريد/ ابن عبدربه ٥: ٢٠٠-٢٠٢، العدالة الاجتماعية في الإسلام/ الشهيد سيد قطب. [٢٥٧] راجع الروايه التى انفرد بها الصديق مع اختلاف التعابير التى وردت فيها فى: سنن البيهقى ٦: ٢٩٧-٣٠٢، شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٧. [٢٥٨] ذكره سبط ابن الجوزى كما فى السيره الحلبيه ٣: ٣٦٣. [الشهيد]، شرح النهج ١٦: ٢٣٤. [٢٥٩] راجع شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٤-٢٣٥. [٢٦٠] مروج الذهب ٢: ١٩٣. [الشهيد] [٢٦١] و لعل هذا يضعف من شان الروايه؛ لأن الخليفه لو كان مستعداً للتراجع لأجاب الزهراء إلى ما تطلب فى المسجد حينما خطبت و أسمعتة من التائب و التقرير الشئ الكثير. [الشهيد]. [٢٦٢] تاريخ الطبري ٢: ٣٥٣، سمو المعنى فى سمو الذات/ العاليلى: ١٨. [الشهيد] [٢٦٣] تاريخ الطبري ٣: ٣٤٩. [٢٦٤] الاحزاب/ ٣٣. [٢٦٥] الاحزاب/ ٥٣. [٢٦٦] مسند الإمام أحمد ٢: ٢٣٦- طبعة دارالفكر- بهامشه المنتخب من كنز العمال. [٢٦٧] صحيح البخارى ٥: ٨٣ باب ٤٣ حديث رقم ٢٣٢، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٢ حديث رقم ٩٣/ ٢٤٤٩. تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي ١٧: ٢٠٣ دارالكتب العلمية- بيروت. مسند الإمام أحمد ١: ٦، طبعة دار صادر. [٢٦٨] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٣١٦، سنن البيهقى ٦: ٣٠١. [٢٦٩] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٥٢، ٢١٤، سنن البيهقى ٦: ٣٠٠. [٢٧٠] شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٤، ٢١٨، سنن البيهقى ٦: ٣٠١. [٢٧١] النص: قال الرازى: إذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى، و لا يكون محتملاً- لغيره فهذا هو النص. و أما المجل ف يظهر من كلامه أنه ما دل على معنيين على التساوى. راجع التفسير الكبير/ الفخر الرازى ٧: ١٨ و جاء فى معارج الأصول/ المحقق الحلى: ١٠٥: النص: «هو الكلام الذى يظهر إفادته لمعناه، و لا يتناول أكثر مما هو مقول فيه. أما المجل: فهو ما أفاد جملة من الأشياء... و اللفظ لا يعنيه...». و راجع بيان النصوص التشريعية/ بدران أبو العينين: ٥. [٢٧٢] المصباح المنير/ ٢: ٦٥٤، نشر دارالهجرة- قم المقدسه. [٢٧٣] المصباح المنير ٢: ٦٥٤ نشر دارالهجرة- قم المقدسه. [٢٧٤] المصباح

المنير ٢: ٦٥٤ نشر دارالهجرة - قم المقدسه. [٢٧٥] شرح نهج البلاغه / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٦. [٢٧٦] شرح نهج البلاغه / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. [٢٧٧] ورد الحديث بألفاظ و عبارات أخرى مفادها ما تقدم، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، راجع سنن ابن ماجه ٢: ١٦٤، صحيح سنن المصطفى / أبي داود ٢: ١٩ - باب هل يرث المسلم الكافر. [٢٧٨] الكنايه عن الكريم بكثير الرماد، مما شاع على ألسنه البلغاء والشعراء. راجع: جواهر البلاغه / أحمد الهاشمي: ٣٦٣. لاحظ بيت الخنساء المشهور في أخيها صخر: رفيع العماد طويل النجاد كثير الرماد... [٢٧٩] إشاره إلى قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك و إن كانت واحده فلها النصف و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوه فلأمه السدس من بعد وصيه يوصى بها أو دين) النساء / ١١. [٢٨٠] طبقات ابن سعد ٢: ٣١٥، طبعه دارصادر، قول الخليفة الأول في الجواب: هكذا هو. [٢٨١] من الواضحات العلميه أخيرا: أن الخبر الواحد المعتبر يصلح لتخصيص الكتاب؛ لأنه حاكم أو وارد كما هو الصحيح على أصاله العموم و أصاله الإطلاق. و إنما احتجت الزهراء بالآيات العامه، لأنها لم تكن تعترف بوثاقه الصديق و عدالته. [الشهيد] [٢٨٢] وصايه الإمام على عليه السلام ثابتة على كل حال: أما عند الإماميه، فعليها الإجماع، و على أنها بالمعنى الأعم أى الخلافه أيضا، و أما عند غيرهم فثابته و لكن بالمعنى الأخص. راجع حديث الدار المشهور تاريخ الطبرى ٢ و قد تقدم، مسأله الوصيه والاستدلال عليها تفصيلا، المراجعات / العلامة عبدالحسين شرف الدين: ٢٣٦. [٢٨٣] النمل / ١٦. [٢٨٤] مريم / ٥ و ٦. [٢٨٥] الأنفال / ٧٥. [٢٨٦] نقلنا هذه القطعه على وجه الاختصار [الشهيد]؛ إن اختصاص الإمام على عليه السلام بفقهاء القرآن، و معرفه عامه و خاصه و محكمه و متشابهه و ظاهره و باطنه مما تضافر على نقله الخاص و العام. راجع: الإتقان / السيوطى ٤: ٢٣٣، طبقات ابن سعد ٢: ٣٣٨، الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٢٧ و غيرها. [٢٨٧] وردت روايات بمعناه كثيره راجع: الصواعق المحرقة: ١٧٣. [٢٨٨] آل عمران / ١٤٤. [٢٨٩] خطبة الزهراء / شرح النهج ١٦: ٢١٢ - ٢١٣. [٢٩٠] شرح نهج البلاغه / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. [٢٩١] شرح نهج البلاغه / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤. [٢٩٢] شرح النهج ١٦: ٢١٨. [٢٩٣] شرح النهج ١٦: ٢١١. [٢٩٤] المصدر نفسه ١٦: ٢١٨، و راجع سنن البيهقي ٦: ٣٠٠ - ٣٠١. [٢٩٥] شرح النهج ١٦: ٢٥٢. [٢٩٦] حتى قالت عائشه فى كلام لها: واختلفوا فى ميراثه فما وجدنا عند أحد فى ذلك علما، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث... الخ. راجع الصواعق المحرقة / ابن حجر: ٣٤. [الشهيد] تاريخ الخلفاء / السيوطى: ٧٣. [٢٩٧] راجع شرح النهج ١: ٤٧ - ٤٨ و ٣: ١٥ من الطبعه المصريه غير المحققه. [٢٩٨] قال ابن أبي الحديد فى شرح النهج ١: ٤٦: فلا ريب عندنا أن عليا عليه السلام كان وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و إن خالف من ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد. [الشهيد]. [٢٩٩] راجع قول النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «على مع القرآن و القرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض» - المعجم الصغير / الطبرانى، و إنه صلى الله عليه وآله وسلم اختصه من بين أصحابه و أهل بيته بأن عهد إليه سبعين عهدا لم يعهد لأحد غيره، و أنه مع الحق و الحق معه، و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «على منى و أنا منه و لا يؤدى عنى إلا هو...» راجع فى كل ذلك الصواعق المحرقة / ابن حجر: ١٢٢ و ما بعدها، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٧: ٢٥٦ و ما بعدها. [٣٠٠] راجع: فتوح البلدان / البلاذرى: ٤٦، تاريخ ابن الأثير ٢: ٣٢١ دار صادر، شرح نهج البلاغه ٤: ٧٨، سيره ابن هشام ٢: ٣٦٨، دار إحياء التراث العربى - بيروت / ١٩٨٥. [الشهيد] [٣٠١] راجع تفسير الكشاف / الزمخشري ٤: ٥٠٢. [٣٠٢] الحشر / ٦. [٣٠٣] مريم / ٦. [٣٠٤] شرح النهج ١٦: ٢٤١. [٣٠٥] و تقوم الفكره فى هذه النظرية على أن الصور المعقوله - و هى عباره عن وجود مجرد عن الماده - لا قوام لها إلا بكونها معقوله. فالمعقوله نفس هويتها، و تجريدها عن العاقل تجريد لها عن نحو وجودها الخاص. و هذا آيه الوحده الوجوديه. و إذن فتدرج النفس فى مراتب العلم هو تدرجها فى أطوار الوجود، و كلما صار الوجود النفسى مصداقا فالمفهوم عقلى جديد زاد فى تكامله الجوهرى و أصبح من طراز أرفع، و لا مانع مطلقا من اتحاد مفاهيم متعدده فى الوجود كما يتحد الجنس و الفصل، و ليس ذلك كالوحده الوجوديه لوجودين أو الواحده المفهوميه لمفهومين، فإن هاتين الوحدتين مستحيلتان فى حساب

العقل دون ذاك الاتحاد. والتوسع لا- مجال له. [الشهيد] [٣٠٦] فإن الحق تجرد جميع مراتب العلم والصور المدركه، ولكن على تفاوت في مراتب التجريد، فإن المدرك بالذات لا يمكن أن يكون نفس الشيء بهويته المادية، فحتى المدرك بحاسه البصر له نحو من التجرد و ليس في نوريه خروج الشعاع أو الانطباع. و ما ثبت حول الرؤيه في علم المرايا أو بحوث الفيزياء ما يفسر الإدراك البصرى تفسيراً فلسفياً، فلا بد من الاعتراف بتجرده فضلاً عن الخيال و العقل. و قد أوضحنا هذا المذهب في كتابنا العقيدة الإلهيه فى الإسلام. [الشهيد] [٣٠٧] لا- قياماً حلولياً بمعنى كونها أعراضاً لها، وإنما ذهب هذا المذهب بعض الفلاسفه لحل المشكله التى اعترضت الباحثين عندما أرادوا أن يوفقوا بيت أدله الوجود الذهنى و بين ما اشتهر من كون العلم كيفاً؛ و هى أن الصوره المعقوله إذا كانت كيفاً فما نتقله من الإنسان ليس جوهرًا لأنه كيف و ليس إنساناً إذن لأن كل إنسان جوهر و إنما هو مثال. و لما؟ فلست جميع الحلول التى وضعت لحل الشبهه من إنكار الوجود الذهنى و تقرير مذهب المثاليه، و اختيار التعدد و كون العلم عرضاً والمعلوم جوهرًا و تفسير الجوهر بأنه الموجود المستقل خارجاً لا- ذهنًا، والانقلاب: اضطر الباحثون المتأخرون إلى تقرير أن الصوره المعقوله من الجوهر جوهر لا كيف، غير أن الفيلسوف الإسلامى الكبير صدرالدين الشيرازى اختار فى الأسفار أنها جوهر بحسب ماهيتها و كيف بالعرض. و يمكن الاعتراض عليه بأن كل ما بالعرض لا بد أن ينتهى إلى ما بالذات و إذن فلا بد أن نتفرض كيفاً حقيقياً متحداً مع الصوره لتكون كيفاً بالعرض. و تنتهى النظرية حينئذ بصاحبها إلى أحد أمرين أما الالتزام بتعدد ما فى النفس أو الاصطدام بالمشكله الأولى نفسها و لذا كان الأفضل تقرير ان الصوره المدركه من الإنسان مثلاً جوهر و ليست بعرض إطلاقاً، و ارتباطها بالنفس ارتباط المعلول بالعلو لا العرض بموضوعه. [الشهيد] [٣٠٨] مريم/ ٦، و راجع تفسير الكشاف ٣: ٤، طبعه دارالكتاب العربى- بيروت. [٣٠٩] راجع: املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات/ أبى البقاء العكبرى، مطبوعه مصطفى البابى الحلبي- القايره/ ١٩٦٩، تفسير مجمع البيان/ الطبرسى ٦: ٦٤٧. الكشاف/ الزمخشري ٣: ٥. [٣١٠] آل عمران/ ٣٨. [٣١١] راجع الإتقان/ السيوطى ٤: ٢٠٠، مقدمه فى أصول التفسير/ ابن تيميه. [٣١٢] راجع الملاحظه والإيراد والمناقشه فى شرح النهج/ ابن أبى الحديد ١٦: ٢٣٩. [٣١٣] راجع شرح نهج البلاغه/ ابن أبى الحديد ١٦: ٢٥٧-٢٥٨. [٣١٥] جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم و صح عنه قوله: «ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار، أو فدعوه...». راجع: أصول الكافى/ الكلينى ١: ٥٥ كتاب فضل العلم- باب الأخذ بالسننه و شواهد الكتاب، الرد على سير الأوزاعى/ أبى يوسف الأنصارى: ٢٥. [٣١٦] والجمله خبريه و ليست إنشائية؛ لأن إنشاء حكم على الأنبياء بعد وفاتهم، و انقراض ورثتهم لا معنى له، و حينئذ فالتخصيص يستلزم مجازيه الاستعمال، و ليس شأن صيغه الحديث شأن الجمل الإنشائية التى يكشف تخصيصها عن عدم إرادته الخاص بالإرادته الجديه. و يقدم لذلك على سائر التأويلات والتجوزات، بل هى خبريه، والجمله خبريه إذا خالفت الإراده الاستعماليه فيها الحجد والحقيقه كانت كذبا، فتخصيصها يستلزم صرفها إلى المعنى المجازى، و حينئذ فلا يرجع على تجوز آخر إذا دار الأمر بينهما. [الشهيد]. [٣١٧] شرح النهج ١٦: ٢١٦. [٣١٨] قوله: إلى ذلك الحين، أى بعد عشره أيام من قيام الخلافه و حينذاك لم يكن بنوهاشم و جماعه من أجلاء الصحابه قد بايعوا أبابكر، فلم يكتسب الخليفه إذن الشرعيه الكامله. راجع تاريخ الطبرى ٢: ٢٣٣. [٣١٩] شرح نهج البلاغه/ ابن أبى الحديد ١٦: ٢٠٨. [٣٢٠] راجع: القواعد الفقهيه/ السيد حسن البجنوردى ١: ١١٣، المحلى/ ابن حزم ٩: ٤٣٦، المهذب/ الشيرازى الشافعى ٢: ٣١٢؛ الفروق/ القرافى المالكى ٤: ٧٨، تحرير المجله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ٤: ١٥٠ قال: إن اليد هى إماره على الملكيه شرعاً و عرفاً...». [٣٢١] راجع: فتوح البلدان/ البلاذرى: ٤٢-٤٣. [٣٢٢] و قد جاءت الروايه مصرحه بأن عمر أرسل رسولا إلى سعد ليقتله إن لم يبائع، فلما أبى سعد قتله الرسول. راجع العقد الفريد ٤: ٢٤٧. [٣٢٣] كما فى قصه مالك بن نويرة. راجع تاريخ الطبرى ٢: ٢٧٣، و راجع الطبعه المحققه ٢: ٢٨؛ و قد وضع ذلك الخليفه الثانى مطالباً بالقيود من خالد بن الوليد لأنه على حد تعبيره: «قتل مسلماً و نزا على امرأته». [٣٢٤] صحيح مسلم ٣: ٣٣١، المستدرک ٣: ١٥٩، طبعه دارالكتب العلميه، التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول/ منصور على ناصف ٣: ٣٣٣. [٣٢٥] مسند الإمام أحمد ٣: ٢٩٥- طبعه دارصادر، و راجع المستدرک ٣: ١٧٢- طبعه

دارالكتب العلمية. [٣٢٦] راجع قوله- أى الخليفة الأول- فى تصديق الزهراء، شرح النهج ١٦: ٢١٦. [٣٢٧] كما فى آيه التطهير قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأ-حزاب/ ٣٣. راجع المستدرک ٣: ١٦٠- ١٦١، طبعه دارالكتب العلمية. راجع صحيح مسلم ٥: ٣٧، فضائل الصحابة؛ باب فضائل أهل البيت عليهما السلام، ط ١، مؤسسه عزالدين، بيروت/ ١٤٠٧ هـ، تحقيق الدكتور موسى لاشين والدكتور أحمد عمر هاشم. [٣٢٨] راجع سنن البيهقى ١٠: ١٤٢، طبعه دارالفكر، و قد نقل عن الشيخ الطوسى أنه ادعى الإجماع فى الجواز. راجع: تنقيح الأدله بيان حكم الحاكم بعلمه/ محمدرضا الحائرى، كما ذكر ابن رشد: إنه قول الجمهور (أى الجواز) راجع بدايه المجتهد ٢: ٤٦٥ منشورات الرضى- قم/ ١٩٦٦. [٣٢٩] النساء/ ٥٨. [٣٣٠] الأعراف/ ١٨١. [٣٣١] الحق: هو الأمر الثابت. راجع المصباح المنير ١: ١٤٣، نشر دارالهجره. [٣٣٢] وإذا أردنا أن نترجم هذا المعنى إلى اللغة العلميه قلنا: إن الأمر على التقدير الثانى يكون إرشاديا إذ لا- ملا-ك للأمر المولى فى المقام، حيث أن المأمور اتباعه هو بنفسه كاف للبعث والتحرىك، فظهور الأمر فى المولى يقضى بصرف لفظه العدل إلى المعنى الأول لجواز الأمر مولويا باتباع الواقع فيما إذا دلت عليه البينه خاصه و إمكان الأمر باتباعه مطلقا. و أنا اعتذر عن عدم استعمال الاصطلاحات العلميه الدائره فى مباحث المنطق والفسفه والفقه والأصول- إلا حين اضطر إلى ذلك اضطرارا- لأننى أحاول أن تكون بحوث هذا الفصل مفهومه لغير المتخصصين فى تلك العلوم. [الشهيد]. [٣٣٣] إن قيل: إن الحديث الوارد عن أهل البيت فىمن قضى بالحق و هو لا يعلم الحكم باستحقاقه للعقاب يدل على عدم كون القضاء من آثار الواقع، فيدور الأمر بين صرف هذه الروايه عن ظهورها فى عدم نفوذ الحكم و حمل العقاب فيها على التجرى، و بين صرف الكلمتين إلى المعنى الثانى قلت: لا وجه لكلا التأويلين بل الروايه المذكوره مقيده للآيات بصوره العلم، فيكون موضوع القضاء مركبا من الواقع والعلم به، و بتعبير آخر أنه من آثار الواقع الواصل. [الشهيد]. [٣٣٤] صحيح البخارى ٢: ٩٥٣، حديث ٢٥٣٧ كتاب الشهادات- باب ٢٩. [الشهيد] [٣٣٥] الطبقات الكبرى ٢: ٣١٨، طبعه دار صادر. [الشهيد] [٣٣٦] شهاده الحاكم جائزه: راجع سنن البيهقى ١٠: ١٣١. [٣٣٧] قاعده اليد هنا تعنى: إثبات الملكيه بواسطه اليد. والمقصود باليد التسلط على المال. راجع: القواعد/ السيد محمد كاظم المصطفوى: ٣٢٩. [٣٣٨] سنن البيهقى ١٠: ١٤٣-١٤٤ باب عدم جواز حكم القاضى بعلمه.

تعريف المركز القائيمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموركم و أنفستكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبه/٤١). قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رحم الله عبداً أحيا أمرنا... يتعلم علومنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا... (بنادر البحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافى بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس أباذى" - رحمه الله - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبج بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقكين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايت المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت - عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه

هُوَءَ برامج العلوم الإسلاميه، إنالهُ المنابع اللازمهُ لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرهُ فى الجامعه، و... - منها العَدالهُ الاجتماعيه: التى يُمكن نشرها و بثها بالأجهزهُ الحديئهُ متصاعدهً، على أَنهُ يُمكن تسريع إبراز المَرافِق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشرِ الثقافهُ الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جههُ أُخرى. - من الأنشطهُ الواسعه للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كُتب، كُتبه، نشرهُ شهريه، مع إقامهُ مسابقاتِ القراءهُ ب) إنتاجِ مئاتِ أجهزهُ تحقيقيه و مكتبيه، قابلهُ للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاجِ المعارضِ ثَلَاثِيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرُسوم المتحركهُ و... الأماكن الدينيه، السياحيه و... د) إبداعِ الموقعِ الانترنتى " القائميه " www.Ghaemiyeh.com و عدهُ مواقع أُخره) إنتاجِ المُنتجاتِ العرضيه، الخَطاباتِ و... للعرض فى القنواتِ القمرية و) الإطلاقِ و الدّعمِ العلمى لنظامِ إجابهُ الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤) ز) ترسيمِ النظامِ التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرُسائل القصيره SMS ح) التعاونِ الفخرى مع عشراتِ مراكزِ طبيعيه و اعتباريه، منها بيوتِ الآياتِ العظام، الحوزاتِ العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجدِ جَمكران و... ط) إقامهُ المؤتمرات، و تنفيذِ مشروع " ما قبلِ المدرسه " الخاصّ بالأطفال و الأحداثِ المُشاركين فى الجلسه ي) إقامهُ دوراتِ تعليميه عموميه و دوراتِ تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنّه المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "پنج رمضان" ومُفترق "فائى/ "بنايه" القائميه " تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (=١٤٢٧ الهجرية القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٢ الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجاربه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزاتيه الحالتيه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوافى الحجمَ المتزايد و المتسرع للامور الدينيه و العلميه الحالتيه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المسمى بالقائميه) و مع ذلك، يرجو من جانبِ سماحه بقيه الله الأعظم (عَجَل اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكُلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدِّ التمكن لكلِّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

